الكتاب ١٢٠

الخروج من بابل

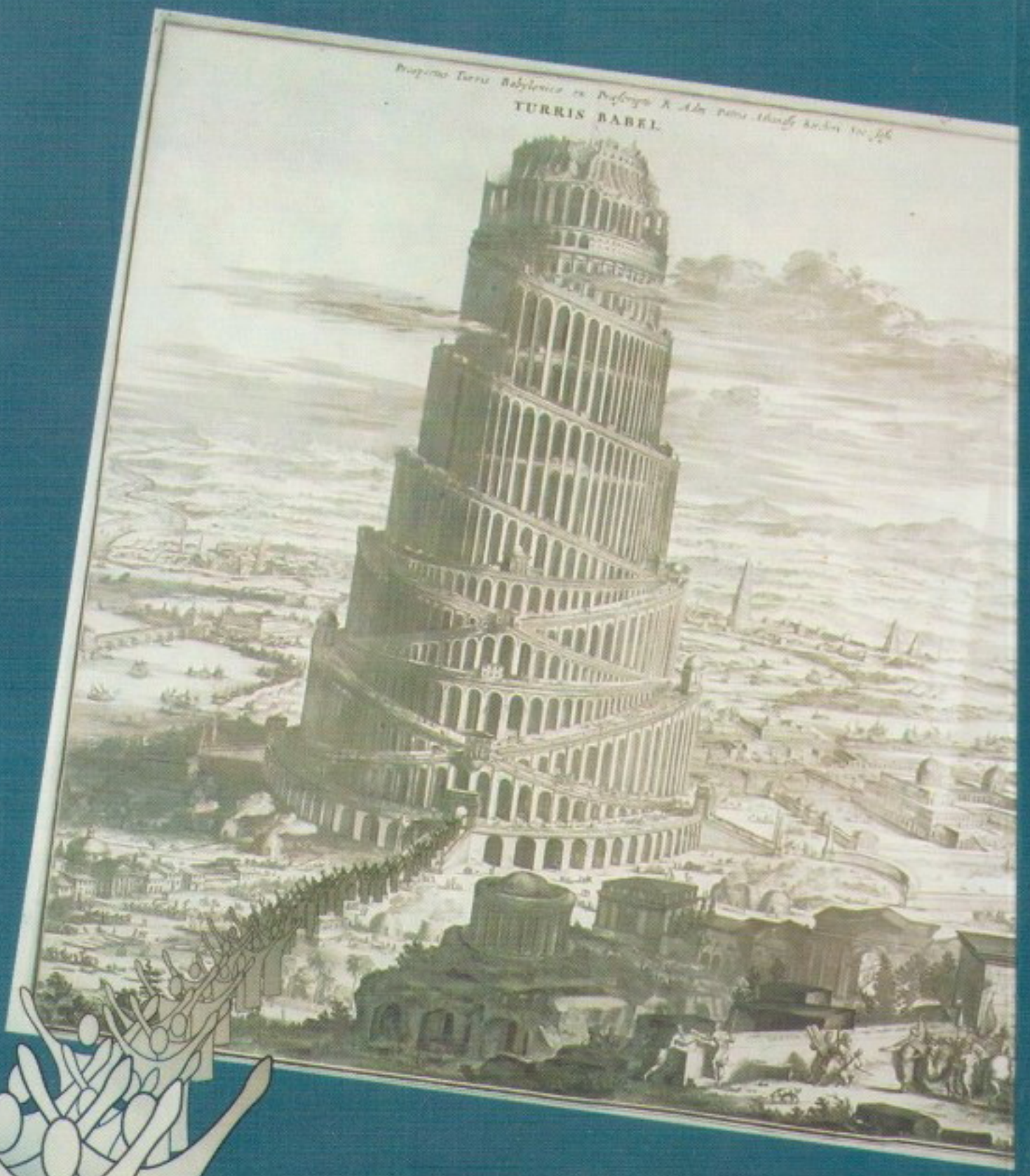

القس صموئيل مشرقي

الكتاب رقم ١٢٠

الخروج من بابل

Coming out of BABYLON

محور التأملات في مؤتمرات أبى قير

الأول: في يونيو ١٩٨٣ الثاني: في سبتمبر ١٩٨٣

الثالث: في سبتمبر ١٩٨٤

بقلم

القس صموئيل مشرقي رزق

رئيس المجمع العام

لكنائس الله الخمسينية

صدر بالقاهرة في يناير ٢٠٠٨

ويطلب من الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسينى

بجزيرة بدران – شبرا – ت : ٢٥٧٧٥٦٧٦

ومن المكتبات المسيحية

اسم الكتاب: الخروج من بابل

اسم المؤلف: القس صموئيل مشرقي رزق

الناشـــــر: مجمع الله الخمسيني

المطبعـــة: اوتو برنت - ت : ٣٥٨٧١٠٠٢

رقم الإيداع: ٤٧٨٢ / ٢٠٠٨

الإهداء

* إلى كل الذين يطلبون مسحة مقدسة لعقولهم حتى تفهم مكنونات هذه الدراسات وتعطيها مكانها حتى تحصل على فاعليتها وتأثيرها مع الإقرار بأنها ليست من الموضوعات السهلة أو المتداولة لأن الشيطان عدو النفوس يسعى جاهدا لكي يستبقيها ضمن المناطق المجهولة بقدر الإمكان بغية إتمام الإهلاك بالجهل. "لأنه لو أمكن يضل المختارين أيضاً" (متى ٢٤ : ٢٤).

* وإلى الأمناء الأعزاء الذين تهمهم الإنذارات التي تتبع من هذه التأملات والتي نحن في أشد الاحتياج إليها وإزاء ذلك فقد جاء إرشاد الروح القدس مباشرا ليكون موضوع التأمل لثلاث مؤتمرات هو "الخروج من بابل" ... وقد آن الأوان لنشرها!

• وإلى كل من يهمهم مصيرهم الأبدي في ضوء ما سلف ذكره فيقررون لأنفسهم – الخروج من بابل – معتبرين ذلك أمراً إلهياً لازما وحتميا لأنه بدونه لا تتم التهيئة أو الإعداد للعروس التي تتكون من أحجار حية وأعمدة خالدة فى بنيان الهيكل الأبدي.

إلى جميع هؤلاء ممن تتكون منهم "الكنيسة الحقيقية" وتشتمل بهم "النهضة المجيئية" في عصرنا الحاضر زمن النهاية.

أهدى

هذه التأملات لكي تكون نبراسا للهداية ومنهجا للالتزام بغية تحقيق "الخروج من بابل"!!

المؤلف

تقديم

يتميز الكتاب المقدس بأنه مكتوب لكل الأجيال في كل زمان ومكان، ومن ثم فانه لأمر طبيعي بل وضروري إن نتأمل في كل ما يحتويه نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور...

ومع ذلك فان كثيرين ينظرون إلى القصص القديمة الواردة في التوراة بصفة خاصة كتاريخ لعصرها متصورين بأنه قد مضى وانتهى أمرها، ولكنها ليست هكذا على الإطلاق بل أنها تحمل من الدروس والتعليم ما يغطى الزمان بأسره، ومن بين هذه الحقائق ما يرتبط بموضوع "بابل" الذي اختاره الروح القدس ليكون موضوع التأمل في ثلاث مؤتمرات متوالية اثنان خلال عامي ٨٣ وواحد في عام ٨٤ بل وقد امتد صداه إلى مؤتمر جريين سبورو الدولي، وكان ذلك في أعقاب ما سبق تأمله ودراسته في موضوع "بناء الهيكل الأبدي"...

وقد وجدنا في هذه التأملات أنها لم تقف عند حد التاريخ المدون عنها في سفر التكوين، بل أنها تمتد إلى أسفار الكتاب المقدس كله تقريبا إذ تشملها مدوناته من بدايته في سفر التكوين إلى نهايته في سفر الرؤيا، وهذا في حد ذاته كفيل بأن يبين للملأ أهميتها القصوى، ليس التاريخية فقط بل والمصيرية أيضاً!!

ومن ثم فان ضرورة دراستها بالنسبة لشعب الله الحقيقي لا تناقش، وخاصة وان "بابل" تمثل نظاما دينيا عاما هو الفوضى بعينها لكونه تزييف للحق الإلهي، ومن هنا جاء الأمر الإلهي للمؤمنين الحقيقيين "بالخروج من بابل" وذلك لتنمية أشواقهم إلى وطنهم السماوي وضمانا لتشكيل "العروس" من هؤلاء الخارجين منها عبر التاريخ وخاصة في وقت النهاية الذي بلغناه!!

ولا شك أن مثل هذا البحث الذي نسعى إليه إنما هو التهيئة المطلوبة للانتعاش الديني الصحيح الذي يعرف "بالنهضة المجيئية" والذي ينشأ عن اكتشاف الحق الكتابي والتطبيق المتجدد له...

وسنرى من وراء ذلك أن "بابل" ليست مجرد قصة خرافية بعد أن اثبت التاريخ وعلم

الآثار حقيقتها الواقعية وفقا لما تحتويه كلمة الله ووقفت في وجه المناقضين بالاكتشافات الأثرية التي تم العثور عليها في منطقة بابل هذه بالعراق والمعروفة باسم "برج نمرود" ويطلق عليها اسم "بورسبا" أي "برج الألسنة"، ورغم أن السماء حطمت آمال نمرود وشعبه وأوقفت غباوتهم في محاولتهم بناء برج يصل رأسه إلى السماء، إلا أن الإنسان لا يزال يحاول نفس هذا المشروع القديم حتى الآن وذلك من وجهتيه الحرفية والرمزية على السواء ... وذلك ببناء الأبراج الدينية العالية!!

ولاشك أن الوقوف على مكنونات هذا التفسير الذي قدمناه في المؤتمرات سالفة الإشارة أمر مهم وخطير للغاية لأنه يكشف عن حقيقة ما هو جارى حاليا في داخل المسيحية وخارجها تزييفا لألسنة يوم الخمسين وبه نرد على الذين يعتبرونها بلبلة في حين أن البلبلة (أي الفوضى والانفلات) لم يكن لهما وجود حقيقي سوى أثناء برج بابل وسيقدم هذا البحث في أحد فصوله مقارنة بين السنة بابل ويوم الخمسين!!

في هذه الضوء نقدم هذه الدراسات الكتابية بالاتكال على نعمة الله ومعونة روحه القدوس لكل من يرغب في معرفة الحقيقة من جهة هذا الموضوع الخطير ليستفيد منه بأن يتحذر به!!

المؤلف

الباب الأول

البابلية
فى التاريخ القديم

محتويات المؤتمر الأول - يونيو ١٩٨٣

١- نشأة بابل ومعنى اسمها.

٢- بابل المدينة والبرج.

٣- هدف بابل ووسائلها.

٤- برج بابل وألسنته.

٥- ألسنة بابل ويوم الخمسين.

٦- ظاهرة التكلم بألسنة.

٧- ما عسى أن يكون هذا؟.

٨- السبي إلى بابل وأسبابه.

٩- دروس سبى بابل.

١٠- حالة المسبيين في بابل.

الفصل الأول

نشأة بابل ومعنى اسمها

"وكان ابتداء مملكته بابل"
(تك ١٠: ١٠)

بدء التاريخ البشرى والحضارات:

قد وجدنا أن سفر التكوين أول أسفار العهد القديم وأقدم كتاب في العالم – يقدم لنا وصفا لتاريخ الشعوب منذ بدايتها وعلى مدى ما يقرب من عشرين قرنا... متابعا سير تاريخها منذ البداءة!!

ويعتبر الإصحاح العاشر منه جدولاً لا نظير له على الإطلاق لبيان أصل الشعوب وهو أدق سجل لأنسابها وأماكن توزيعها قد أيدته تماما الاكتشافات الأثرية الحديثة...

ويظهر من الآيات ٨-١٠ أن الحضارة البابلية كانت أقدم الحضارات في التاريخ... ومع ذلك يتبين من ع٦ سبب التشابه بين حضارتي بابل ومصر، وذلك لأن "كوش" بكر حام ابن نوح – أبو نمرود مؤسس بابل كان أخا لمصرايم مؤسس مصر! ويبدو من ذلك أن الحضارة المصرية ظهرت في وقت معاصر للحضارة البابلية وليس ببعيد إنها نقلت عنها يؤيد ذلك حتى أن أقدم أهرامات مصر وهو "هرم سقارة" المدرج قد بُني على نمط برج بابل، ومن وجه آخر يرى بعض العلماء بان الحضارتين البابلية والمصرية قد تبادلتا المعلومات من جهة أنظمة العبادة وطرقها باتصالهما معاً في فترة مبكرة من التاريخ...!!

الآثار البابلية:

ولقد احتوت هذه الآثار إشارات إلى "نمرود" الذي ابتدأت به مملكة "بابل"، وتأسيس

إمبراطوريته أولاً من أربع مدائن عاصمتها "بابل"، ثم قيامه بفتح "أشور" وبناء أربع مدائن أخرى عاصمتها "نينوى"، وأخبرت الآثار بان أباطرة ذلك العصر كانوا يحملون لقباً يدل على حكمهم لأربع مدائن مؤكدة بذلك ما ذكرناه هنا من الكتاب المقدس...

ولقد اندثرت تلك المدائن القديمة تحت الأنقاض إلى أن جاء علماء الآثار وقاموا باكتشافات أثرية حديثة أنارت خفايا ذلك التاريخ القديم وأعلنت وجود هذه المدائن الأربع – وبالنسبة لمجموعة بابل التي ورد ضمنها "أرك" فقد تبين أن اسم ملكها "آريوك" المذكور في (تكوين ١٤) قد جاء منقوشا على قطعة أثرية تعاصر ألواح حمورابى الذي هو نفسه "امرافل" ملك شنعار المذكور بجانب آريوك – وهكذا قدمت هذه الاكتشافات شهادتها بصدق حقائق التاريخ المقدس!!

مؤسس بابل أول إمبراطورية في التاريخ:

واضح من جدول الأنساب سالف الذكر – وهو المرجع الذي يعول عليه في الكشف عن أصل الشعوب – أن كوش بكر حام أخو مصرايم هو والد "نمرود" مؤسس بابل الذي معنى اسمه "نتمرد" وفى هذا ما يكفى للدلالة الصريحة على المقاومة والعصيان – حتى صار يضرب به المثل بين الناس عن كل إنسان قوى متجبر بأنه "نمرود" وذلك لأن "نمرود" مؤسس بابل هذا، كان أول طاغية يظهر على مسرح التاريخ، فقام بتأسيس أول الإمبراطوريات على الإطلاق بتوحيد أربع مدائن معا وإخضاع حكامها تحت سلطانه (وهى بابل وأرك وأكد وكلنة)، فمن بابل خرج نمرود إلى "أشور" وفتحها وبني (نينوى ورحوبوت عير وكالح ورسن) على شاطئ دجلة – وكانت أشور في الأصل ضمن حدود نسل سام، إلا أن نمرود اقتحمها وامتلكها فاظهر بذلك تمرده الجرئ على التقسيم الإلهي الذي أجراه الله في الأرض بين قبائل نوح، واتفق عمله هذا مع اسمه لأنه مشتق من مصدر يعنى "التمرد".

"وكان نمرود جبار صيد أمام الرب" حتى أنه عندما حول البابليون اسمه إلى "مردوخ" وقاموا بعبادته صوروه على معابدهم ومعه أربعة كلاب صيد ضخمة، لأنه كان ماهرا في صيد الوحوش وبالتالي في اصطياد الناس، وكان ذلك من علامات القوة والبطش وقد أدت به قوته هذه إلى تحدى إله السماء!!

فلما صارت لنمرود هذه الإمبراطورية الواسعة حرض سلالة نوح على مخالفة قصد الله بالامتناع عن التفرق في الأرض لكي تتحد تحت زعامته وتدين له بالخضوع والطاعة، وفى جنون كبريائه أعد هجوما على إله الجميع نفسه عن طريق شروعه في

بناء "برج بابل"، ومن المتفق عليه بالإجماع أن الوثنية قد ولدت في لحظة الشروع في بناء هذا البرج ولذلك يعتبر نمرود أبو الوثنية في التاريخ!!

لكن الله أتم قصده بذلك بأن نزل وبلبل ألسنتهم هناك وفرقهم على وجه الأرض : وكانت هذه البلبلة حاجزا فعالا وقيدا حديديا منعهم من تنفيذ مشورة نمرود، الأمر الذي يتضح هنا بالأكثر عندما نعرف بأن الإصحاحين العاشر والحادي عشر من سفر التكوين لا يجب أن يؤخذا بترتيب ورودهما في الكتاب، لأن تقسيم الألسنة والشعوب يتبع تاريخيا بلبلة الألسنة في بابل، أما ذكر الأنساب التي تم بها تفريقهم فإنما جاء سابقا لحادثة برج بابل التي هي نقطة ابتداء توزيع الشعوب على وجه الأرض – **وذلك لتبيان حتمية إتمام قصد الله الذي قرره من جهة توزيع نسل نوح وأثبته في جدول الأنساب قبل حدوثه ليبين قدرته على تنفيذ ما سبق أن رسمه**، وبذلك تشعبت الأرض حسبما قسم الله لكل شعب نصيبه منها إلى اليوم!!

معنى بابل (باب الله وقد تحول إلى البلبلة):

"بابل" من الأسماء القليلة التي تحمل معنى مزدوج أي أن لها معنيين أما معناها الأصلي فهو "باب إيل" أي "باب الله" هكذا دعاها مؤسسوها في البداية ولكن الله نفسه حول المعنى إلى "بلبلة" أي "تشويش" **ولاشك أن المعنى الأول معنى جميل للغاية إذ أنه يتضمن القرب إلى الله**، فقد خُلق البشر وغريزة البحث عن الله فيهم وأن ينضموا تحت سلطان حكمه بواسطة ناموسه العام! ولكن عندما شرعت بابل في تحدى الله نجده تعالى يبقى اسمها **ولكنه تعالى جعل حادث بلبلة الألسنة عاملا أهم وأصح لتحويل معنى اسمها إلى "البلبلة"** وذلك تهكما وازدراء بها واحتقاراً من عمل ما أدوه من بناء برجها العالي!!

وهكذا فان اسم بابل لم يتغير، لكنه أخذ معنى جديد – وهذا يمثل حقيقة وهي انه بالرغم من أن الكائنات البشرية لا تزال تبحث عن الله ولكن بحثها هذا إنما هو عبث بسبب عدم إخلاصها – ومع أن البشر لايزالوا يخدعون أنفسهم بأنهم يبحثون عن الله إلا أن باب الله قد أصبح بالنسبة لهم "بلبلة" : انه يمثل الآن مجموع الأنظمة الدينية التي ابتعدت عن الحق بتحريفها إعلان الله النقي!! وانتهت بذلك كباب الله!!

***

الفصل الثانى

بابل المدينة والبرج

"هلم نبنى لأنفسنا مدينة وبرجا"
(تك١١: ٤)

مدينة وبرج:

مما يجب ملاحظته في رواية (تكوين١١) عن "بابل" إنها تتحدث عن "مدينة وبرج" لا عن مدينة بها برج، وهى بذلك تميز بين المدينة والبرج – وتقول الرواية من بعد أحداث البلبلة هنا بان الرب قد بددهم من هناك على وجه كل الأرض.. **فكفوا عن بنيان المدينة"** (ع٨) **أما البرج الذي لاتزال آثاره باقية بين خرائب بابل** فهو محتفظ بكثير من الفخامة حتى فى حالته الراهنة، وكانت قاعدته ميلين وارتفاعه ٧٠٠ قدم وقت بنائه. وقد رآه هيرودتس المؤرخ اليوناني وقرر بأنه يتكون من ثمانية طبقات مربعة كل طبقة منها أصغر من التي تحتها ويعلوه في القمة هيكل (مخصص لرصد النجوم وعبادة الأجرام) وفى طريق الصعود إليه أماكن راحة...

وقد وجدت كتابات للملك نبوخذ نصر أعلن فيها انه هو الذي قام بإصلاح البرج وتكميله بل وأعاد لبابل مجدها وجعلها عاصمة إمبراطوريته العالمية وقد حصلت عندئذ على اتساع وفخامة نادرين جعلاها "أعجوبة الدنيا في زمانها"، مما دفع نبوخذ نصر إلى الافتخار بها بقوله : "أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها بقوة اقتداري ولجلال مجدي" (دا٤:٣٠) ولكنها تلاشت من الوجود فيما بعد وبقى منها الأثر المتبقي إلى الآن!!

وكانت الحية قد نجحت في غواية أبوينا الأولين آدم وحواء، كما أنها استطاعت أن تقود قايين ونسله للبدء في إنشاء الحضارة وبناء المدن ومشتملاتها. وجاء الطوفان فاكتسح الجميع ما عدا عائلة نوح، ولكن ها هم نسل نوح يرفضون الأمر الإلهي بأن يملأوا الأرض مكتفين

بإشغال المنطقة التي بلغوها في أرض شنعار : **ولم تكن جريمتهم في مجرد بناء "مدينة وبرج" بل في أن ذلك كان لغرض هزيمة مشورات السماء بمحاولة منع المهاجرة لتعمير الأرض** وكان ذلك أمرا غبيا ومغيظا لله سقطوا به من الديانة الصحيحة!

في هذه الدائرة بالذات – دائرة تعاظم الكبرياء – وهى التي تدفع أصحابها لاقتحامات جريئة يتصورون نجاحها ويحصدون بمرارة فشلها، تشتد المعركة الدائرة بين الحق والباطل، **ويظن الباطل انه نجح عندما يكسب جولته الأولى، ولكن هيهات، فان هذا هو ما حدث بسعي الشيطان على يد "تمرود" في عصره لقيادة البشر في اتحاد عام لمحاربة الله في سمائه**، ولكنه بمعجزة ألسنة واحدة استطاع أن يفرقهم فذهبوا اشتاتا في عالم الوثنية الرهيب! كان ذلك عند محاولتهم بناء مدينة وبرج "بابل"..!!

ونرى في بناء "المدينة" الأمور الآتية:-

أولاً: الرغبة في الاستقرار على الأرض:

ونحن نراهم يبدأون ذلك بارتحالهم "شرقا" ليس كمتغربين بل كمستعمرين يبحثون عن مكان ناعم يستقرون فيه بعيداً عن التلال الخشنة التي وجدوا أنفسهم فيها بعد الطوفان – لأن جبل "أراراط" الذي استقر عليه الفلك يقع في الشمال الغربي من سهل "شنعار" الكائن ما بين النهرين (دجلة والفرات)، **وكانت جنة عدن قد تلاشت من الوجود بفعل الطوفان فما الذي يمنع من أن يختاروا هذا السهل (وهو وادي منخفض وخصب) بدلاً من جنة عدن : وكان معنى "شنعار" وهو "أحلام من هو نائم"** قد جعلها مكانا مناسبا لوقوع هذا الاختيار عليه، وهكذا ظنوا بأنهم فى "شنعار" سيحققوا رغباتهم التي نووا عليها في بنيان مدينة على منوال "مدينة قايين" التي سماها على اسم ابنه "حنوك" (تك٤:١٧) فان قايين حقق اسمه وهو "الاقتناء" فأراد أن يتملك ويبنى مدينة في أرض نود (التيهان) راغبا في أن يستقر فيها باعتبارها نصيبه الوحيد وقد جمع فيها أنواع الصناعات والآلات الموسيقية والقصائد الشعرية بل ظهر فيها أيضا تعدد الزوجات – **وهذه نواة الحضارة التي انتشرت فيما بعد في شتى الأنحاء – وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمن يختارون الدنيا ومسراتها كنصيب لهم** ويحاولون أن يتثبتوا فيها إلى الأبد بعكس الذين يتمسكون بوعد الإيمان **فيعيشون حياة الغربة على الأرض "لأنهم ينتظرون المدينة التي صانعها وبارئها الله"** (عب١١:١٠).

وهكذا أراد البابليون بناء مدينة لأنفسهم، وذلك بقصد منع تبـــددهم علـــى وجـــه الأرض (ع٤) وذلك بقصد الاستقرار في هذه البقعة في محاولة من جـــانبهم لجعلهـــا أرض مجدهم وخلودهم!

ثانياً: افتعال وحدة ذاتية ضد الله:

لقد كشف تصرفهم هذا عن روح بابل **وهى "الأنانية" وفى القول "لنصـــنع لأنفســـنا اسماً"** نجد كيف أن الذات قد صارت لديهم المركز العام الذي جمعهم معـــا لإتمـــام هـــذا القصد – هنا تأسست أول جمعية تعاونية في العالم "جمعية شنعار"، وهـــى مبنيـــة علـــى المصالح الذاتية البحتة أي **ليكون لهم "اسم في الأرض"**! وهنـــا نـــرى كبريـــاء الإنســـان وغروره في طلب مركز واسم بدون الله الأمر الذي امتد أثره في نطاق يزداد اتساعا إلى اليوم، وكان ذلك لتحصينهم ضد أي طوفان جديد!!

ونجد في قولهم هذا أن كلمة "اسم" وهى "sheen" إنما هي تزييـــف لكلمـــة "ســـام" "shem" الذي تركزت فيه المواعيد، **وكان ذلك بمثابة إنشاء قوة عالمية هي نواة لمـــا سيتزعمه "ضد المسيح" في الأيام الأخيرة عندما يصل إلى الســـلطة المطلقـــة ويفـــرض الوثنية السافرة وذلك أثناء الضيقة العظيمة التي تنبأ عنها المسيح!!**

وواضح من نص الآية الأولى من (تكوين ١١) "وكانت الأرض كلها لســـانا واحـــدا ولغة واحدة" وأيضا مما جاء في الآية السادسة ونصها "هوذا شعب واحد ولســـان واحـــد لجميعهم" **إنه كانت هناك وحدة إلهية أصلية هي قصد الله أصلا للبشر لإنشـــاء علاقـــات المودة والتفاهم فيما بينهم**، ولكن هذا الامتياز حولوه إلى لعنة عندما شرعوا في استخدام هذه الوحدة في بنيان مدينة تضمن لهم بقاء اتحادهم ثابتا وأبديا **وهكذا حولوا ما أعطـــاهم إياه الله لتعطيل قصده في تعميـــر الأرض**، وأضحى اتحادهم بذلك اتحادا وهميا، وليس هو من الله بعد، **لأنه في اتحاد كهذا يضيع الجوهر ويصبح في شكل "تكتل" مضـــاد لمقاصـــد الله ونتائجه خطيرة على من يقومون به لأنه تحدى لله وسلطان حكمه**، فانه قبل تســـجيل الدينونة التي أوقعها الله عليهم وهى "البلبلة" والتي بها تفرقوا يعطينـــا الكتـــاب أنســـابهم وجدول توزيعهم **وذلك ليبين لنا أن قصد الله من جهة تعمير الأرض بنسل نـــوح واجـــب النفاذ رغم محاولاتهم إبطاله بشروعهم في بناء بابل البرج والمدينة!!**

ثالثاً: البحث عن بدائل تعويضية:

فقد بنيت هذه المدينة لا من حجارة بل من "اللبن"، وهذا أمر أُرغم عليه بناؤو بابل لأنهم إذ انصرفوا عن الجبال الخشنة حرموا أنفسهم من محاجرها، وإذ هبطوا إلى الوادي التزموا بحكم الضرورة أن يقنعوا باللبن المصنوع من الطين الذي يمدهم به الوادي.. **وهكذا استبدلوا الحجارة التي من صنع الله باللبن (أي الطوب) الذي هو من صنع الناس**، رغم أن اللبن أقل متانة واحتمالاً من الحجر، ولذلك نجدهم يستخدمون الشمس والنار في شيه ليكون أكثر صلابة عند استخدامه مكان الأحجار... كما رفضوا الطين كمونة للصق اللبن واستبدلوه بالحُمر وهو الزفت – وهم في هذه المنطقة يستعملونه إلى اليوم – وبرج نمرود الاثرى يؤيد ما قاله الكتاب هنا عن هذه البدائل...!!

ومن المعلوم انه وان كان الحمر هذا مادة شديدة التماسك إلا أن المشهد كله يبين أنهم استبدلوا ما هو طبيعي بما هو صناعي، وما هو إلهي بما هو بشرى : أي أنهم اختاروا من البدائل ما تتمثل فيه الأغراض الذاتية والعوامل العالمية وهي تمثل بنيانا لن يتم ولن تقوم له قائمة!

<u>أما بناء البرج نفسه فنتعلم منه:-</u>

أولاً: انه إعلان عن عدم الثقة في الله:

لقد أعطى الله لنوح بعد الطوفان علامة (القوس قزح) لتكون ضمانا على أنه لن يعود يخرب الأرض بطوفان ماء.. علامة رحمة امتدت إلى أقصى الأرض، على أساسها قرر الله توزيع نسل نوح في أنحاء الأرض ليملأوها ويخضعوها، ولكنهم لم يثقوا في الله بل رفضوا مشورته هذه وقرروا أن يعملوا معا لبنيان هذا البرج بارتفاع يعلو فوق قمم **الجبال لكى يحموا أنفسهم من أي خطر محتمل كالطوفان الذي حدث: متصورين أن الله نفسه نائم لأنه سكت عنهم إلى حين**، فانه من الغريب حقا أن الله لم يوقف غباوتهم في الحال، ومن الجائز أنهم تصوروه نائما ولكنه فاجئهم في لحظة لم يتوقعوها وأبطل عملهم وهذا شأنه دائما!

ثانيا: انه تمرد سافر ضد الله:

فمع أن الله وفقا لخطة عنايته قد وضع تخطيطا لتوزيع هذه القبائل على وجه الأرض معلنا رحمته تجاهها كلها، إلا أنهم اتجهوا ضد خطة الله ورفضوا أن يضعهم في ملكوته **بل قاوموا مشيئته وخرجوا منها ليبنوا لأنفسهم إمبراطورية عالمية تحت زعامة نمرود، وهذا تمرد سافر ضد الله.**

ولذلك فقد حطم الله هذه المحاولة الأولى، وهو يقوم بنفس العمل إذ هو سيد الكل ورب التاريخ وذلك حتى في زماننا هذا وإلى اليوم الأخير! نعم إنه قد يترك البشر يشرعون في مشروعاتهم الوهمية ولكنه لابد من أن يدع ما يقيمونه ينهار من تلقاء نفسه، لأن مشورتهم لن تقوم لكونها ضد الله وهو وحده "الإله الحقيقي" الذي يحكم ويتحكم دائما!!

ثالثاً: إنه تحدى لله بباعث الكبرياء والغطرسة:

فقد قرروا أن يبنوا برجا شامخا عاليا دليل على كبريائهم وتعاظمهم – مما استوجب أن ينزل الرب ليقف بنفسه على ما كان يقوم ببنائه بنو آدم وهذا لا يعنى حاجته إلى الاستعلام عما هو حادث، **بل بالحري يعنى تداخله المباشر لمقابلة تحديهم وتعطيل قصدهم رغم أنفهم** بمعجزة هي من أيسر ما يكون بالنسبة له... وهى بلبلة لسانهم : **ووجودها حالياً ليس سوى دليل صادق على رواية الكتاب المقدس عن أصل اللغات!!**

وهكذا فان برج بابل كان نقطة تقابل القوتين الإلهية والبشرية، ونحن نعلم دائما لمن تكون الغلبة في مثل هذه الأحوال، لأنه مهما تكن مشيئة الإنسان الفردية ومهما اتخذ نشاطه من مظاهر كبرياء وغطرسة في تعاونهما معا ضد الله فان الفشل الذريع محقق لكل هذه التحديات بأنواعها!

رابعاً: إنه محاولة الوصول إلى السماء عن طريق الجهد البشرى:

ولكن هل يمكن للمجهودات البشرية أن تحقق الوصول إلى السماء، وأن تحقق هذا الطموح وهو الصعود إلى الله بها، وهذا ما يحاوله التقليديون والدينيون بوجه عام رغم إحساسهم بالفشل فيه، ولكنها محاولات لن تنجح رغم الاتجاه إلى تكرارها في بناء ناطحات السحاب واختراع سفن الفضاء والوصول إلى القمر وأيضاً السير إلى ما هو أبعد من ذلك، لكن سماء الله أبعد من إمكانية الوصول إليها بهذه المجهودات التي يبذلونها، **ونعلم من وجه آخر أن نقطة بداية الإلحاد كانت رسميا عند برج بابل وهى التي مهدت السبيل لكفر هذا الجيل الذي سينتهي بأكبر كارثة عرفها التاريخ!**

وبينما مشروعات بابل قد خابت، إذ بنعمة الله قد فتحت أبواب الفردوس للمؤمنين بالحق وستأخذهم يوما ما إلى هناك.. وذلك لأن المحاولات البابلية لم تمكن سكان بابل من بلوغ السماء بينما نعمة الله الغنية قد فعلت ذلك فحققت لنا هذا الحلم المجيد الذي فطر عليه البشر، فهي التي ستحقق لنا أسمى أحلامنا ورغباتنا النهائية التي تملأ قلوبنا وهى الوصول إلى الفردوس السماوي – وهو فردوس الله – لا فردوس عدن الذي انتهى أمره وهذه ميزة العهد الجديد بوجه مطلق!!

الفصل الثالث

هدف بابل ووسائلها

"هلم نبنى لأنفسنا مدينة وبرجا، لئلا نتبدد على وجه كل الأرض" (تك١١: ٤)

الهدف المزدوج:

إن التأمل الذي بلغناه الآن يدفع لاتخاذ قرار حاسم بشأن "بابل" وهو "هل نقبل أن بابل تطوينا في ثناياها أم نهرب لأنفسنا منها ونعود للنظام الإلهي الذي أعده الله لشعبه الحقيقي!؟" وتحديداً للجواب لابد من حديث هنا عن: "هدف بابل ووسائلها" لأن لبابل هدف ولها أيضاً وسائل لتحقيق هذا الهدف – فما هو ياترى هدفها من وراء مشروعها الضخم من جهة بناء مدينة وبناء برج – ليس مدينة بها برج كما يتصور بعضهم بل مدينة وبرجا كما جاء بالنص الكتابي، وقد فرضت بابل اسمها عليهما كليهما فأصبحت المدينة مدينة بابل والبرج برج بابل.

فماذا يكون معنى هذه الازدواجية إذاً!؟ يقول علم الآثار بأنه كان بين المدينة والبرج مسافة بل أن بينهما مجرى النهر، ومن ثم فإنهما لم يكونا متلاصقين، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه ويدفعنا للبحث عن معناه.

ونحن نبدأ بفكرة بنيان المدينة: ونحن نعلم أن مدلولها هو "السكن" أو "الاستيطان" أي اتخاذ الأرض مقراً للسكن وهذا يكشف عن خداع بابل فى تحويل القلب البشرى نحو الأرض فإنها تصور بذلك ما يمكن أن يكون لنا من شأن وشهرة واسم وكرامة إذا استطعنا أن نتملك على الأرض – **إن بابل تستخدم هذا الهدف كمخدر لسكانها تحاول به أن تنسيهم الموت وكأنهم خالدون على الأرض إلى ما لانهاية – هذا هو هدف بابل الأول ولذلك فإنها تمثل كل نظام ديني منحرف بعيد عن الحق هو الفوضى بعينها، وهو يقدم**

لأصحابه الالتصاق بالأرض ويدفعهم للاهتمام بها – أليست هذه ظاهرة بارزة في الدينيين الذين يتنافسون مع الدنيويين في امتلاك الأرض وجعلها قبلة أنظارهم ومشتهى قلوبهم ولسان حالهم هو : "**أعطني الدنيا اليوم ودعني أترك الآخرة للغد عندما يجئ**" – أليس هذا هو الهدف الأول لبابل – وهو هدف مقبض أليم لأنه رغم الارتباط بالأرض والاستمتاع بوسائل رفاهيتها، كم من أفراد رأتهم العين ينتزعون انتزاعا من وسط هذا النعيم بغتة ولا شئ من حطام الدنيا يبقى لهم أو ينفعهم على الإطلاق – **هذا هو خداع بابل وشرها، التوسع في أمور الدنيا بقدر ما نرغب ونشتهى.. هذا هو التيار المادي الذي جرف البشرية في أنحاء شتى من الدنيا في عصرنا الحاضر**، والحال يزداد سوءاً يوما بعد الآخر، كل هذا والجميع يعلمون بدون استثناء أن رونق الدنيا زائل وأن مجدها باطل وأن كل ما تقدمه إنما هو ظل عابر، "**لأن العالم يمضى وشهوته**"، ولكن هذا هو خداع بابل الذي يجب أن نحذر منه فنخرج منها بقلوبنا ثم بكياننا ونحن بعد هنا في هذا العالم فنحيا كسمائيين نهتم بما هو فوق حيث نحن ذاهبون!!

ولكن ماذا في فكرة بناء البرج:

نرى هنا في تعجب أن بابل في شرها وخداعها كانت تعلم بان في البشر بسبب خلقتهم الخاصة المزدوجة حنين مزدوج إلى وضعين مختلفين: فهناك جانب ترابي يميل بالإنسان إلى الأرض وآخر روحاني يميل به إلى السماء.. ومن ثم **فان بابل لم تر الاكتفاء بان تدفع سكانها إلى بنيان مدينة على الأرض بل شرعت تبنى لهم برجاً رأسه بالسماء وكأنها تقول لهم : "إنني سأعطيكم الأرض والسماء كليهما" فأنتم على الأرض سادتها ولكن السماء أيضاً لكم وعليكم أن تفتتحوها لأنفسكم...!!**

هذه هي الفكرة الخبيثة التي لازالت تقدمها بابل تجمع بها فيما بين الدنيا والآخرة، الأرض والسماء، الجسد والروح.. هذا أمر أبعد في مداه من النصيب المقرر لكل نفس، **إنه مسايرة للطموح اللانهائي الذي يظهر في رغبة كل إنسان فى الحصول على أبعد الأشياء وهنا يقف برج بابل ليحول هذا الطموح ويوجهه نحو امتلاك الأرض والسماء بدون الله** – ومن هنا تنطلق الرغبات الجامحة دون أن تشبع وتقول كفى لأن بابل لن تملأ فجوة الفراغ التي في القلب البشرى. وعلينا إذاً أن لا نشتهى ما تخدعنا به بابل لأنها بمشروعيها قد تصل

بنا في النهاية إلى الحرمان من السكن في مدينة الله بل ومن الوصول كلية إليها!!

وسائل بابل:

إن أهم وسائل بابل لأجل تحقيق هدفها المزدوج دفع البشر إلى نطاق وحدة مزعومة لا يزال الناس يهتمون بها وهى محور تفكيرهم العام. إنها تظهر في المناداة بحسن الجوار والتعاطف والمحبة والتعاون.. وبابل تعرف ذلك، فقد كانت الأرض كلها في بابل لساناً واحداً ولغة واحدة وشعب واحد!!

ورغم حاجة بابل إلى بدائل – كما سلف البيان – إلا أن أهم ما كانت تحتاج إليه وحدتها الاجتماعية حتى تتمكن من تنفيذ مشروعيها بين شعبها بالعلاقات والتضامن في سبيل هذا الانجاز العظيم وهو بناء المدينة والبرج كما سبق الذكر!!

وفى الواقع فان هذه الوسيلة الخبيثة التي أخذت بها بابل وغطت بها على العلاقات الروحية – قد لوثت العالم كله الذي أصبحت العلاقات فيه مبنية على التعاطف والتقارب وما وراءهما من سمات ضرورية لازمة للمصالح المشتركة...

وواضح إنه قد تم بذلك استغلال الغريزة الاجتماعية التي غرسها الله في البشر وهى ظاهرة في قوله عن آدم منذ البداية "بأنه ليس جيدا أن يكون وحده" – **والواقع فإننا لسنا ضد العلاقات الاجتماعية بشرط أن نبنيها على الشركة الروحية التي تسمو بها وتجعل فضائلها تتلألأ** – فإننا نريد ذوقيات مبنية على الروحانية لا مستقلة عنها، لأن الوحدة الاجتماعية المجردة الخالية من الروح إنما تنشئ إتحاداً ضد الله وانقساماً وانفصالاً بين الناس وهذه هي مأساتها إذ هي خالية من العنصر الوحيد الذي يحفظها من الفساد ويستبقيها على مدى الدهر والأبد وهي الشركة بالروح!!

ومن ثم فإننا نفهم من الكتاب المقدس أن جميع التحالفات البشرية والدينية لن تغلب الله على أمره ولن تغير ما سبق أن خططه للتاريخ من كافة الوجوه **مهما تكن معارضة المتحدين ضده والرافضين لأحكامه. إذ من الواضح أن أي اتفاق أو اجتماع ضد الله لن ينجح بأي حال من الأحوال**، ومن ثم فان جميع هذه الأنظمة غير الروحية ستتحطم لتعطى مكانها للوحدة الروحية الحقيقية التي تجمع شعب الله الحقيقي في نطاقها فإن الرباط الذي به يرتبطون معاً هو هذه الوحدة!!

الفصل الرابع

برج بابل وألسنته

"هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض" (تك١١:٧)

تكوين شعب لله:

إن أهم حقيقة تعلنها كلمة الله هي أن الرب يشاء أن يدعو لنفسه شعبا من وسط العائلة البشرية – وقد بدأت الدعوة **بالشهيد الأول "هابيل"** الذي اختار دون أخيه قايين طريق الذبيحة ودفع الثمن بان أصبح أول شهيد لله على الأرض : وسار قايين في طريق الحضارة والاختراعات أراد بها أن يغطى على صوت دم أخيه هابيل القتيل الصارخ من الأرض، لأن ذلك الصوت كان يزعجه حتى أنه طلب علامة لئلا كل من يجده يقتله مع أنه لم يكن معه أحد بعد، لكنه قد امتلأ رعباً بسبب خطيته التي كانت تطارده، **وهذا ما يفعله نسل قايين إلى اليوم، فان البشرية المتحضرة التي ورثته لا هم لها سوى السير فى طريق المدنية والاختراع لكي تغطى على دم المسيح فلا تسمع صراخ ذلك الدم مع أنه يصرخ طالبا الرحمة، لكن البشرية بوجه عام تحاول بكل ما لديها أن تغطى على صوت ذلك الدم، وهى بذلك تفصل نفسها عن الله وقد يصبح ذلك نهائياً وأبدياً...!**

لكن الله أقام نسلاً آخر بواسطة شيث الذي ولد لأبوينا بعده وعوضا عنه "ولشيث هذا ولد ابن اسمه انوش. **حينئذ ابتدئ أن يُدعى باسم الرب"** (تك٤:٢٦) **لأن الله لابد أن يتابع السلسلة ويوجد له شعبا خاصا على الأرض! وهكذا انتعشت الديانة الحقيقية بانفصال وتمييز أولئك المكرسين لله من هذا الوقت فصاعداً!!**

على أن الأمور تطورت عندما وصلت السلسلة إلى "نوح" وجاء الطوفان وأخذ

الجميع فيما عدا عائلة نوح – وكان من المنتظر بعد ذلك أن تكون عائلة نوح كلها لله بعد الطوفان، ولكن وآسفاه سرعان ما تكتلت في أرض شنعار، وظهر "نمرود" حفيد حام ابن نوح، **الذي قام بهذا التكتل لتوحيد عائلة نوح كلها وإقناعها بالسكن معا في بقعة واحدة لمناوأة قصد الله في تعمير الأرض، وقام ببناء مدينة لهم وبرجا متحديا بهما الله عن طريق وحدة شكلية ظاهرية تعترف بالله اسما ولكنها كانت في صميمها ضد الله رغم اعترافها هذا...!!**

وهكذا نرى العدو منذ البداية ينشئ وحدة بين البابليين لوجود التشابه فيما بينهم شعبا ولغة ولسانا ولكننا نعلم أن هذه الوحدة سرعان ما تتفتت وتذوب لأنها كانت في الأصل بركة لكنها تحولت على أصحابها إلى لعنة بسوء استخدامها!!

بداية الكنيسة الاسمية:

بهذا نصل إلى هذه الحقيقة وهى التي تجعل موضوع "بابل" حساس للغاية له تأثيره الواقعي البعيد المدى، والذي يقصد الله من ورائه أمرا وهو أن نعد أنفسنا للخروج من بابل كشرط أساسي للحصول على امتياز الوجود ضمن شعب الله الحقيقي بأن نصبح أحجارا حية في الهيكل الأبدي. **وهذا الباعث يدفعنا بلا شك للبحث عن طريق الرب بأكثر تدقيق والتخلي عن التعصبات المذهبية والأفكار الشخصية وهما قد يغلقا على أصحابهما طريق الله إلى الأبد، إذ إنه من المؤكد بأن لا شئ قد أضاع معالم الطريق إلى الله قدر المذهبيات المغلقة والتعصبات المتزمتة التي أقامت بين البشر أسوارا من الحواجز فصلتهم بعضهم عن بعض وبالتالي وقفت في طريقهم إلى الله!!**

هذه مع الأسف هي صورة الكنيسة التي ظهرت فيما بعد – وخاصة خلال العصور الوسطى المظلمة – تحمل مواصفات جماعة بابل تماما ... إنها توصف بالكنيسة أسما لأنها تعترف بالرب بالشفتين كما فعلت بابل من قبل.. **لكنها تعترف به وتقف ضده في آن واحد : وذلك لكونها تعتنق شريعة نمرود الذي معنى اسمه "نحن نتمرد" فالمتدينون البابليون كلهم نماردة ولكنهم إنما يتلاعبون بأنفسهم، والله قد ترك لهم المجال وأتاح لهم الفرصة لاختبار قوتهم.** وكانت أول مسألة رهيبة تنكشف لنا عند برج بابل هي التوحيد الظاهري البادي في "الشعب الواحد واللغة الواحدة"

وكان البشر مجموعين معا في وحدة شكلية – **وهذا ما فعلته الكنيسة الاسمية تماما أنها تمارس التكتل والعمل على تشكيل "شعب واحد متجانس" لا اختلاف قط بين أفراده، وهكذا هي تدفعهم إلى الاستغراق في شكل معين لا يمكن ولا يجوز تغييره** – وهكذا ارتضى البابليون أن يتكونوا في شكل أغلبية ساحقة لا مكان للفرد لأن يتحسس موقفه في نطاقها.. وتأتى الطامة الكبرى هنا باستناد الكنيسة الاسمية إلى الكتاب ظاهريا، في حين أنها تتجه إلى التقليد باطنيا بل وصل بها الحال أن قالت بان الوحي ليس هو في الكتاب المقدس وحده بل أن التقليد نفسه الذي اعتبرته أصله وواجب التسليم به مثله بالرغم من أنه غير معصوم وليس له سلطة كلمة الله الذي يتضمنها كتابه!!

ففتحت "بابل" الكنيسة الاسمية باب المشاكل بما أضافته على المكتوب، وبما أدخلته من أمور تخالف الكتاب المقدس ولكنها قد فرضتها فرضاً... وبرفعها التقليد إلى مستوى الكتاب المقدس أفقدته اصالته وكرامته إلى حد ما!!

وذلك لأنها لم تقف عند هذا الحد بل اخترعت لنفسها اسم غريب وجذاب وهو: "الكنيسة الجامعة" الواحدة الوحيدة بالطبع، **ومع أن هذا هو وصف : "عروس المسيح" التي تتكون من المؤمنين الحقيقيين مكتملي الاختبار، إلا أنها تطاولت عليها فيه وانتحلته لنفسها بغير وجه حق!** لأنه لمن هي جامعة؟ إنها جامعة لأكثريات هائلة من المتدينين الذين هم من الصنف البابلي مع فئات قليلة من المؤمنين الذين هم إما من قصار البصر الروحي أو ممن يعتقدون بضرورة البقاء في نطاقها للشهادة. **ومع ذلك فإنها تنعت من لا يندمجون في كيانها بأوصاف مهينة، معتبرة إياهم من الخوارج ومنذرة لهم بالويل والهلاك لمجرد أنهم اكتشفوا وجودهم الشخصي الخاص وتكونت لديهم بذلك علاقة مباشرة مع خالقهم وفاديهم العظيم**، فأصبحوا مرتبطين برأسهم بالروح القدس بدون أي وساطة أو تنظيم بشرى فيما يتنافى مع إعلان العهد الجديد ووضعه! **وإذا فان الاندماج في كيان الكنيسة الاسمية أمر شديد الخطورة وهى نفسها تعترف بذلك بما**

تمارسه من صلوات جنائزية على الموتى الراحلين متخلفة عن كتاب الموتى الذي كان يضعه الفراعنة في توابيت موتاهم فهم يطلبون لهم السماح بالدخول إلى السماء عند تشييعهم وفيما بعد ذلك تأكيداً منهم بعدم دخولهم لها!!

ألسنة البروتستانتية:

وهنا نستخلص مما سلف ذكره من رؤية تجميع الكنيسة الاسمية في بابل مجابهة الله لها بألسنة البروتستانتية الغريبة التي ظهرت مبدئيا عند التقدم في بناء برج بابل، ونعلم من التاريخ المسيحي قيام الله بعمل مشابه لما عمله في بابل، **لأنه عندما تشامخت الكنيسة الجامعة (الكاثوليكية والتقليدية عامة) ووصل بها الحال إلى بيع صكوك الغفران والمناداة بالمطهر وتخفيف عذاباته بصلوات القداس الجنائزي، ورأى الله أن الحالة بلغت هذا المدى، أقام الله البروتستانتية فى شكل الإصلاح الانجيلى للوقوف ضد تلك الخرافات والعودة بالكنيسة إلى المكتوب، ولكن سرعان ما تحولت هذه المعارضة التي كانت في سبيل إشهار الحق إلى مجموعة كبيرة من الألسنة أي المذاهب العديدة في البروتستانتية، وكان هذا هو جواب الله الجديد على برج مسيحية بابل الاسمية**، إذ لم يكن هناك طريقة توقف نشاط البابليين المحدثين كالقدامى وتمنعهم من الاستمرار في تكملة برجهم العاجي سوى البلبلة، **وبالتالي لم تكن هناك طريقة أخرى في التاريخ تحد من استعلاء الكبرياء التقليدي وعظمة الكنيسة الاسمية غير البلبلة "حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض" وهي ما ظهرت كما أشرنا في ألسنة البروتستانتية!!**

ويمثل هذا الاتجاه "جرانت" أحد أقطاب المفسرين البليموث بقوله : "لقد تجسم فى بابل الكنيسة الاسمية – التقليدية برج بابل – فهو يمثل الاجتهاد والتكتل في نظام اتحادي للوصول إلى السماء بطريقة معينة لا خلاف فيها قائمة على المحاولات البشرية وهيهات أن تنجح مهما كانت أحلام القائمين بها فان هناك قوة عليا تحدها وتوقفها... وقد فعلت ذلك عن طريق "بلبلة الألسنة"! **ومن أسف أن الذين يحلمون بالكنيسة الواحدة ويمجدونها**

في وجه البلبلة الحادثة في ألسنة البروتستانتية ينسون أن الله هو الذي أجاب بهذه الألسنة على البرج العالي في ذلك الوقت – أفليست ألسنة البروتستانتية المتنوعة علامة على بغض الله تماما للوحدة البشرية المتمثلة في الكنيسة الجامعة!؟ والله لا يزال يفعل نفس الشئ" رغم اختلاف الآراء بشأنه!!

تحديد الموقف:

واليوم هذا هو الحال بناء البرج قائم وألسنة المعارضة لإيقافه تجابهه – لكن ينظر بناة البرج اليوم إلى ألسنة البروتستانتية العديدة فيقولون للناس أيهما أفضل لكم أن تسمعوا لصوت واحد هو صوت الكنيسة الجامعة أم أن تسمعوا لمئات أصوات البروتستانتية!؟ **وهم يقولون ذلك لأن هذه الأصوات أو الألسنة قد ضربت في الصميم وحدة الكنيسة الجامعة واخفضت من كبرياءها** – ولكن بغض النظر عن كل من الوضعين فأنهما يتعلقان ببابل أي أن البرج والألسنة منسوبان لبابل على حد سواء – ومن ثم فإننا لا نتبع برج بابل ولا ألسنة بابل – **إننا غير متكلين لا على برج بابل ولا على ألسنة البروتستانتية – لأن هذا المشهد كله محصور فى النطاق البشرى يكشف عن مشروع فاشل وألسنة تعارضه، ولذلك فإننا باعتبارنا "عروس المسيح" مبغضين من الطرفين الذين قاما بإخراجنا خارج المحلة كما فعلوا بالمسيح من قبل ولكننا بذلك قد التقينا به وأصبح هو مركز وحدتنا في خيمة الاجتماع التي أمر الرب موسى أن ينصبها له خارج المحلة (خروج ٣٣ : ٧).**

ورغم أن المجهودات لا تزال تبذل لإعادة بناء البرج وألسنة المعارضة تقاومه إلا أن الله يقوم بنفسه بعمل مضاد وذلك بألسنة يوم الخمسين الروحية وذلك فى المجتمعين باسمه فقط والخاضعين لحقه ولو كانوا اثنين أو ثلاثة!!

وفى الواقع يحدث ذلك لأن نعمة الروح القدس الحالة يوم الخمسين قد أحضرت السماء في قلوب من قبلوها وهى نفسها التي فتحت لنا أبواب الفردوس لكي تأخذنا إلى هناك... **ومن ثم فليست الشريعة المفروضة هي التي تجمع وتوحد وخاصة لو كانت**

شريعة نمرود، بل صوت الروح القدس! ليس هو البرج ولا ألسنة بابل إذ هما بلا فائدة بالنسبة لنا، **فلا الكنيسة التي تصف نفسها بالجامعة ولا جماعات البروتستانتية هما المعول عليهما، بل لسان الروح القدس الناري...!**

ولسنا ننكر بذلك عظمة البروتستانتية ولا قيمة الإصلاح الإنجيلي الذي قامت به، ولا نقلل من شأنها – كما يفعل التقليديون – لتعدد ألسنتها (مذاهبها) بسبب حرية الرأي، كما أننا نقرر بأن الله قصد بها أن يقابل البرج البابلي – **ولكننا رغم هذا كله نعلن بأنه في الواقع لا خير في برج بابل ولا في ألسنة بابل، لا فيمن ادعت أن طريق السماء يخصها وحدها بل أن مفاتيح السماء بيدها وهى في ذلك واهمة بفعل تفسيرها الخاص الذي لا يتفق مع المعنى العام للكتاب، ولا في السنة البروتستانتية المعارضة لها – فالحقيقة قد كشفت هنا عن نفسها بان السنة البابلية المحيرة هذه إنما كانت الجواب الإلهي الذي وجهه الله لهذا البرج المتعالي، وقد دل ذلك على أن لا خلاص لا في برج الكنيسة الجامعة ولا في السنة البروتستانتية العديدة التي تعارضه، وإنما الخلاص هو في ألسنة الروح القدس – وهذا هو الأصل الذي بدأت به الكنيسة الأولى وعلينا أن نعود إليه!**

ونعلم أن الذي يقوم بفصلنا عن دائرة بابل بأسرها هو الروح القدس نفسه، فهو الذي أنشأ منذ البداية نظاما جديدا يتمثل في دعوة الكنيسة كجسد للمسيح وعروسه، وهو الذي بدأ تجميعها ابتداء بالمائة والعشرين، وعلى مجرى التاريخ، **وهو الذى وضع في قلوب ذوى الإخلاص من كل الطوائف الاستظلال بظل يوم الخمسين، وخاصة وقد بلغنا إلى الانتعاش الأخير الذي يعد العروس في وقت النهاية لمجئ العريس!** فهذا الذي يعتبره البعض بلبلة ونشاز في ألسنة يوم الخمسين هو الوسيلة الأصلية لجذب النفوس والإتيان بها إلى ملكوت الله وإعداد العروس لعريسها الأبدي، وهى في الواقع لن تقول للعريس تعال بدون الروح، فإن هذا النداء يصدر من "الروح والعروس معاً" (رؤيا ٢٢ : ١٧).

***

الفصل الخامس

ألسنة بابل ويوم الخمسين

"هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم. فبددهم الرب من هناك" (تك١١: ٧)

"فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته" (أع٢: ٦)

بابل ويوم الخمسين:

لأسباب كثيرة يصعب على العقل البشرى أن يكتشف حقائق الأمور بسهولة لأنه مكلف بالبحث لا في ظواهر ومظهريات الأشياء بل في بواطنها وأعماقها.. ولذلك فإننا في حاجة قصوى في جيلنا الحاضر لأن نواجه هذه القضية التي اشتهرت باسم "قضية الألسنة" **التي يقف منها البعض موقف الانتقاد السطحي، ويتخذ البعض الآخر موقف التحفظ منها...** وحتى الذين لهم الموقف الايجابي في بحثها يتوقفون إلى حد ما في ذلك من جهة فهم طبيعتها والقطع برأي من جهة وضعها وخاصة في العهد الجديد بعد يوم الخمسين مما حدا بالبعض إلى الزعم بأنها تختص بالعصر الرسولي وقد أنتهى أمرها!!

ولنا الآن هنا تأملات مقابلة فنية دقيقة لتحديد القرار والحكم من جهة "قضية الألسنة" بحد فاصل – وفى حقيقة الأمر نجده من المستحيل أن ندرك الحقائق التي تدور حول هذه القضية بغير الربط بين بابل ويوم الخمسين فهما قمتان عاليتان متقابلتان في موضوع "الألسنة" **ولذلك كان من المناسب أن يكون عنوان تأملاتنا**

الحالية "ألسنة بابل ويوم الخمسين"، وسنرى في أي دائرة من هاتين الدائرتين يقرر كل منا وجوده!!

ومن ثم كان لابد من إجراء هذا الربط بين بابل ويوم الخمسين **لأنهما تمثلان بدايتان الأولى "بداية الكنيسة الاسمية" والثانية "بداية الكنيسة الحقيقية"**، فضلا عن اشتراكهما معا في قضية الألسنة الأمر الذي يحتم إجراء المقارنة فيه وبيان الفروق التي تميز بين الحالتين لتحديد الوضع السليم بالنسبة لكل منهما، ونرى في ذلك:-

أولاً: في ألسنة بابل ويوم الخمسين نجد استعلان ملكوت الله:

على أن هذا الاستعلان إنما جاء بشكلين مختلفين – لأننا وان كنا نجد في يوم الخمسين ما هو مشابه لما كان في بابل من قبل، وهما بذلك متحدتان من جهة وجودهما داخل ملكوت الله – **إلا أن الأولى منهما كانت إعلانا عن هذا الملكوت في إخضاعه العصيان بمعجزة ألسنة في بابل** وقد ظهرت قوة الله في هذا الإجراء غير الطبيعي، **وأما في الثانية فقد ظهر ملكوت الله في يوم الخمسين في شكل اعتراف الله بكنيسته ومنحها الألسنة الأخرى علامة على ملئها بروحه** – فهي الإعلان عن ملكوت الله في شكل جديد فيمن خرجوا من اليهودية مع من ضم إليهم من المؤمنين من كل أمة ولسان – **وهكذا صارت الألسنة يوم الخمسين الرمز الجميل لعمل الروح القدس واضعا كل من يقبلونه الآن تحت إدارته المباشرة!! وهذه معجزة أيضا لأنها تتحدث عن تداخل إلهي خارج المألوف والمعتاد**، وكليهما يدل على إبراز ملكوت الله أي إستعلان الله كالملك الأعلى حاكم الكون بسلطان مطلق وكلمته هي العليا النافذة سواء في اخضاع العصاة أو الاعتراف بالطائعين!!

أما **بالنسبة لبابل** فقد كان شكل الملكوت هو تفرقة الشعوب ببلبلة الألسنة لكي يملأوا كل الأرض فيمتد بذلك ملكوت الله إلى كل مكان، وكانت الأرض كلها لسانا واحدا وقرر سكانها في بابل عدم تنفيذ قصد الله سالف الذكر، ومن **ثم بلبل الله بمعجزة الألسنة هذا اللسان الواحد وجعله مجموعة من الألسنة هي أصل اللغات الحالية** التي قد تربو على الألف لغة ولهجة! هكذا اثبت الله عن طريق فرض ملكوته هذا وتنفيذ حكمه في البابليين إنه رب العالمين "إله السماء وإله الأرض أيضاً"، رب الجميع حتى الهالكين أنفسهم هو ربهم وإلههم رغم أنفهم!!

أما **في يوم الخمسين** فنشاهد الملكوت بشكل آخر وهو توحيد الشعوب داخل هذا

الملكوت الأمر الذي سينتهي بجمع أولئك الذين سيأتون من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب حول عرش الحمل المجيد في السماء ... **ولذلك فمن الأفضل لنا أن نقبل أن نكون ضمن شعب الله في ملكوته هذا من أن نبقى مع جماعات الناس المتفرقة في شتى المذاهب لابتعادها عن يوم الخمسين! وذلك لأن ألسنة يوم الخمسين إنما تعنى ظهور ملكوت الله في شكل مسكوني لاحتواء كل من على الأرض في نطاقه**، ولذلك قصد الله بجماعة المؤمنين المجتمعين في العلية يوم الخمسين أن يتكلموا بألسنة كل الأرض – ولا يزال هذا متناسباً مع الملكوت وشموله مما ينفى مزاعم من يرون انه لم يعد لها مكان ولا لزوم لها من بعد العصر الرسولي!!

ثانياً: في السنة بابل الدليل على خطية البشر أما السنة الخمسين فهي إعلان عن عصر نعمة الله المقدمة لجميع الناس:

في بابل أظهر الله غباوة البشر في محاولة توحيد أنفسهم على حساب اللغة الواحدة لبناء مدينة تجمعهم وتقاوم قصد الله في تفريقهم ليملأوا الأرض، ومع المدينة برجا يصلون عن طريقه إلى السماء، فنزل الله هناك وبلبل لسانهم ليعرفهم بطلان مشروعهم وبددهم على وجه كل الأرض.

أما ألسنة يوم الخمسين فهي الترياق الشافي من ذلك الانقسام، وذلك لأنها الإعلان عن تقديم إنجيل النعمة لجميع الناس في كل الأرض، وبها تم إعادة توحيد الشعوب وتحقيق الوعد لهم بالسكن في خيام سام.. إنها إعلان عن النعمة في سعتها خارج الحدود اليهودية الضيقة **لتعلن عظائم الله بكل لسان ولكل أمة** (فقد بدأت باليهود لكنها لم تنحصر فيهم فقد فتحت الباب للأمم بحسب سلطان الله) **لأن الروح القدس نزل بسلطانه الفائق ليغمر كل قبيلة تحت السماء!**

وهكذا يقدم لنا يوم الخمسين شهادة جميلة نرى فيها الله فوق البلبلة – التي جاءت نتيجة الخطية – بل أنه قد وجد حتى في ما تخلف عنها من ألسنة وسائل اقتراب من قلب الإنسان، وهكذا تسامت النعمة فوق **الخطية ونتائجها بألسنة يوم الخمسين التي نجد فيها إعلانا لنعمة الله ورغبته في أن تصل رسالة عهده الجديد إلى كل إنسان في أرجاء المسكونة...!**

ومن ثم فان ألسنة يوم الخمسين لم تكن لسانا واحداً بل ألسنة عديدة إشارة إلى أن

الأمم ذوى اللغات المختلفة يجب أن يعلن لهم عن العهد الجديد دون أن يقتصر الإعلان على اليهود فقط .. **لأن النعمة قد تحكمت في خطية الإنسان وعواقبها إذ افتقدت جميع البشر وقدمت لهم بشارتها كل واحد بلغته... وكانت ألسنة يوم الخمسين مجرد الإعلان عن ذلك...! لأن موعد الروح هو من البداية لكل من يدعوه الرب إلهنا...** (أع١ : ٣٩).

وبينما كانت ألسنة بابل قضاء جلبته الخطية على البشر، إذ بألسنة يوم الخمسين إنما هي رفع لذلك القضاء، وعندما دوت من محطة إذاعة العلية معلنة الفداء، فإنها بذلك انتصرت على ألسنة بابل لكونها ألسنة الخلاص!

ثالثاً: كانت ألسنة بابل عقاب ولعنة بينما ألسنة الخمسين بركة وامتياز:

فألسنة بابل نرى فيها البلبلة والشتات أما ألسنة الخمسين فقد جمعت الشتات معاً وأوجدت الوحدة المباركة بل إنها جذبت جمهوراً دخل في نطاق هذه الوحدة المقدسة وانضم بذلك إلى "جماعة الله"!

وبينما كانت ألسنة بابل معجزة تفريق أسقطت البشر من ديانة الحق وفرقتهم فانفصلوا بعضهم عن بعض عندما تشتتوا بالضرورة ببلبلة الألسن واضطروا إلى ترك وادى شنعار، فإنهم قد حملوا معهم من هناك الشاهد عما منعهم من عملهم الذي كانوا قد شرعوا فيه وقطعوا شوطا من الزمان فيه إلى أن أوقفتهم ألسنة بابل.

وأما ألسنة يوم الخمسين فقد كانت – بعكس ما ذكر – معجزة تجميع أسقطت الحواجز العنصرية وجعلت البشر عائلة واحدة هي عائلة الله فما أعظم الفرق بين هذين الوضعين في ضوء هذه المقابلة!!

ومن المعلوم أن معجزتي بابل والخمسين لا تزال مستمرتين: ألسنة بابل يتبعها الانقسام دائما، أما ألسنة الخمسين فهي مظهر الوحدة المقدسة.

تلك كانت عقابا ولعنة للتبديد والتشتيت وقد تحول البشر بها إلى شعوب وقبائل توزعت على وجه الأرض بالبلبلة التي أخضعهم بها الله لخطته، أما ألسنة الخمسين فإنها بركة وامتياز ليس أنها صدرت فقط عن أصل واحد موحد وفى شكل واحد مبارك فكان الأصل لها هو لسان الروح القدس وقد توزع في مختلف اللغات – **ولم تكن هنا ألسنة**

بلبلة وتبديد بل كانت ألسنة تقسيم وتوزيع في نطاق الوحدة الروحية السامية، ولذلك فان هذه الألسنة المنقسمة قد ظهرت وهم بنفس واحدة معلنة بذلك وحدتهم بل وقد امتد فعلها بجذبها لجمهور من الذين أتوا للعيد في أورشليم... (أع٢:٦) كان ذلك هو مطلع جذبهم، ولم تكن عظة بطرس التي تلت ذلك هي كل شئ في خلاصهم، لأن من يظن ذلك فقد أغفل دور الألسنة الواضح من النص المشار إليه آنفا **والذي نتبين منه أن الجمهور تراكض في شوارع أورشليم في اتجاه العلية عندما سمعوا صوت الريح العاصفة ومعه ألسنة تدوي في الفضاء بشتى اللغات...!**

وهكذا نرى كيف أن ألسنة الخمسين هي ألسنة تجميع، وليست كألسنة بابل التى كانت للتفريق : وقد ذكرت مجموعة من ألسنة يوم الخمسين كعينة ولكنها تمثل اتساعا لا يتوقف إذ لابد له من احتواء شمول جميع اللغات، وقد عالج الله بذلك موقف الانقسام القديم! **إننا هنا أمام ألسنة تجميع وتوحيد لأن مصدرها روح واحد يتوزع بلا انقسام وقد أبدلت ألسنته العقوبة ولعنتها المتمثلة في ألسنة بابل بالخلاص وبركته إذ بها تم "الجمع"** وهذا ما تعنيه كلمة "العنصرة" التي يسمى بها البعض يوم الخمسين (عساريت) ولقد كانت في القديم جمع للباكورات يسبق الحصاد العام.. وقد ورد ذكرها في (لاويين ٢٣) وهو ما يشرف عليه الروح القدس الآن عن طريق النهضة المجيئية الحالية الحادثة في زماننا والتي يتسع نطاقها يوماً بعد يوم وهي ما تحدثت عنه النبوات من قبل

فما بال المفسرون العصريون يحولون النبوات إلى تاريخ تمت احداثه في الماضي فيفقدونها معناها ويطمسون مضمونها بلا موجب!!

***

الفصل السادس

ظاهرة التكلم بألسنة

"أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحُكام وإذ أتوا بهما إلى الولاة قالوا: هذان الرجلان يُبلبلان مدينتنا" (أع١٦: ٢٠)

"انظروا أيها المُتهاونون وتعجبوا واهلكوا لأنني عملاً أعمل في أيامكمَ عملاً لا تصدقون إن أخبركم أحد به" (أع١٣: ٤١)

منطقة مجهولة:

لا شك عندي أن اختيار هذه الموضوعات التي نتداولها بالتأمل أمر صعب المنال لأنها من المناطق المجهولة من الكافة بالإطلاق ومن جمهور المتدينين أيضا، وفضلا عن ذلك فقد جعل العدو منها أرض معركة مديدة ومريرة حتى يمكن أن يُطلق عليها "أرض المشاحنات". ويريد إبليس أن يجعلها هكذا لكي يبعد كل من استطاع إبعاده من الناس حتى يحرمهم من بركة الخلاص الحقيقي أثناء قيامه بمهمته في تضليل الساكنين على الأرض لأن هذا ما يؤديه بكل نشاط واجتهاد بغية تحقيق إهلاكهم. ولذلك فهو يسعى لإبقاء الأوساط الدينية في جهلها بالأمور الروحية حتى يحرمها منها، ويقوم بتحريف الكتب المقدسة تحريفاً معنوياً (لا حرفياً) "بواسطة غير العلماء وغير الثابتين وذلك لهلاك نفوسهم" (٢بط٣ : ١٦).

لكننا من وجه آخر غير متروكين لحيل إبليس ومكره وذلك لأن من يقبلون روح الحق فانه يرشدهم إلى جميع الحق ويكشف لهم أفكار العدو حتى لا يطمع فيهم قط (٢كو٢ : ١١)...

وبذلك نجابه المنتقدين بعلم يقيني واختبار قاطع بان هذه الأمور الروحية لم تعد مجهولة منا – كما كانت في أزمنة سابقة – بل قد سلط عليها الروح القدس الضوء الكافي كما أنار بصائرنا فيها وقد وسع نطاق من تضمهم هذه الدائرة توسيعا مستمرا بغير توقف! **وهنا يجوز لنا القول بأنه إن كان الله إعلانا لملكوته في القديم قد ضبط العصاة بالألسنة، فبالأولى جداً هو يضبط المؤمنين في العهد الجديد بالألسنة الروحية تحقيقا لنفس الملكوت!!**

ومن ثم فان حلقات هذا التأمل الذي نقوم به لم تكن عبثا بل جاءت بأمر الرب كنوع من التحدي الذي لا يمكن أن يقوم به سوى الروح القدس وحده وذلك لصعوبة الموضوع وكثرة المنتقدين وفراغ خطوط الدفاع **حتى تعذر وجود من يقف في الثغرة لمواجهة الموقف، وظن المتدينون المذهبيون أن ظاهرة الألسنة الروحية بلا أساس من الكتاب، بالإضافة إلى مقابلتها باللامبالاة وعدم التقدير حتى من أغلبية المرحبين بها والمتخذين منها شعاراً لهم!!**

ظاهرة ثنائية:

وهنا لابد من تحديد الموقف إذ إنه كيفما يكون الأمر من جهة هذه الظاهرة وأنواع تفسيرها فان الواقع يشهد بوجود فرق هائل بين اللغات القديمة والتي انتشرت بين الناس عقلانيا لا صلة لها بالقلب أو الوجدان وبين لغات العهد الجديد الروحية أي التكلم بألسنة بالروح القدس : تلك لغات طبيعية بدأت في بابل ونطاقها العقل – إذ هو صاحب الاختصاص في شأنها، وعليه مهمة فهمها وتَعلُمها ومن هنا سار تعليم اللغات في كل مدارس العالم ابتداء من أبجديتها إلى مرحلة استيعاب معاني كلماتها..

أما ألسنة الخمسين المنبثقة من الروح القدس في دائرة العهد الجديد فهي لا تتصل بالعقل لأنها ليست بألسنة عقلية ولا هي مما يُدَرس في المدارس وهى لذلك ليست من اختصاص العقل ولا شأن لأساتذة اللغات بها لأنها انبعاث فائق للطبيعة يأتي كرد فعل للامتلاء بالروح! أنها تأتى بعد أن يمتلك الروح القدس كيان المؤمن كله فيملئ به قلبه

(إنسانه الداخلي) ثم يفيض به لسانه (إنسانه الخارجي) وهذا يعنى ضمنا بأن كل كيانه يخضع لهذا الملء ويتأثر به ويتجاوب معه لا جزء من الكيان (أياً يكون) حسب ما ذهب إليه المنتقدون! الذين أوقعهم الشيطان فى ضلال ترذيله للألسنة ثم إيقاعها في فخ الفحص العقلي فقالوا أن هذه الظاهرة يجب أن نفحصها فحصا عقليا محضا بل ادعوا أنهم أجروا في بعض الحالات هذا الفحص على يد متخصصين في اللغات فلم يجدوا أنها تطابق أي لغة من اللغات الحية، وبذلك اتجهوا إلى تسفيهها ووصمها بأن وصفوها "بالرطانة" وبأنها حالات هستيرية وتوترات عصبية، ومنهم من ناقض هذا كله فأقر بأنها من أرقى حالات هيام الروحي ولكنها وعرة المرتقي وعسيرة التمييز!

ولكن الحقيقة لا وجه للشبه بين حالات الهيام الروحي والأمراض النفسية والعصبية وثابت عند الفحص الجاد أن أعقل وأصح الناس هم الذين يتكلمون بألسنة أخرى، **ودليل صحة عقولهم وسلامة نفوسهم أنهم ارتضوا أن يسلموا أنفسهم لله ليقبلوا انسكاب روحه عليهم فيتكلموا بألسنة أخرى مصدرها الروح القدس وهم متأكدون من ذلك تماماً!**

والمنتقدون لا يريدون أن يعلموا بأن هذه الألسنة – سواء كانت مفهومة أو غير مفهومة – ليست عقلية بل روحية... ومن خطل الرأي أن يقال بشأنها أن الذين نطقوا بها كانوا يعرفونها **إذ أنهم في الواقع لم يكونوا قد تعلموها من قبل وإلا فإنها لن تكون نطقا اعجازيا فائقا للطبيعة**، كما أنها عند بدء حدوثها في يوم الخمسين وقت أن تكلم بها المائة والعشرين لم تكن مفهومة منهم، غير أن جماعات مختلفة من الجمهور قد فهمتها وهم الذين وجدوا ألسنتهم فيها فتعجبوا وتساءلوا، وأما الذين لم يجدوا فقد ابتدأوا ينتقدون ظناً منهم أنها كانت حالة ناشئة عن شربهم خمراً جديداً... **وهذا الانقسام في الرأي باقي إلى اليوم : ومع أن هناك حوادث تاريخية أكدت لدى سامعيها بأن الألسنة مفهومة إلا أن هناك من لا يفهمها فيسخر منها**، وهذا هو الموقف إلى الآن الذي يصف من فهموا الألسنة ومن لم يفهموها... **ومن المؤسف حقاً أن معظم العالم المسيحي قد اختار لنفسه الوضع الأخير وقد اتفقوا فيه بما يشبه الاجماع!!**

ومن ثم فقد رأى الناقدون المذهبيون في أن الألسنة الحالية هي مجرد رطانة – أي مقاطع ألفاظ غير مفهومة – ولسنا نعلم من أين استقوا هذا الرأي الفاسد، وها الرسول

يعلن في معرض حديثه عن الألسنة بان هناك افتراض بأن يحدث تكلم بألسنة الناس والملائكة... وبأن هناك أنواع لغات هذا عددها في العالم وليس شئ منها بلا معنى (١كو١٣:١، ١٤:١٠)، **ورداً على ما حواه اعتراضهم سالف الإشارة نسألهم هل يوجد في أي وقت أساتذة لغات متخصصون يعرفون كل لغات العالم والملائكة** حتى يتجرأ أمثال هؤلاء الأدعياء على قول كهذا ليس من داع له سوى التحزب لمذاهبهم وعقائدهم الخاصة... ولذلك نجد أن مناقشاتهم حول الألسنة بالذات تتميز بالتردد وعدم التقرير وكأنهم يتحسسون طرقهم في ضباب قد ملأهم بالشك والغموض!!

قلب الأوضاع:

ونحن في متابعتنا لهذه الظاهرة، قد وجدناها في الواقع ظاهرة عالمية أي أنها تحوى الجنس البشرى كله وذلك لأن الإنسان – كانسان – كائن متميز بميزات أهمها بعد العقل "النطق" الذي هو وسيلة التعبير عن نفسه، وهو وسيلة الاتصال بالآخرين أيضاً... فعندما ظهرت اللغات في بابل كانت الدنيا كلها تتكلم بألسنة كل فريق أو شعب منها يتكلم بلسانه الخاص!

ومما يثير الدهشة أن البشر إذ وجدوا أنفسهم يولدون كل في دائرة اللغة التي تخصه، صارت هذه اللغات أمراً طبيعياً لا استغراب فيه، مع أنها أضحت حائلا وفاصلا بين البشر، وهى عامل أساسي من عوامل الانقسام إلى اليوم إلا أنهم لا يرون فيها عقابا أو لعنة، مادامت قد صدرت بأمر الله وأصبحت شيئا عاديا مألوفا وفقا لتقسيم الشعوب والقبائل، وهم يقولون ذلك رغم ما تحمله من عقاب وتأديب لأنها مانعة للتجانس والتجمع والتفاهم... ولذلك فقد رأوا اللغات في عالم الطبيعة بركة وكل من يقتدر في معرفتها بل بقدر عدد اللغات التي يعرفها شخص ما يكون افتخاره، **برغم أنها علامة وضع الإنسان تحت العقاب أصلا، وهم في نفس الوقت يعتبرون ألسنة الروح القدس (الحالية) بلبلة ولعنة على الذين يختبرونها، مع أن هذا الذي يعتبره الناس فوضى وشغب هو في الحقيقة عين الوحدة والانسجام!!**

وهنا يقلب إبليس الأوضاع بهذه التصورات المتناقضة التي وصلت إلى حد القول بأن ألسنة كنيسة كورنثوس إنما كانت ألسنة طبيعية لا روحية لأن كورنثوس كانت

مركز تجارى عالمي : كلام هو عين الهراء ليس فيه ذرة من الصحة لكن قائليه يتخذون منه مهربا عند مواجهتهم لحقيقة الألسنة الروحية، ولكنه مهرب فاشل بلا شك... وهـذا كله مبنى على تمويه من الشيطان بأنه مادامت الألسنة الطبيعية من صنع الله فلمـاذا لا يكون هناك اقتناع بها – فلما أعاد الله نفس الظاهرة – الألسنة – في العهد الجديد روحيا مستبدلا ما هو طبيعي بما هو فائق للطبيعة – آخذا ألسنة العصيان ومحولا لها إلى ألسنة خلاص وناقلا لها عن طريق العقل إلى الروح مريحا ومفرحا من يختبرونهـا **لأن مـا يعمله روحه القدوس هو أرقى وأمتع بلا شك مما يعمله العقل** – ظهرت المتناقضـات والاحتجاجات وقلب الشيطان الآية مصورا للناس أن ما أصبح أمر طبيعي فـي لغـات البشر (العقلية) إنما هو مقبول لا اعتراض عليه، مع أن أصحابه الأصليين من البابليين خرجوا به من أرض شنعار وعليهم هذا العار أي بلبلة اللغات التي فرقتهم... وأقامـت بينهم الحواجز العنصرية، عندما تغير وضعهم فلم يعد بعضهم يسمع لسان بعـض، أى أنهم أصبحوا لا يفهمون لغات بعضهم بعض، وهذا هو العقاب الذي كان من آثار البلبلة – **ولكننا وجدنا الشيطان يبرر هذه الألسنة التي هي عقاب ولعنـة ويسـفه الألسـنة الجديدة التي هي بركة ونعمة**... هذا من عمل إبليس الذي يلبس الحق بالباطل والباطل بالحق حتى يغرر بالبشر، وقد ضحك على العالم بأسره **وخاصة المسـيحية المذهبيـة التي صور لها بان استمرار التكلم بالسنة إنما هو بدعة وهزيان عند قـوم متـوترى الأعصاب**... وقد بيّنا بما قدمناه أن ألسنة بابل لغات أعجمية غير مفهومـة لـدى مـن انقسمت بينهم ولم تكن لها ترجمة بينما ألسنة يوم الخمسين كانت مفهومة لـدى الـذين سمعوها في لغاتهم وهى غير مفهومة عند الذين لم يسمعوا لغتهم... ولا شك أن بلبلـة الألسنة في بابل كانت كلها غير مفهومة لكي لا يفهموا لغـات بعضـهم بعـض ولـن يخلصهم من ورطة صعوبة التفاهم هذه محاولة التغلب عليها بالإشـارات أو غيرهـا – وهكذا بقيت هذه اللغات والتي سرت من بابل إلى البشر عبر عصور التاريخ – حـائلا وفاصلا بين البشر، وهى عامل أساسي من عوامل الانقسام إلى اليوم بين البشر، بعكس ألسنة يوم الخمسين وما بعده إذ هي التي توحد أصحابها في الملكوت.

وواضح من النص الذي صدرنا به هذا الفصل عن بولس وسيلا عند إحضارهما أمام الولاة كيف أن الاتهام الخطير الذي وجه ضدهما كان "**إننا وجدنا هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا (فيلبى)**" – كانت هذه هي سمة العصر الرسولى فلما حط بولس وسيلا الرحال هنا **حدثت بلبلة بانتشار ظاهرة الألسنة التي منذ أن اتسم بها العهد الجديد والشيطان لا يكف عن وصفها بهذا التصوير المعكوس "بلبلة"** – فالشيطان لا يقيم وزنا للغات الطبيعية ويكفى ضررها في عزل البشر بعضهم عن بعض، **ولكنه عندما تأتى ألسنة الروح القدس في المشهد فإنه يحضر شعار بابل اللعين ويضعه عليها، وإلى اليوم وآسفاه نسمع من قادة دينيين تقليديين ومذهبيين ان ألسنة الحركة الروحية إنما هي بلبلة (شوشرة وفوضى)** وهذا داخل في نطاق افتراءات إبليس كما رأينا، الذي لا يضايقه شئ مثل حقيقة الألسنة الخمسينية والفيض الروحاني الذي تنبع منه وهو يعلم يقينا أنها ليست في منطق الطبيعة ولا في دائرة العقل لأنها فائقة لهما – إنها تيار الروح القدس الذي يأخذ من يقبله إلى هذا المنطلق العجيب!

وهكذا استطعنا أن نرى بان الشيطان يرغب ويسعى في قلب الأوضاع لكي يبرر ما هو تحت لعنة الله ويوصم ما هو تحت رضاه : فاخترع بالضرورة مسألة الخلط بين الأمرين – فهو يخفى من جهة عار المشتتين من أرض شنعار "بالألسنة" التي أعلنت عجزهم عن إتمام مشروعهم في بناء البرج – وهذه الوصمة عقاب على البشر إلى اليوم في عالم الطبيعة، وعندما عالج الله الموقف بنعمته الفائقة في العهد الجديد دفع إبليس أقوام عديدة إلى التشكك والنقد المرير! ولكنه والحمد لله قد غُلب على أمره لانتشار هذه الظاهرة في جيلنا الحاضر بظهور طائفة "الكاثوليك الخمسينيين" وتحرر الكثير من الكنائس حتى أصبحت تحمل لقب "الحرة" بجوار اسمها لقبولها الألسنة الروحية وهكذا يزداد بالملايين الذين يتكلمون بألسنة الروح! فقد فتح الرب الباب لملايين من البشر ليقبلوا الروح القدس في الحركة الكارزماتيكية الحالية التي اتسع نطاقها وازداد انتشارها حالياً في نطاق العالم مؤيدة بآيات المعجزات!!

***

الفصل السابع

ما عسى أن يكون هذا؟!

"فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى أن يكون هذا" (أع٢ : ١٢)

سؤال يوم الخمسين:

"ما عسى أن يكون هذا؟!" هذا هو سؤال يوم الخمسين الخالد، وهو لا يزال نفس السؤال الذي يدور حول هذه الظاهرة "التكلم بألسنة" في الوقت الحاضر لدى أبناء جيل النهاية.. وهذا السؤال يعطي الفرصة لفحص الألسنة كتابياً وذلك للبحث عن الجواب الصحيح له. فقد سمعنا تفسيرات كثيرة ملتوية ومتعنته ضد هذه الظاهرة وكأنها غير موجودة في كلمة الله. وقد أصابهم التردد وعدم التقدير وجعلهم عاجزين عن إجابة سؤال يوم الخمسين الذي لا يزال يتردد صداه إلى اليوم وهو: "ما عسى أن يكون هذا؟!".

ولكن لما كانت كلمة الله قد فرضت وجودها، كان لابد للعقليين المذهبيين من اختراع هذه التفسيرات وابتداع تخريجات بها يقصدون إبطال هذا الاختبار ومعاندته، **وهم لذلك يتحدثون عن الألسنة مجردة من كل تعريف فيقولون عنها التكلم بألسنة وعلى الأكثر "موهبة الألسنة"**.. وهذه الأخيرة بالنسبة للكثيرين فكرة مريحة لأنهم يجدون في دائرة "موهبة الألسنة" القول: "ألعل الجميع يتكلمون بألسنة" ويستنبطون منه أنه ليس الجميع يتكلمون بألسنة فيرفضون عنها التعميم ويحددون لها التخصيص، الأمر الذي أوصلهم إلى الإدعاء بأنه ليس من الضروري أن ترتبط الألسنة بكل معمودية بالروح القدس وهم يجاهرون أن بالإمكان أن تكون الألسنة علامة للمعمودية ولكنها ليست الوحيدة، فقد لا تكون كذلك **ومن ثم فإنهم قد اخترعوا ما يسمونه "معمودية القوة" و"معمودية المحبة" وهكذا!!**

ومع أنه من الواضح أن الألسنة كموهبة ليست للجميع بموجب هذا النص إلا أن التكلم بألسنة في حد ذاته للجميع وهو كعلامة قاطعة يرتبط بالمعمودية بالروح القدس كما جاء في أعمال٢ : ٤ "**فإمتلأ (وكان هذا الإمتلاء الأول هو المعمودية بالروح) الجميع بالروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة كما أعطاهم الروح أن ينطقوا**"...

وبالرغم من عبارة الرسول سالفة الذكر إلا أنه هو نفسه يكتب في نفس الرسالة عبارة أخرى مثيرة للدهشة وهم يغفلونها تماماً وهي: "**إني أريد أن جميعكم تتكلمون بألسنة**".. وفي قوله بعدئذ مباشرة: "ولكن أريد بالأولى أن تتنبأوا".. قد ورد النص في اللغة الأصلية: "وذلك لكي تتنبأوا" (١كو١٤ : ٥). **أى أن الألسنة هي التمهيد للتنبؤ والمدخل له، ولذلك فإنه عاد يقول لهم: "جدوا للتنبؤ ولا تمنعوا التكلم بألسنة" (ع٣٩).** يؤكد ذلك قول الرسول في نفس هذا الإصحاح عدد ١٨ ونصه: "أشكر إلهي أني أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم".

ومن ثم فإن قصد الروح القدس في "موهبة الألسنة" بأننا نتكلم بأنواع ألسنة هي دائماً جديدة دون الاقتصار على "التكلم بألسنة" وهو ظاهرة محدودة تقف بصاحبها على الشاطئ وهي تشبه الطفولة المبكرة التي يقتصر نطقها على ألفاظ معينة تقوم بتكرارها – إلى أن ينتهي دورها أمام فيض الأمتلاء الذي به يحصل من يتكلم بألسنة على موهبة الألسنة (أي النطق بأنواع السنة) **وهذا يبين الفرق الكبير بين الحالتين وكيف أن الحالة الأولى أي التكلم بألسنة علامة في جميع المعمدين بالروح بينما الألسنة كموهبة ليست للجميع!**

مفهومة أم غير مفهومة:

إذ وجد الناقدون أنفسهم عاجزين عن إجابة سؤال يوم الخمسين المتقدم الذكر، نجدهم لم يقفوا عند هذا الحد فقط، بل قد ظنوا أن بمقدورهم توضيح النطق بألسنة أخرى بوسائل عقلية محض، وهم في محاولتهم تقديم البرهان الحاسم في تعليلها من وجهة نظرهم **قد اقتربوا وياللهول إلى حافة التجديف: فقد لاحظنا بارتعاب محاولاتهم أن يبرهنوا بأن ما يسمونه مظاهر متشابهة للألسنة في التاريخ. مثل الانبعاثات التي تحدث في وقت الحمي كالهذيان، أو في حالة الجنون، أو حالات الصرع والنوبات العصبية أو في الغيبوبات الشيطانية، وكثير مثل هذه** يرتبط بعبادات أخرى لا يتحرجون من ذكرها، ومنها ما ينسبونه لأفلاطون في وصفه لعبادة الأغريق في زمانه – **ورغماً عن خطورة مثل هذا التطبيق واستحالته للفارق الحاسم بين هذه كلها وظاهرة الألسنة في المسيحية إلا أن**

أولئك المتفلسفون على كلمة الله يشعرون بأنه يجب أن يرفضوا أي إمكانية منسوبة لروح الله ليعمل بأي حالة لا تكون مفهومة من العقل البشري، ويبدو بأن الشيطان يستطيع أن يقدم برهاناً وهمياً كافياً ليثبتهم في مقاومتهم هذه وهذا ما خدرهم به مع الأسف الشديد فحرموا بذلك الدخول إلى مجال الروحانية المباركة!!

وهم يتخذون هذا الموقف متجاهلين تماماً ما يشهد به الرسول في كورنثوس الأولى إص ١٤ بأن الألسنة كانت غير مفهومة وإنها تكلم مع الله بأسرار وبالنسبة للناس فإنها تحتاج إلى الترجمة لكونها غير مفهومة، الأمر الذي نستخلص منه بالضرورة الاعتراف بطبيعة الألسنة وكيف أنها فائقة الطبيعة ولذلك فإن الذهن بالنسبة لها يكون بلا ثمر (١٤ : ١٤) لأنها تكلم موجه لله يحوى التحدث عن عظائمه وبالأمكان ترجمته بالروح القدس لفائدة من يسمعونه وهم غير فاهمين له!!

وتوضحاً لهذه الأمور نقول هنا للكافة – بما في ذلك المنتقدين أنفسهم – بأن ألسنة بابل كانت لغات أعجمية غير مفهومة لدى من انقسمت بينهم، ولم تكن هناك ترجمة لها، بينما ألسنة يوم الخمسين كانت مفهومة لدى الذين سمعوها في لغاتهم، وهي في نفس الوقت غير مفهومة عند الذين لم يسمعوا لغتهم إلى أن تترجم بموهبة ترجمة الألسنة حتى تصبح مفهومة وهذه الترجمة من ضمن مواهب الروح!!

ففي الحالة الأولى لم يسمع بعضهم لسان بعض أي لم يفهموا اللغات التي انقسم إليها لسانهم، وفي الحالة الثانية نجد كما رأينا إنفاً بأنه لا جدوى من الإدعاء بأن التكلم بألسنة في الكنيسة الأولى كان في لغات غير معروفة للمتكلم ولكنها معروفة للسامع وأحياناً يقولون بل أنها مفهومة من المتكلم نفسه.. **وهذه كلها تصورات بعيدة عن الحقيقة!!**

ولا شك أن موقفهم هذا هو الذي دفعهم إلى اعتبار الألسنة الحالية كشيء غير إلهي، وإنها ليست من الروح، وهم لذلك يستغربون لأمرها ويحاولون تحليلها في نطاق اللغات، وهم يقبلون أي تفسير يفندها دون التسليم بالتفسير الصحيح الذي ينقلها من دائرة العقل إلى الروح فهي ليست ألسنة عقلية بل روحية!!

وأما عن ادعائهم بأنها غير معروفة المصدر – وهل هو رد فعل توتر عصبي أو من العقل الباطن أو من روح شرير حسبما يشاء لهم الهوى في سبيل انكار مصدرها الحقيقي وهو الروح القدس، **فإن أحد معلميهم الكبار "بنكرتن" يرد عليهم بالقول: "بأن كل من**

ظهرت فيه قوة ما وكان في نطقه يمجد المسيح ويدعوه رباً، فإن مصدد ذلك فيه هو روح الله..". وقد ورد هذا بعينه ضمن جواب الرسول بطرس على المتسائلين يوم الخمسين عن حقيقة ظاهرة الألسنة بقوله عنها: **بأن هذا هو ما قيل بيوئيل النبي يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة أني اسكب من روحي على كل بشر**" (أع٢ : ١٦و١٧).

وقد سبق أن رأينا بأن الذهن هنا هو بلا ثمر مما ينفي الإدعاء الشيطاني بأن الألسنة يجب أن تكون مفهومة. إنها الراحة والسكون كما يذكر إشعياء إذ بها يتم الاسترخاء العقلي والعصبي. وفي القول: ليس أحد يسمع (أي يفهم)" (١كو١٤ : ٢) الدليل الحاسم على أن الألسنة ليست عقلانية بل روحية: "ونحن نجد نفس الوضع في يوم الخمسين – فالناس الذي وجدوا لغاتهم ضمن الألسنة تحيروا (بهتوا وتعجبوا) قائلين بعضهم لبعض: "**أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي ولد فيها**" (أع٢ ٧)، ولكن الواقع أن الألسنة الأخرى كانت أوسع من تلك التي فهمها السامعون، ومن ثم فإن جانباً منها أحدث الحيرة عند الذين لم يفهمونها لأنها لم تكن لغتهم وبينما يقول الوحي "إن الجميع تحيروا وارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى أن يكون هذا" إلا أن الوحي يستطرد إلى القول بالنسبة لغير الفاهمين للألسنة بأنهم: "كانوا يهزئون قائلين أنهم قد امتلأوا سلافة" (أع ٢ : ١٣)، **وكان الجواب القاطع بأنها سواء كانت مفهومة أو غير مفهومة فإنها إنسكاب الروح القدس كما تقدم الذكر...** لأنها على أي وضع تكون بالنسبة للفهم البشري سواء لدى من وجدوا لغاتهم ضمنها ففهموها أو لم يجدونها وبالتالي فإنهم لم يفهموها **فإن العبرة ليست بالفهم أو عدم الفهم بل بإنسكاب الروح منشئ اللغة المنطوق بها** – وهي في سائر الأحوال الشفرة السرية التي تتعامل بها النفوس النقية مع الإله الحي القدوس!!.

هل هي لنشر الإنجيل:

ولقد ذهب بالمنتقدين بالمنطق العقلي – بدون تبصر – إلى فتوى مستحدثة جعلوها محور ارتكازهم في تفنيد التكلم بألسنة الحادث في زماننا، وهي أن ظاهرة يوم الخمسين هذه كانت لنشر الإنجيل واعتبروا الألسنة موضوع كرازة للذين سمعوها يوم الخمسين، فكانت الألسنة آية لهم لقبول البشارة وحمل الإنجيل إلى شعوبهم.. على أن البعض لا يكتفي بذلك بل يستطرد إلى القول بأن هذه الألسنة قد أعطيت للرسل فقط لمواجهة مهمة

شاقة وهي – التحكم في عدة لغات بدون تعلمها – وذلك لأجل الشهادة إلى أقصى الأرض، وبذلك أعطاهم الله القدرة أن يكرزوا بالإنجيل في لغات لم يتعلموها قط وذلك لنشر الإنجيل بسرعة في أنحاء العالم...

ويعتبر قولهم هذا من أقدم النظريات في تفسير الألسنة وأوسعها انتشاراً.. وهي تعني أن التكلم بألسنة في الكنيسة الأولى كان توصيلاً فائقاً للطبيعة للإنجيل. وهذه تصورات بعيدة عن الحقيقة!!

وبإزاء ذلك نرجع إلى الكتاب الذي هو السلطة العليا للفصل في سائر الموضوعات، ونجد بذلك أنه قد حدث فعلاً يوم الخمسين أن تكلم المئة والعشرون – لا الرسل وحدهم – بلغات أجنبية فهمها جانب من السامعين، ويشهد فردشام في كتابه: "**الآيات التابعة**" بأن هذا الحادث قد تكرر عدة مرات منذ ذلك الوقت، كما يقدم باريت أمثلة محددة عن ذلك في كتابه: "**حقيقة الحركة الخمسينية**"، ولكن لم يكن هذا هو الغرض الأول من الألسنة بل كان ذلك كما في الاظهارات التالية هو الغرض الاستثنائي وليس المباشر!!

فلننظر الآن في الحالة الوحيدة التي حدث فيها ذلك والتي فهم فيها السامعون الألسنة. وكان ذلك يوم الخمسين. وهنا نجد بأن كلمة الله لا تقول بأن الجمهور الذي كان في الخارج كانوا حاضرين عند ابتداء تكلم المئة والعشرين بألسنة أخرى بل أنه يبدو أن بعض الوقت قد مر قبل حضور الجمهور المستطلع وتمييزهم ألسنتهم الخاصة: **فلماذا إذن تكلم التلاميذ بألسنة تجاه الجمهور، مع إنهم كانوا يمارسونها قبل قدوم الجمهور – لقد كانوا من قبل كما من بعد يعظمون الله بألسنة الهيام ومنهم لم تُفهم السنتهم التي كانوا يتكلمون بها** على أن الجمهور قد اجتمع لأنهم كانوا يتكلمون بألسنة! وواضح تماماً أنه لا يوجد كلمة واحدة عن الكرازة بالألسنة حتى بعد اجتماع الجمهور. لقد باغت السامعون الجلال عندما رأوا هؤلاء الجليليين يتكلمون بلغاتهم بألسنة أخرى غير لغتهم (الآرامية) يتعبدون بها لله، **والنص لا يقول: "كانوا يكلموننا بعظائم الله" بل "تسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله" (أع٢ : ١١) وهذه صيغة مبنية للمجهول لا تدل على الوعظ أو التفسير، إذاً ماذا يكون معناها يا ترى؟! وهل يمكن بعد ذلك أن يقال بأنها كانت للكرازة بالإنجيل؟! وهل يستقيم ذلك مع تكرار الألسنة في السامرة وقيصرية وأفسس، لمن كان يكرز هؤلاء الذين تكلموا بألسنة في هذه الحالات، علماً بأنه لم يكن هناك جمهور حتى توجه إليه البشارة في هذه الحالات الأخرى!**

أما الكرازة يوم الخمسين فكانت من بطرس وبلغة من اللغات التي كان يعرفها جميعهم سواء الأرامية أو اليونانية أو اللاتينية: وهكذا لم تستعمل الألسنة في الكرازة بل قام بذلك بطرس في لغة معروفة لهم جميعهم. **ولا توجد أدنى إشارة في أي نص تفيد بأن الرسل أوصلوا الإنجيل بالألسنة، بل أن مثل هذه الحالة لم تكن ضرورية لأن اللغات العالمية الثلاث سالفة الذكر كانت معروفة ومفهومة في كل مكان من الامبراطورية الرومانية في ذلك الوقت**، مما يفند نظرية الكرازة بالألسنة تماماً ويجعلها فرضاً من صنع خيال المغرضين!!

فهل يمكن أن يقال في ضوء هذا كله بأنه كان يكرز بالألسنة بحالة فائقة الطبيعة مع أننا بكل سهولة نستطيع أن نتخلص من ذلك بضرورة الاعتراف فقط بطبيعة الألسنة وأنها لفائقة الطبيعة وأنها تكلم موجه لله يحوي التحدث عن عظائمه وأنه بالإمكان ترجمتها بالروح القدس لكي تعطي فائدة وبنيان للذين يسمعونها...!!

وقد سبق أن تحققنا من فشل مشروع بناء برج بابل في توصيل اصحابه إلى السماء ونعود نؤكد بأن نعمة الروح القدس وحدها الحالة يوم الخمسين قد أحضرت السماء في قلوب من قبلوها وهي نفسها التي فتحت لهم أبواب الفردوس لكي يذهبوا إلى هناك – هذا هو لسان الروح القدس الناري وليس له بديل فيما يقدم به على الإطلاق... على أن كلمة الله تعتبر الألسنة علامة طفولة روحية ضرورية ولكن يوماً ما لن يكون هناك في السماء سوى لغة واحدة لم تُعرف بعد ونحن هنا على الأرض وعندئذ تبطل الألسنة وهذا يتم عند مجيء الكامل (١كو١٣ : ١٠)!!

على أن ذلك لا يمنع أن هذه الألسنة التي يعتبرها البعض بلبلة ونشاز قد تم بها تثبيت الاعتقاد بأن الله لم يعد إلهاً محلياً بل وجدناها تؤكد بأنه سبحانه رب المسكونة بأسرها مما أثبت حق سلطانه المسكوني الاتساع وأن هيمنته على مصائر كافة الشعوب بدون استثناء وأن سياسته المرحلية إنما هي مدرسة تنظيمية نتعلم فيها أهمية طاعة وصاياه..

وكان الدرس الخطير من سائر الأحوال هو ضرورة التخلي عن العصيان لأن هذه هي المشكلة الدائمة: "لماذا لا يطيع الناس كلامه وينتبهون إليه؟! وما سبب مشكلة عدم أمانة شعب الله من جهة ذلك؟!" فإن إصرار هذا الشعب العنيد في الخيانة أمر لا يُصدق لأن غباوة هذا التصرف دائماً هي موضوع استغراب وحيرة!!

الفصل الثامن

السبي إلى بابل وأسبابه

"وسبى نبوخذ نصر ملك بابل كل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي.. سباهم من أورشليم إلى بابل"
(٢مل٢٤ : ١٦).
"حملتم تمثال أصنامكم فأسبيكم إلى ما وراء دمشق قال الرب" (عاموس ٥ : ٢٧).
"يا بنت صهيون الآن تخرجين من المدينة.. وتأتين إلى بابل" (ميخا ٤ : ١٠).

تمهيد:

كان خروج الشعب من مصر حوالي عام ١٢٨٠ ق.م. وقد دخل كنعان حوالي سنة ١٢٠٠ ق. م.

وكانت المدة من ١٢٠٠ إلى ١٠٢٠ ق.م. هي فترة عصر القضاة. ومن ١٠٢٠ إلى ١٠٠٠ بدأت الملكية بتنصيب شاول. ومن سنة ١٠٠٠ إلى ٩٦٠ ق.م. كانت فترة ملك داود. ومن سنة ٩٦٠ إلى ٩٢٢ ملك سليمان ابنه، وفي نهاية هذه المدة انقسمت المملكة على يد ابنه رحبعام إلى مملكتين شمالية (باسم إسرائيل) وعاصمتها كانت أولاً "شكيم" ثم أصبحت "السامرة"، وجنوبية (باسم يهوذا) وكانت عاصمتها "أورشليم"...

وكان الله قد احتمل شعبه وأمهلهم إلى أن وجدهم في انحطاط كباقي الشعوب – فماذا حدث؟

بعد صبر طويل على المملكة الشمالية حوالي ٢٠٠ سنة، لم يجد الله تغييراً ما فسبى هذه المملكة (وهي المكونة من عشرة أسباط) إلى أشور وكان عددهم ما يقرب من ٢٧ ألف نسمة أُخذوا إلى نينوى وأحضرت مجموعات من الشعوب الأخرى التي سبتها وخلطتهم ببيقة شعب إسرائيل في السامرة، أم هذه الأسباط العشرة فلا يعرف أحد مكانها ويظن البعض أن من ضمنها الأكراد في شمال العراق – على أن الإنجليز يرون أنفسهم جزءاً من هذه الأسباط.. وحفظ الله المملكة الجنوبية (يهوذا) مدة أطول ومنع سنحاريب الأشوري من فتحها، مستبقياً إياها لمدة بلغت ٣٥٠ سنة! وكان على هذه المملكة الثانية الجنوبية أن تواجه السبي البابلي كما تعرضت الأولى الشمالية للسبي الأشوري من قبل. بدأ السبي الأول على يد ملك أشور عام ٧٢٢ ق.م.، بينما تم فتح أورشليم على يد نبوخذ نصر عام ٥٨٦ وهو بداية تاريخ السبي البابلي!

بابل القديمة:

نشأت على يد "نمرود" أولاً وجاء بعده "امرافل" الملقب "ملك شنعار" (تك١٤) ويدعى في التاريخ "حمورابي" وهو الذي استن مجموعة من الشرائع كتبها على حجر كبير وعرفت باسمه وهو محفوظ في أحد المتاحف، بعد أن عثر عليه المنقبون في العصور المتأخرة!

في ذلك العصر ترك الله بابل جانباً وبحث في ثنايا بلاد ما بين النهرين في جنوب بابل فوجد في بلدة اسمها "أور الكلدانيين" شخصاً اسمه "إبراهيم" لا علاقة له بالبابلية كان يبحث عن الله، كان كما يصفه نحميا "أميناً صادق القلب" لم تشبعه عبادة القمر التي كان يمارسها مواطنيه فظهر له "إله المجد" ودعاه للخروج من شعبه وأرضه وبيت أبيه فخرج بالإيمان وهو لا يعلم إلى أين هو ذاهب، ولكنه بدأ رحلته الخالدة نحو تأسيس عبادة الله الإله الواحد وإظهارها استكمالاً لحلقات السلسلة التي مرت بعائلتي "أنوش" و"نوح" من قبل **– وقد حفظ الله الشهادة لنفسه عن طريق ذلك! واستمرت السلسلة إلى أن جاء "المسيا" الذي على اسمه رجاء الأمم!!**

على أنه في زمن إبراهيم نفسه فقدت مدينته "أور" شهرتها، وطغت عليها "بابل" التي غلبت سائر المدن التي كانت حواليها، وكان السومريون الذين استوطنوها هم أول من

أنشأ الحضارة في شكل ابتكار وسيلة للكتابة عن طريق رسم الصور كما فعل قدماء المصرين.

وظهر مع البابليين سيادات أخرى عالمية مثل الأشوريون والحيثيون والمصريون. ولكن إلى جانب هذه القوات الكبرى، عاشت جماعات صغرى يحكمها ملوك أو أمراء، كانوا يخضعون عادة للقوات الكبرى – وكثيراً ما كان أولئك الصغار يتنازعون فيما بينهم ويتمردون على سادتهم الأقوياء!!

وكانت "أشور" في البداية جزء من مملكة بابل حتى عرفت في التاريخ القديم "بابل الشمالية"، وكان حاكمها يدين بالولاء والخضوع لملك بابل وهي التي كانت تعرف "بابل الجنوبية".

وانتهزت أشور فرصة ضعف بابل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد – بسبب حروبها مع أعدائها – فقاموا بخلع نيرها وصاروا مملكة مستقلة، كان أول ملوكها "تغلث فلاسر" الأول حوالي سنة ١١٠٠ ق.م. وخلفه "أشوربا بانيبال" مؤسسها وظهر من بعده "شلمناصر الثالث" سنة ٨٤١ الذي قام بفتح آرام (سورية) وتذلل له "ياهو" ملك إسرائيل بعد أن حلت أشور محل آرام، متعهداً أن يقدم له الجزية لأن زعماء إسرائيل لم يفطنوا إلى موطن الخطر الحقيقي، وما دروا أن سورية أقل خطراً من دولة الأشوريين البعيدة عنهم والتي كان مقدراً لها في التاريخ أن تبيد ·ملكة إسرائيل وتشرد أبناءها وتسكن قبائل أجنبية غريبة في أراضيها – وكان ذلك سياسة أشور تجاه الشعوب التي كانت تفتحها وذلك بقصد ملاشاة قوميتهم!!.

وفي عصر شلمناصر الخامس أتمت أشور اخضاع فينيقة ومملكة إسرائيل وحاصرت السامرة ثلاث سنوات (من ٧٢٤ إلى ٧٢٢) حتى سقطت!

ويروي السفر المقدس قصة السبي الأشوري في سفر الملوك الثاني الإصحاح السابع عشر... وكانت سياسة أشور مع الشعوب المغلوبة هي اخضاعها عن طريق الجزية مع استبقاء ملكها إذا قبل أن يكون حاكماً لها بشرط أن يكون خاضعاً وتابعاً لأشور وإلا فأن جيوش أشور كانت تغزو بلاده وتؤدبه تأديباً صارماً...

ومن عهد "تخلث فلاسر" الثالث فصاعداً اتبعت أشور طريقة أنه مذللة في التنكيل بالشعوب الخاضعة لها، مما خلق روح الاضطراب والتمرد والعصيان أحياناً بين

السكان.. لذلك كانت أشور تتعمد ترحيل شعب أي دولة عاصية وتشريده في بلدان مختلفة وإحلال شعوب أخرى محله وذلك لملاشاة قوميتهم!!..

ومات شلمناصر أثناء حصار السامرة فخلفه سرجون الثاني الذي رحل ٢٧٩٠ شخصاً من إسرائيل إلى بلاد ما بين النهرين وأحل مكانهم شعوباً أخرى من البلاد المغلوبة وهذا ما ورد بالحرف في (٢مل١٧ : ٦ و ٢٤) وذلك لأنهم أخطأوا إلى الرب إلههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون "**وها هم الآن يعبدون الرب ويتقون (أي يخافون) آلهة أخرى**"....!!

وكان قصد الله أن تتوقف أشور عند هذا الحد فلا تهاجم المملكة الجنوبية (يهوذا) لكنها تعدت حدها أيام سنحاريب بحصاره أورشليم لكن الله أوقفه وهزمه أيام حزقيا الملك الذي كان عدواً للأشوريين ومع ذلك قام باستقبال رسل بابل عنوة. وكانت بابل خاضعة لأشور في ذلك الوقت ولكنها من ألد أعدائها – وقد زعموا بأنهم جاءوا لتقديم التهنئة لحزقيا لشفائه ولكنهم في الواقع كانوا يغرونه ليكون حليفاً لهم، وقد كشف لهم كل ما عنده **فقال له إشعياء بأن كل ما رأوه سيُحمل إلى بابل متنبئاً بذلك عن السبي البابلي الذي جاء بعدئذ!!**

ورغم هلاك جيش أشور على يد سنحاريب إلا أنه قام من بعده "أشور بانيبال" الذي كان عصره ذروة المجد في أشور لكنه كان في الواقع بداية نهايتها، فقد أفلح في الاستيلاء على طيبة وسحق ثورة بابل وعيلام التي قامتا بها ضد أشور، ولكن هذه الانتصارات لم تدم طويلاً فقد استردت مصر حريتها على يد الأمير سامتيخوس الأول (٦٣٤ – ٦١٠)، كما ظهر في الجنوب أمير يدعى "نابوب لازار" ثار على أشور وجعل نفسه سيد بابل سنة ٦٢٦ ق.م. وإزاء هذا الوهن الذي دب في أوصال أشور، والذي به بدأت تضعف وتتفكك مما دفع مملكة يهوذا للقيام بحركة استقلالية تم فيها الإصلاح الديني المعروف "بإصلاح يوشياء! وبديهي أن هذا لم يكن مستطاعاً لو كانت يهوذا تابعة لأشور إذ ما كانت قوية!!.

بابل الحديثة:

اقتحم البابليون نينوى عاصمة أشور سنة ٦١٢ ق.م. وقتلوا امراءها بحد السيف واحرقوا قصورها وهياكلها تماماً كما جاء في سفر ناحوم وهو مبين بالأكثر في نشيد الظفر والشماتة

بنينوى الوارد في الإصحاح الثالث من سفره والذي يكشف عن تميز حكم أشور بالقسوة والأنانية كذلك لم تحظ بشيء من الولاء والحب من الشعوب التي خضعت لسلطانها....

وهكذا استقلت بابل عن أشور وابتدأت تفتح أشور وتحل محلها وتحتلها.. وانتهت بذلك أشور كلية وأخذت بابل مكانها.

أما الأمير المصري "سامتيخوس" فمع أنه لم يرض عن بقاء الأشوريين في بلاده، ولكنه كان يؤثر أن تبقى أشور قوية لتقف سداً منيعاً بين مصر والقبائل المنحدرة من الشمال، وقد أدرك أن بابل أخذت تنهض لتصير قوة يخشى بأسمها. لذلك نرى المصريين يحاربون إلى جانب الأشوريين ضد عدو مشترك بدأ في الظهور وهو "بابل"!!

فلما نقل الأشوريون عاصمتهم من نينوى بسبب خرابها إلى حاران في الشمال هاجمها البابليون أيضاً سنة ٦٠٨، فانطلق فرعون نخو (خليفة سامتيخوس) بجيشه شمالاً لمعاونة الأشوريين، وفي الطريق اعترضه يوشيا ملك يهوذا، ولعل "نابوب لاسار" ملك بابل استنجد بيوشيا، كما فعل "ماردوخ بلادان" عندما استنجد بالملك حزقيا ضد أشور من قبل.. ولكن موقف يوشيا كان فاشلاً واضطرت يهوذا أن تدفع الجزية لمصر بعد معركة مجدو..

وفي سنة ٦٠٥ ق.م. هزم نبوخذ نصر ابن نابوب لاسار ملك بابل المصريين في موقعة كركميش. ورغم أن مملكة يهوذا انهزمت أمام فرعون نخو ملك مصر إلا أن هذا لم يستطع أن يعين الأشوريين لأنه انهزم أمام نبوخذ نصر كما سلف القول وأصبحت بذلك المملكة الجنوبية تحت إشراف ملك بابل. ولم يقبل ملوك يهوذا – من يهوياقيم إلى صدقيا – الخضوع لهذا المولى الجديد، وكان في بلاط اورشليم حزب موال لمصر، وحاولت يهوذا أن تلعب لعبة سياسية بين الدولتين (بابل ومصر) ولكنها لم تفز في هذه اللعبة **فأرسل نبوخذ نصر جيشه ليدمر مدن يهوذا ويحاصر أورشليم وجاء سبي جزئي لجانب من سكانها، وفي المرة الثانية بعد عشرين سنة جاء السبي الكامل وتدمرت أورشليم تماماً، وحمل ملكها صدقيا مع جمهور كثير أسرى إلى بابل.**

وكان ذلك خاتمة مملكة يهوذا.. وهو بداية السبي البابلي سنة ٥٨٦ ق.م. وكان ذلك بسبب تكرار التمرد والعصيان ورفض الاستماع لصوت الأنبياء – وخاصة ارمياء – الذي كان يحذر من ذلك، وينصح بالخضوع للحكم البابلي باعتباره خضوع للرب، ولكنهم رفضوا الاستماع!!

وهكذا تطور التاريخ وعادت السلطة إلى بابل مرة أخرى بسقوط أشور فريسة بين يديها بعد أن كانت من قبل ولاية من ولايات أشور. على أن بابل هذه ليست بابل القديمة، بل هي التي يسميها التاريخ "بابل الحديثة" وهي التي أنشأها الكلدانيون الذين ظهرت منهم الأسرة الحاكمة والتي برز منها "نبوخذ نصر" الذي كان بناء عظيماً، فجعل من بابل عاصمة كبيرة جميلة، وشيد لنفسه قصراً منيعاً ذا شرفات تكتنفه الحدائق، ورمم هيكل الإله مردوخ كما رمم برج نمرود!

وواضح من النصوص الكتابية أن السنة البلبلة في بابل القديمة لم تكن إلا مانعاً مؤقتاً أوقف العمل في بناء بابل إلى حين **فقط إعمالاً للنص الذي يقول: "فكفوا عن بنيان المدينة"** (تك١١ : ٨)، **لكننا نعلم من التاريخ أن نبوخذ نصر قد جددها واكمل برجها كما سلف البيان وكان يفتخر بذلك حتى أوقع الله عليه عقاباً غريباً** بتحويله إلى الحيوانية وعندما رده إلى الإنسانية عرف الله وحمده وسبحه وحده!!

وكان ما حدث بالنسبة لتوقف التاريخ بين بابل القديمة والأخرى الحديثة هو عين ما ظهر **تطبيقه في ألسنة البروتستانتية فإنها أوقفت سلطان الكنيسة الاسمية (الجامعة) ولكن إلى حين بدليل أن الكنيسة الرومانية قامت (من بعد ظهور البروتستانتية) مع باقي الكنائس التقليدية وانتعشت وعادت تُبني كما من قبل**، وبعد قليل سيجعلها نمرود الحقيقي (ضد المسيح) ابتداء مملكته، حينئذ تجلس بابل الرمزية هذه كملكة لا تتوقع ترملاً ولا حزناً، وعندما تصل في غرورها إلى هذا الحد حينئذ في يوم واحد تأتي ضرباتها موت وحزن وجوع" (رؤيا ١٨ : ٧و٨).

الله سيد التاريخ:

منذ أن ظهرت أشور وأخذت مكانها كامبراطورية عظمى في التاريخ وإسرائيل تسعى مع جيرانها في عمل مؤامرات مشتركة ضدها، وكأن موقف اشعياء من هذه المؤامرات معارضتها لا من الناحية السياسية بل من الناحية الدينية، **فقد أعلن بلسان الله أن "أشور هو قضيب غضبه والعصا في يدهم هي سخطه" (١٠ : ٥) ولذلك فإن من يتمرد على أشور فإنما يتمرد ضد الله باعتبار أن "الله هو سيد التاريخ"** فإن كان الله قد ترك أشور تسيطر فالخضوع لأشور واجب إلى أن يحرر الله منها، والخلاص من نيرها لا يكون بالفرسان والمركبات بل بالأتكال على الله – **وكان محور اعلان**

اشعياء هو أن سيطرة الشعوب ليست بالأمر المهم لأنه ليس نحن الذين نصنع التاريخ فلنترك الله يصنعه ويشكله كما يشاء.. ومن ثم فقد أعلن اشعياء لإسرائيل أن التحالف مع مصر ضد أشور يعتبر ليس فقط حماقة سياسية بل **عصيان ضد ترتيب الله وتمرد على تعييناته** – فلم يكن هناك مكان للتمرد على أشور بعد، وكانوا قد ضُربوا بالسبي وخربت أرضهم وليس هناك موضع يُضربون فيه بعد – ومع ذلك فإنهم لم يرجعوا لله. وفي إصحاح ٢٢ : ١-١٤ **يتحدث النبي عن سكان أورشليم ويتبين كيف أنهم لم يغيروا موقفهم ولم يشكروا الله لأنه نجاهم من يد ملك أشور.. والنبي في كل هذا يتحدث كرجل الله ويصف أشور كمبعوث الله!**

ونجد في ميخا٤ : ١٠ قولاً يخبر: "بأن بنت صهيون ستأتي إلى بابل"، ولقد كانت أشور حينئذ هي الإمبراطورية الكبيرة وأما بابل فكانت مملكة صغيرة جداً تابعة لها وقد استقلت من أشور سنة ٦٢٦ ق.م. بعد نبوة ميخا بمئة سنة تقريباً.. ومع أنه في زمان هذا القول لم يكن هناك سوى أشور القوة العالمية المتسلطة، ولكن على أساس الاستخدام الحي للنبوة اتجه هذا القول النبوي إلى بابل لا إلى أشور. بابل التي سرعان ما ظهرت وأصبح التهديد منها – **وهكذا نجد أن ميخا قد تنبأ عن بابل قبل وجودها!!**

وعندما ظهر ارمياء فيما بعد أكد نفس الأمر أي أن "الله هو سيد التاريخ" حتى أن نبوخذ نصر ملك بابل هو عبده، وأن الرب هو الذي وضع نيره الحديدي على عنق كل هذه الشعوب (٢٥ : ٩ ، ٢٧ : ٦ ، ٢٨ : ١٤).

وحدث بعد معركة كركميش سنة ٦٠٥ ق.م. أن ارميا لم يعد يعمل حساباً للأشوريين كما أن مصر انسحبت لتداوي نفسها من آثار المعركة، **وأصبح الكلدانيون في المقدمة وظهر نبوخذ نصر آخذاً السلطان العالمي..** وجاء دور أورشليم لحصارها وقد حاولت كثيراً إنهاء هذا الحصار والتخلص منه ولكن عبثاً كان ذلك لأن تغيير هذا الوضع كان من المحال؟ وعلى العكس من ذلك نصح ارمياء الملك صدقيا والشعب بأن يسلموا أنفسهم ويقبلوا الخضوع للحكم البابلي باعتباره خضوع للرب نفسه كما أن مقاومته كانت مقاومة للرب (٢١ : ٤-١٠) **مثبتاً بذلك أن "الله يحكم التاريخ البشري"، وأن المصائب كثيراً ما تكون عقاباً منه، وكذا الانقاذات أعمال رحمة، وأن بيده خط سير الحياة وهو مدرسة تنظيمية نتعلم فيها أهمية طاعة وصايا الله!**

ولذلك فقد أمرنا العهد الجديد "بالخضوع للسلاطين الكائنة باعتبارها مرتبة من الله حتى إن من يقاومها يقاوم ترتيب الله" (رومية ١٣ : ١و٢) وهكذا يستمر الكتاب المقدس بالحض على الخضوع لترتيب الله حتى في دائرة الحكومات!!

وهكذا سقطت السامرة أولاً فاندثرت مملكة إسرائيل الشمالية، وذهبت العشرة أسباط إلى أشور ولم ترجع، أما البقية التي لم تذهب فاختلطت بأمم أتى بها الغزاة!

السبي إلى بابل:

جاء الدور على مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم، وهي عندما تعرضت لهجوم البابليين وفقدت مساعدة الله لها، فإنها تذبذت بين الخضوع والعصيان إلى أن كشفت عن تمردها نهائياً أيام صدقيا الملك.. وكانت النتيجة مجيء جيش بابل العظيم لتأديب سكان يهوذا، وبذلك تم حصار أورشليم وأخيراً تمكن الجيش المحاصر من فتح ثغرة في السور، وأراد صدقيا أن يهرب ولكنه لم يستطع فأمسكوه وقتلوا ابنيه أمام عينيه ثم قلعوا عينيه وأتوا به إلى بابل **وأخذ البابليون سكان أورشليم سبايا إلى بابل فمشوا هذه المسافة الطويلة جداً جياعاً وتعابي وخائفين.. وكان يبدو بأن الله قد تخلى عنهم، ولكنهم هم في الواقع الذين كانوا قد تركوه أولاً فجاء عليهم هذا السبي الرهيب!!**

وهكذا ساق البابليون الألوف من سكان أورشليم إلى السبي في بابل الذي قرر الله مدته أن تكون سبعين سنة، وذلك بعد أن اشعلوا النار لمدة أيام في أورشليم حتى صارت رماداً وحجارة سوداء وأحرقوا المدينة بكل زواياها حتى لا يعاد بناؤها..!.

ولقد كان حصار أورشليم على مرتين مرت بينهما فترة عشرين سنة، وفي المرة الثانية منهما جاء نبوخذ نصر بنفسه وأشرف على حرق المدينة، وسبى بقية الشعب فيما عدا فئات قليلة هربت إلى مصر وأخذت معها ارمياء.. وكان هذا التساؤل المفعم بالأسى: هل تخلى الله عن شعبه، هجر مقدسه وترك مدينته؟! وكان الجواب: "نعم. عمل الله ذلك فتحول شعبه النذراء كالياقوت والمرجان إلى حالة اسوداد كالفحم.. **جاء ذلك، لأن لصبر الله حدود وعندما يبلغ نهايته يرفع الله الحماية عن شعبه تأديباً وعقاباً بنزع السلطان منهم ورفع الحكم الذاتي عنهم وتسليمه لغيرهم!!**

وهكذا جاءت اللعنة نتيجة طبيعية للخطية عندما عجز ملوك يهوذا عن حزم الموقف في الأزمات وفعل الصواب وأضحى ضعف إرادتهم جريمة كبرى أدت بهم إلى التمرد الذي أسرع بهم لهذا التحطيم النهائي عن طريق السبي إلى بابل!!.

وهذا ما قد سمح به الله منذ فجر التاريخ لامتحان قلوب بني البشر بما في ذلك شعبه.. والاستسلام هنا لفوضى ضلال بابل أمر لا مفر منه، **فإن كل من يرفض طريق الاستقامة لابد أن ينتظره السبي إلى بابل، فإن أمر السبي إلى بابل لم ينته – والذين عندهم مقداراً كافياً من النور حالياً يرون أن عدد السبايا (الأسرى) إلى بابل عدد هائل غفير، جموع متكتلة تعتنق المهادنة والتساهل وقبول سطوة بابل باعتبارها أمر واقعي لا حيلة فيه!**

أسباب السبي:

واضح من كلمة الله أن السبي إلى بابل لم يكن بلا أسباب بل أن حزقيال النبي يتحدث بلسان الله مؤكداً بأنه لم يصنع بلا سبب كل ما صنعه بشعبه من جهة هذا السبي وكافة المعاملات التي يجريها بوجه عام وأيضاً بصفة خاصة مع شعبه!!

ومن ثم وجب علينا أن نتفهم هذه الأسباب التي تلقي ضوءاً على نوعية معاملات الله مع البشر بوجه عام – وفيما يلي نجد هذه الأسباب:

أولاً: القانون الإلهي في امتحان الخلائق:

فقد امتحن الله الملائكة أولاً باعتبارهم كائنات أدبية لها وكالة ومسئولية ومن بعد دخلت البشرية كلها في الامتحان ممثلة في آدم وحواء، ومن بعدهما كان أمراً طبيعياً ومنتظراً أنه حين اتجه العالم نحو الوثنية اختار الله ابراهيم ليبدأ به تكوين شعباً له، شعباً متميزاً يأتمنه على نور اعلان الوحي المكتوب ليتشكل بموجبه ويقوم بنشره – ولذلك فقد أعطى الله سلطان حكم هذا الشعب لنفسه باعتباره شعب الله. ولكنه إذ فشل في ذلك نقل هذا السلطان إلى سائر الشعوب – لا لأجل المساواة فقط – بل ولاثبات فشل الجميع في احقاق امانة هذا السلطان والتصرف به تحت اشراف الله وضبطه – وكان هذا هو أول أسباب السبي البابلي هنا.

ثانياً: القانون الأخلاقي الواجب الالتزام:

فلقد وضع الله في البشر قانون معرفة الخير والشر، وميزهم بالعقل والضمير والارادة لكي يحسنوا الاختيار وإلا فإنهم يحملون مسئولية تدمير انفسهم واستحقاقهم العقاب عند الاستمرار في الخطأ رغم كل ما عملته محبة الله معهم.. ومن ثم كان السبب الثاني للسبي العصيان وعدم الطاعة، ووصلوا بذلك إلى التمرد الذي أسرع بهم إلى مكابدة السبي البابلي!!.

ثالثاً: طبيعة الله نفسه:

"فهو بطئ الغضب كثير الرحمة ولكنه لن يبرئ إبراء" (خر٣٤ : ٧) **لقد كان يرغب في خلاص شعبه ولكن تيار ابتعادهم كان يشتد ويشتد إلى أن جاءت الكارثة الكبرى...** وكم عمل الله لايقاف انحدارهم التدريجي هنا، لأنه لم يكن يريد سقوطهم. فارسل لهم الأنبياء على مدى طويل، ولكنهم سخروا بأنبياء الله، **فأذاقهم مقدماً بقدر محدود طعم الشر الذي كان أمامهم أن أصروا على موقفهم هذا... وذلك بأن جعل الله السبي على مراحل وليس دفعة واحدة** فكان يعطيهم فترات راحة بجانب التحذيرات قبل وقوع المصير النهائي ولكنهم رفضوا أن يفهموا طرق معاملات الله هذه النابعة من ذات طبيعته وصفاته المتوازية والتي لا تعارض فيما بينها...!!

رابعاً: التوبة الظاهرية المؤقتة:

كانت توبتهم أثناء فترات الحصار وعندما كان يرفع أحياناً لأسباب خارجية كانوا يظنون أن الأزمة انتهت، ومن عجب أنهم أثناء الأزمة كانوا يقدمون عهود باطلاق العبيد ويتممونها، ولكنهم بمجرد احساسهم بزوال الخطر ولو إلى حين كانوا ينكثون عهودهم هذه (ار٣٧) وصدقيا نفسه نكث بعهده الذي قدمه لنبوخذ نصر أمام الله (ار٣٢ ، حز١٢) فكانت توبتهم سطحية رغم تحذير ارمياء لهم لمدة اربعين سنة، ورسائل حزقيال لهم من أرض بابل (إذ كان هو في السبي الأول) لمدة عشر سنوات، وكان اولئك الأنبياء منابر عصرهم مع تعزيز رسائلهم بومضات الأمل ووعود بالمسيا والعهد الجديد، ولكن هذه كلها لم تنفع لمن كانت قلوبهم صلبة غير قابلة للتأثر!!.

خامساً: احداث بداية جديدة بالبقية الأمينة:

لقد جاء المصير بطيئاً وفي رحمة لكي يعطي وقتاً للتفكير والتوبة، ومع أن الأغلبية رفضت التجاوب، لكن كانت هناك أقلية، فالشجرة قد قطعت ولكنها أخرجت فرخاً منها زرعاً مقدساً (اش ٦ : ١٣) ويكشف لنا ارمياء كيف اشترى من ابن عمه حمنئيل حقله – مع اقراره بالسبي – ايماناً منه بالرجوع من السبي يوماً ما والعودة إلى امتلاك الأرض الأمر الذي على أساسه يعلن الرب بأنه سيرد سبيهم! وهكذا أعد الله في قلب السبي بداية جديدة من بقية ناجية يغير بها الأوضاع القائمة ووجه التاريخ.. وهذا ما أتمه فعلاً في نهاية مدة السبي "السبعين سنة"!!

هذه هي خلاصة أسباب السبي وهي تدفعنا لاحترام القانون العام الذي وضعه الله والذي أولى الناس باحترامه هم شعبه بكل تأكيد!.. وكان الرب ينذرهم مراراً وتكراراً بكل ما كان الأنبياء يعلنونه لهم ولكن التغيير كان سطحياً ومؤقتاً – والحال لا يزال هكذا معنا رغم أننا نحاول إخفاء ذلك ولذلك فإنه بالرغم من التدين الظاهري لابد أن يأتي في النهاية عقاب ينشأ من غضب الله لأن حالة الأوضاع أصبحت برهاناً واضحاً على استحقاق سكانها لذلك، ولهذا قد تصير الأماكن التي تتميز بأسمى المزايا عرضة لخراب ظاهر!! **ولابد أن هذا المصير الرهيب يحل عند نهاية حد الأناة!!** (حزقيال ٦).

***

الفصل التاسع

دروس في سبي بابل

"لذلك هكذا قال رب الجنود. من إنكم لم تسمعوا لكلامى. هأنذا أرسل فآخذكم... إلى نبوخذ نصر عبدى ملك بابل واحرمهم واجعلهم دهشاً وصفيراً" (أر٢٥: ٨)

"إنى أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان... بقوتى العظيمة وذراعى الممدودة واعطيتها لمن حُسن فى عينىّ" (أر٢٧: ٥)

مدخل:

نقف هنا وقفة حتمية نتأمل فيها مبادىء التعامل الإلهى بوجه عام يدخل فى نطاقه تعامله مع شعبه فى إجراء هذا السبى، محاولين أن نتعرف على دروسه بعد أن وقفنا على أسبابه...

وهذا يعود بنا إلى بداية التاريخ البشرى للوقوف على قصد الله من جهة خلق الإنسان وتعيينه ملكاً على الخليقة المنظورة نائباً عن الله، ولكن الإنسان سقط سريعاً ابتداء من أبوينا الأولين، ثم سقط فى نوح بعد الطوفان إذ فقد الرشد والتوازن ثم فى عائلته إذ رفضت إتمام قصد الله فى تعمير الأرض محاولين إبطال ذلك عن طريق بناء مدينة وبرج بابل!

وبدأ "عصر الآباء" بدعوة ابينا إبراهيم من أور الكلدانيين ونزل شعبه إلى مصر لكى يتشكلوا وتتكون منهم نواة شعب الله القديم، وبعد خروجهم من مصر ودخولهم كنعان بدأ

"عصر القضاء"، وانتهى إلى "عصر الملكية" الذى انحصر فى بيت داود، ولكن المملكة سرعان ما انقسمت بعد موت سليمان إلى شمالية وجنوبية!

واختار الله "أورشليم" لتكون مدينته "مدينة الملك العظيم" وقد وضع فيها عرشه وكان بذلك كالحاكم فيها بشعبه على كل الممالك حتى دعى: "إله – وسيد – كل الأرض"، **وكان بذلك يمسك زمام الشعوب ويحجزها فى حدودها إلى إن جاء السبى!**

وبالوصول إليه نجد إننا نواجه مسألة على جانب كبير من الأهمية لأنها تتعلق بطبيعة معاملات الله كيف هى وعلى أى وجه تكون!؟ وهل لها صفات ثابتة ومبادىء راسخة!؟ ومعنى ذلك اننا قد وصلنا إلى "دروس سبى بابل" – فما هى هذه الدروس!؟ وماذا نستفيد منها:-

إن أول هذه الدروس هو أن الله هو ملك المسكونة وحاكمها الأعلى، وحكمه فوق جميع السلطات هو الحكم الثيوقراطى (أى الإلهى): وهو وان كان قد رتب أن يعطى البشر جزءاً يسيراً من سلطان هذا الحكم، لكنه انما يفعل ذلك تحت إشرافه ومباشرته، وقد بدأ بشعبه فخصهم بحرية الوجود والاستقلال والحكم الذاتى **أى أن لا تكون هناك أية ولاية غريبة عليهم بشرط أن يبقى الرب ملكهم وان لا يتشبهوا بسائر الشعوب من حولهم.** كان هذا هو شرط بقائهم فى الاستعلاء والكرامة – والواقع أن هذا الشرط لا يزال قائماً بالنسبة لشعب الله كجماعة وافراد لأنه هكذا على مدى الزمان. **فطالما هم يصونون الأمانة فإن زمام أمرهم يبقى فى يدهم ويصبحوا فى العلو، وقد جعل الله ذلك على رأس قائمة قوانين التعامل معه... وإلا فإنهم إذا سلكوا بالخلاف فإن الله يسلك معهم بالخلاف أيضاً وقد اعلنهم بذلك وليس من الممكن تغيير موقفه هذا...**

صحيح ان الله سبحانه يتصرف كيفما يشاء ولكن ذلك على أساس قاعدة ثابتة وهى انه مع شعبه طالما هم متمسكون به بالأمانة فإذا زاغوا وانحرفوا فإنه يسلط عليهم الغرباء وهذا هو ما رواه التاريخ ورأيناه بأعيننا فى أمثلة عديدة تؤكده! **لأنه ليس عند الله محاباة ولا محسوبية، فهو معنا ما دمنا معه، والسبى إذا إنما كان يعنى ان حالة شعب الله قد انحطت جداً واستحقت ان يسحقهم بالسبى! ليعرفوا "الفرق بين خدمته وخدمة الممالك" كما سبق أن قال لهم. وهو يذل شعبه لكى يتعقلوا ويتعلموا الطاعة ولو على يد معذبين!**

ومن هنا إذ انحرف شعب الله، اضطر الله أن يتركه يفقد بذلك السلطة الممنوحة له ورحل المجد من هيكل أورشليم فصارت كمدينة عادية، وانتهت فرصة ذلك الشعب فى أن

يكون شعب الله إذ صار "لوعمى" أى "ليس شعبى"، وذلك لأنهم اصبحوا فى مرارة الوثنية تابعين رجاسات الأمم وتاركين الله الحى، **فأستحقوا بذلك دينونة الله عليهم وعلى ملكهم بأخذهم جميعاً إلى السبى ففقدوا حريتهم وأرضهم وضاعت كرامتهم ولحقهم الهوان! لقد نقل الله مجد حضوره وسلطانه الذى كان يتجلى فى الشكينا من قدس الأقداس في الهيكل**، وبالتالى فقد نقل أيضاً سلطان الحكم من شعبه إلى الأمم الأخرى، وابتدأت بذلك "أزمنة الأمم" وهى لا تزال سارية إلى أن تبلغ نهايتها!!

لقد رتب الله فى عنايته كإله السماء.. وليس كالحاكم بشعبه بعد – أن يسلم سلطان الحكم للأمم وينزعه من اليهود لشرهم، وصار هذا السلطان بذلك فى ايدى الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم – وستظل الحالة كذلك إلى أن يأتى الذى له الحكم أى "المسيا" وهو "المسيح" "الملك الإلهى" الذى سيتجلى فيه وحده "الحكم الثيوقراطى" فيحمل مسئولية الحكم التى فشل فى حملها اليهود والأمم على السواء وبذلك سيتم قول حزقيال: "منقلباً منقلباً أجعله إلى أن يأتي الذي له الحكم"!!

أما الدرس الثانى فكان يعنى محاربة الإحساس المزيف بالأمن بالاستناد إلى الهيكل ومظهريات الدين دون الإيمان السليم: وهذا هو مفتاح سفر ارميا فإن إحساس الشعب بالأمان فى زمانه كان إحساساً كاذباً... لقد كان الهيكل منذ أيام سليمان المركز المثالى لحياة الأمة الدينية وحاول اصلاح يوشيا أن يؤكد هذه الحقيقة وهذا جعل الهيكل ومدينة أورشليم موضع أهمية خاصة فى اعين الشعب **ولكنها سرعان ما اصبحت أهمية خرافية قد حذرهم ارميا منها فى الإصحاح السابع الذى يسمى بعظة "خطابَ الهيكل"** والذى اعلنهم فيه بإنه لا جدوى من الاتكال على الهيكل بعد أن حولوه بشرورهم إلى مغارة لصوص وقد أكد لهم ارميا بأن الهيكل والذبيحة لم يكن لهما علاقة أصلاً بالشعب (٧: ٢٢) كما اعلن لهم خراب الهيكل الأمر الذى كان متأكداً منه (٧: ١٤و١٥).. على أن الهيكل كان من قبل رمز العلاقة بين إسرئيل والرب!!

أما ارميا فقد تصور خراب هذا الرمز ووجود إسرائيل والرب بدون هيكل – **ليس إنه انتظر ذلك فقط بل كان متأكداً من أنه سيحدث وهو ما حدث فعلاً تأكيداً بأن الله لن يرضى بأن يكون مرتبطاً بأي وضع ليس فيه الأمانة!!**

لكن الأنبياء الرسميين فى زمان ارميا قالوا للشعب لا تخافوا لأن هيكل الرب موجود عندنا وهو بيت الرب وكان فى تصورهم أن الرب لا بد أن يكون فيه ليدافع عن بيته، وبالتالى فأنه لا بد أن يدافع عن أورشليم المدينة التى فيها بيته، لأنهم ما داموا يقدمون له

المحرقات ويعملون المطلوب منهم فمن المفروض عليه أن يحييهم. **ولكنهم نسوا ان الله يوجد لدى الذين يعبدونه بالقلب وليس بالظاهر!** ولذلك فإنه لا بد من أنه سيدمر الهيكل وأن عليهم أن يقبلوا نير بابل كما قال اشعياء من قبل بقبول نير اشور، وحذر من الاعتماد على القوات العسكرية أو التحالفات أياً يكون نوعها!!

أما الدرس الثالث فقد كان محوره ضرورة التخلى عن العصيان وانتظار وقت الرب – وهذه هى المشكلة الدائمة لماذا لا يتعلم شعب الله الانتظار إلى الوقت المعين من الله!!

يتبين لنا من سفر ارميا ما حدث بعد السبى الأول الذى حدث سنة ٥٩٧، وذلك عندما تولى بسماتيك الثانى عرش مصر فانتعشت الآمال وظهرت ثورة جديدة فى أورشليم ضد نبوخذ نصر، وظهر نبى اسمه حنانيا ادعى بأن نهاية نبوخذ نصر قريبة وان الأنية والسبى ويهوياكين نفسه سيرجعون خلال سنتين، وقد وبخه ارميا علانية معلنا ان الرب لم يرسله وانه سيموت فى نفس السنة وقد تم ذلك (٢٨: ١٥)، وحتى فى بابل نفسها انتعش الرجاء وسبب هياجا لاحظة نبوخذ نصر فقتل اثنين من قادة السبى بسببه وهما آخاب بن قولايا وصدقيا بن معسيا وكانا نبيين كاذبين يتنبآن للمسبيين فى بابل بالكذب (٢٩: ٢١و٢٢).

والواقع ان مشاعر ارميا كانت مع المسبيين أكثر من المتبقين فى الأرض لأنهم كانوا أمل مستقبل الأمة: لأنهم بدون الهيكل وعبادته كان هناك رجاء بأن يتفهموا ويتجاوبوا مع طبيعة يهوه وقصده! فأرسل لهم رسالة بيد رسل صدقيا الذى اقامه نبوخذ نصر واليا على يهوذا، اراد فيها أن يخفف من حدة مقاومتهم للذين سبوهم ولأرض سبيهم ونصحهم بأن يصلوا إلى أفضل الأشياء لأنه ليس هناك رجوع سريع بقوله لهم: "ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها" (٢٩: ٣ – ٦) **وهكذا بلطف كان يعدهم لسبى طويل... ولكن مما يؤسف له أن ذلك كان دافعاً لبعضهم للبقاء في بابل وتحسين حالتهم فيها!!**

وهكذا اضاف ارميا برسائله تأثيراً لا يمحى للفكر الدينى إلى اليوم فقد كشف عن هذه المشكلة الأبدية وهى – لماذا لا يسمع الناس كلام الله وينتبهون إليه!؟ ولماذا توجد عدم الأمانة شعب الله!؟ لقد كان ارميا مستغرباً ومتحيراً منه وحاول اقناع الشعب بغباوة هذا التصرف إلى أن سقطت أورشليم وجاء السبى!! أما الشعب نفسه – وهو في السبي – فقد ظن أن الرب "يهوه" لم يعد له تأثير، أو على الأقل لم يعودوا تحت تأثيره بعد، وأنه تركهم يتحطمون وعاملهم معاملة غير عادلة وهذا كان تفسير السبي من جانب المسبيين أنفسهم!!

الفصل العاشر

حالة المسبيين فى بابل

"على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضاً
عندما تذكرنا صهيون. هناك على الصفاف
علقنا اعوادنا" (مز١٣٧)
"لماذا تنسانا يا رب إلى الأبد وتتركنا
طول الأيام... هل رفضتنا. هل غضبت
علينا جداً. اردنا يارب إليك فنرتد"
(مراثي٥١: ٢٠)

مرحلة ختامية:

قد جئنا الآن إلى ختام مؤتمرنا الأول الذى بدأناه "بنشأة بابل"، وانتهينا منه "بسبى بابل". والآن نأتى إلى "حالة المسبيين فى بابل" لنلقى عليها نظرة تحليلية من كل الوجوه لكى نكتشف بها حالة السبى بالنسبة لاولئك المسبيين – ومعناها بالنسبة لنا وذلك للوقوف على المعانى التى ينطوى عليها...

ومن ابرز الأمور التى تستحق منا الاهتمام أن نعرف بأن السبى فى حد ذاته كان علامة غضب من الله على شعبه حتى جاء فى مراثى ارميا القول الذى صدرنا به هذا الفصل وهو: **"هل غضبت علينا جداً؟" إنه سؤال كان يملأ تفكير المسبيين – وهو مشكلة محيرة طويلة المدى – لماذا فعل الرب هكذا؟! أهو جوابه على الاستهانة بلطفه أم رده**

على من يسخرون من صلاحه وطيبته؟! لماذا وهو إلهنا يعاملنا بهذه القسوة ويسلمنا لأيدي معذبين تتحكم فينا ويجرنا إلى بلاد غريبة؟!

قد يقال بإن هذا يرجع إلى فشل الشعب القديم في عهده مع الله ونعلم أن العهد الجديد مختلف تماماً وهو قائم على ضمان المسيح ونيابته ولكن الا نرى الفضل في كثيرين ممن يعيشون في العهد الجديد ينقض ما ذكرناه – **وأليس من المنطق أن نتوقع للمخالفين عقاباً أشد لعدم انتفاعهم من امتيازات العهد الجديد** – كان هناك سبي بالضرورة في ذلك العهد السابق، ولكن ألسنا نجد نفس السبي روحياً يدخل فيه الكثيرون من أفراد الكنيسة – كنيسة العهد الجديد – الآن. مما يستدعي بنا أن نتقدم لفحص حالة المسبيين وما نستفيده منه...

<u>وإننا نرى حالة المسبيين هذه على الوجوه الآتية:</u>

أولاً: من الوجهة الدينية أي فكرة المسبيين عن الله الآن:

رأينا كيف كان الهيكل رمزاً لحضور الله ولم يكن سجن (أو قفص) لله. وقد رأى ارمياء الهيكل كمصدر الشر ومركزه – مكمن الخطية والفساد فبدأ يهاجمه مما جعل الدنيا كلها ضده. ولكن ارمياء لم يغير موقفه!.

وإذ اتسعت رؤية ارمياء عن الرب كرب الطبيعة وسيد التاريخ وإله الجميع في كل مكان، فقد اكتشف من وراء ذلك بأن الهيكل والعبادة التي كانت تؤدى فيه والتي حددت وجود يهوه في نطاقه وجعلته "إلهاً خاصاً" مقصوراً على شعب إسرائيل، **إنما كانت في الواقع عوائق مانعة لنمو معرفة يهوه الحقيقي الذي كان أعظم بكثير مما كان في إدراك شعبه عنه**.. وهكذا بوقوفه في وجه الهيكل وعبادته كان يحاول أن يُكّمل ويوسع إيمان ذلك الشعب فيخرجهم بذلك من الإيمان المقيد الذي كانوا متحيزين فيه!!

وهو يتحدث عن طريق سلتي التين باحداها تين جيد جداً وبالأخرى تين ردئ جداً، وإن الأول منهما هم المسبيون (بالفتح الأول بدون هدم للمدينة سنة ٥٩٧) وأما النوع الثاني منهم الذين بقوا في أورشليم حينئذ إلى وقت هدمها (بالفتح الثاني سنة ٥٨٦ ق.م.) وكانت عدم توبتهم هي السبب في هدم المدينة وحرق الهيكل، وتشتيتهم وأسر عدد كبير منهم... ولذلك فقد رأى فيهم ارمياء التين الردئ، بينما رأى في المسبيين البعيدين في بابل التين الجيد(٢٤ : ١-٨).

ولذلك فأن ارمياء يخبر المسبيين في رسالته التي أرسلها إليهم بـــأن الـــرب حاضـــر معهم في بابل كما في يهوذا، فإن بابل هي له كأوشليم (٢٩: ٧ – ١١) وإن الرب لا يزال معهم ويمكنهم أن يصلوا إليه في بابل ويسمعهم (٢٩ : ١٢و١٣).

وهكذا بدأ يظهر الإيمان الذي كان ينادي به الأنبياء من قبل والذي دعا ارميا إليـــه وهو "**أن الرب ليس إلهاً مقيداً أو مربوطاً بأي أرض أو معبد، وأنه يمكن الاقتراب إليه بدون هيكل أو ذبيحة وفي أي مكان وفي أي وقت من الذين يطلبونه بقلـــوبهم، وهـــذا كله هو التمهيد الواضح لديانة العهد الجديد وما أعلنه ربنا عنها من أنها تقوم علـــى السجود بالروح والحق وأن الآب يطلبها**". (يوحنا ٤ : ٢٣و٢٤)

وهكذا بلغت المعرفة النبوية عند ارمياء أعلى درجة لأنها قادته لإيمان مؤســـس على ادراك روحي وعام عن الله، وعن امكانية الاقتراب المباشر إليـــه – روحيـــاً – **بدون وسائط منظورة باعتباره لم يعد إلهاً محلياً حسب ظن شعبه القديم، وبذلك تولد في ارمياء إيمان كان كبيراً وقوياً إلى الحد الذي تحدى معه كل كوارث سقوط وقيام الامبراطورية المرعبة والاضطهاد والألم الشخصي الذي وقع عليه وعلى شعبه على يدها!!**

أمام هذه الكوارث سقطت الآلهة القديمة واختفت وعجزت عن أن تحمي نظامهـــا السياسي والاجتماعي، وحتى "يهوه" كما عرفه شعبه وكهنته وانبيائه يبدو أنه مضـــى وانتهي، **ولكن ظهر مكانه "يهوه جديد" لإيمان ارمياء كبيراً بدرجة يمكـــن معهـــا أن يواجه الأزمنة والحوادث ليس لعصر واحد بل لكافة أجيال البشر** – الهاً قد ارتضـــى أن يربط نفسه بالبشر عموماً أخياراً وأشرار – وأن يضمن لهم سلامتهم ويـــرفض أن يتحلل من وعوده بالنسبة لقبولهم لها!!

***

وقد أيد حزقيال ما أعلنه ارمياء وتابعه في نفس الاتجاه معلناً بأن الله موجود في بابل مثلمـــا هو موجود في اورشليم، ولم يعد مرتبطاً بالهيكل، لأنه هو هنا معهم في السبي، فقد خـــرج مـــن الهيكل وترك المدينة متجهاً نحو الشرق أي في اتجاه بابل (١ص١٠و١١) **وهو نفسه الـــذي رآه في رؤيا نهر خابور في بابل، فأراد أن يؤكد بذلك بأنه هو بنفسه الذي خـــرج مـــن أورشـــليم وظهر في بابل وتخلى بذلك عن "الهيكل" فأفقده قيمته!!**

وقد تضمنت رسالة حزقيال الدينونة على من وضعوا قلوبهم على الهيكل (بعد أن أصبح فارغاً من الحضور الإلهي) – فإن الله الذي ترك الهيكل والمدينة **يبين بذلك أن الأفضل للمسبيين قبولهم لعبادة الرب في المقر الجديد – وتعزيتهم أن الله ليس بعيداً كما كانوا يظنون، فإنه موجود في كل مكان ويمكن عبادته في أي مكان وأنه هو بنفسه لهم "مقدساً" وهم في السبي!!**

بعكس ما كانوا يظنون بأن "يهوه" لم يعد له تأثير إذ كان يبدو أن الآلهة العديدة في هذه الأرض الغريبة هي المنتصرة عليه، **لكونهم قد فقدوا الواسطة الوحيدة المعروفة حينئذ بعبادة الرب والاقتراب إليه وهي "الهيكل"..**

وكانت مهمة حزقيال هنا أن يضع مكان رجائهم الكاذب بعودة سريعة رجاء آخر معقولاً ومستوجباً الصبر ليصحح اعتقادهم الخاطئ سالف الإشارة وذلك برؤيته الرب خارجاً من الهيكل والمدينة، ومثل هذه الرؤية بالنسبة لنا قد تبدو غير مهمة، ولكنها بالنسبة له وللمسبيين كانت مهمة جداً لأنها كانت ضد الفكرة التي كانت موجودة عندهم وهي حتمية ارتباط الرب بالهيكل لأنه ها هو يتركه – **وتظهر الدينونة على أورشليم في هذا الترك، وتعزية للمسبيين لكون الرب ليس مرتبطاً بالهيكل وأورشليم ولكنه هو هنا في بابل معهم كما كان موجوداً في الهيكل من قبل وها هو موجود في كل مكان آخر!!**

وهكذا أثبت الرب بأنه ليس محصوراً في فلسطين بل قد تحركت مركبة عرشه إلى الشرق في اتجاه بابل... وقد عيّن الرب حزقيال نبياً لشعبه في بابل وكان مهتماً بسلامتهم هناك!

وتم تثبيت هذا الاعتقاد بأن يهوه لم يعد إلهاً محلياً إذ هو رب المسكونة بأسرها بما أعلنه حزقيال أيضاً بتنبؤاته عن الأمم التي أتمت سقوط شعبه أو فرحت بذلك: والإصحاحات ٢٥ – ٣٢ تحتوى على أقواله من هذا القبيل ضد عمون وموآب وأدوم وصور وصيدون ومصر، وكل من هؤلاء قد أعلن له القضاء القادم عليهم من قبل الرب لسبب عداوتهم لشعبه – **ورغم ما في هذه النبوات من خشونة فإنها حملت إلى المسبيين حق سلطان يهوه العالمي الاتساع وهيمنته على مصائر الشعوب!!**

ثانياً: من الوجهة الروحية كان الرب مع شعبه وهم مسبيون:

لقد كان للسبي فضل الكشف عن امكانية عبادة الرب بدون هيكل وكهنة وذبائح، وهذا في حد ذاته تمهيد لديانة الروح والحق وأسمى اعلان عن الديانة الشخصية ذات العلاقة المباشرة مع الله!!

وكان هذا التوسع في الإعلان تحقيق لقصد الله من جهة استخدام شعبه كوكالة عنه لنشر نور معرفته على الأرض، وليس لاستحواذه والتعالى به على باقي شعوب الأرض، فلما قلبوا الأوضاع بحصر نور الله في نطاقهم وحدهم واحتقار غيرهم، كانت النتيجة أن النور الذي وصل إليهم تضاءل واختلطت العبادة الوثنية بعبادة إلههم، فكان لابد لهم من سبي ينقيهم ويصفيهم، وقد اظهر السبي رجال عظام مثل حزقيال ودانيال والثلاثة فتية، كما أبرز في نهايته قادة ناجحين أيضاً مثل عزرا ونحميا وأنبياء مباركين مثل زكريا وحجي...!!

إذاً كان السبي مدعماً للحياة الروحية وليس بالعكس كما يظن الذين يرى الله إدخالهم في ظروف مماثلة وهم بذلك يحرمون أنفسهم من فائدتها. والالتزام هنا متبادل فإن الرب بما يختاره لشعبه يريد أن ينقيهم من التحزب والمذهبية لأجل أن تلمع فيهم الحياة الروحية دون التباهي أو الاستعلاء على الغير!!

وواضح هنا أنه بالرغم من تسليم الله شعبه للسبي، فإنه قد رفض أن يتخلى عنهم، بل ذهب ورائهم إلى بابل وهم في السبي، وهذا ما أثار دهشة المسبيين ولا يزال يدفعنا للتعجب، لكنه يكشف عن علاقة مباشرة في ظل الإله الذي هو إله الدنيا كلها ورب الكون بأسره: فهو المحب الذي لا تتغير محبته، وهو الذي يسير وراء من سباهم العدو ليردهم من السبي عندما يشعرون بمرائره ويطلبون العتق منه وكذلك الحال بالنسبة للسبي الروحي الذي هو الأقوى في جذبه الحالي مما يستوجب التحرر منه!!

هنا يتحول الإيمان المقيد إلى إيمان مطلق يرتفع عن الأوضاع الخاصة بأسرها والتي لا يمكن أن نحصر الله في نطاق حيزها الضيق بل يستوجب الأمر التجرد من كل شيء على الإطلاق للتعرف بإله المسكونة كلها – ومن هنا يبدأ الإيمان انطلاقه المتواصل – أي أنه لا يعود يقبل أن يفرض أي قيود على الله بتاتاً!!

ثالثاً: من الوجهة النفسية كانت الآمهم مبرحة بسبب السبي:

من المحقق أن حزقيال كان أحد المسبيين وكان يتكلم قبل كل شيء خصيصاً لهم لأنه كان معهم... وقد تكلم معهم عن خراب أورشليم وسقوطها ليرضوا بواقع السبي ويقطعوا الصلة بينهم وبين أورشليم، لكنهم مع ذلك لم يتغير موقفهم من السبي وكان قلبهم في أورشليم وفي الهيكل كالمقيمين هناك، وذلك واضح من لسان حالهم البادي في مزمور ١٣٧ كان تفكيرهم وموقفهم الديني بلا تغيير أي مع الذين ربطوا الدين بالهيكل وحسبوا الله مقيداً هنا

كاسطورة.. فكانوا يحنون اشتياقاً إلى أورشليم ظناً منهم أن الله فيها وهم بعد في السبي. ونعرف من سفر ارميا أنه كانت هناك مراسلات ومشاورات بين المسبيين وشعب إسرائيل الذي تبقى في أورشليم إلى السبي اللاحق – فكان حزقيال يريد أن يقول للمسبيين ان اقطعوا الرابطة واجعلوا قلبكم هنا في بابل وليس هناك، **مبيناً لهم بأنهم هنا في بابل يمكنهم أن يعبدوا الله عبادة سليمة طالما يراعون قداسته!**

لقد كانت نبوته وهو في السبي (عن سقوط المدينة والهيكل) لا كمجرد دعوة للتوبة للذين في أورشليم لأن المسافة كانت بعيدة ولم يكن أحد يهتم بأمره وهو شاب غير معروف لديهم – ولذلك فإنه كان يتنبأ للناس الذين كان موجوداً في وسطهم وهم الذين كانوا قد سبوا من أورشليم إلى بابل في السبي الأول!!

رابعاً: من الوجهة النبوية انتظار شروق فجر جديد:

كان أهم ما يشغل بال المسبيون صهيونهم العزيزة عليهم، وكان أهم ما عمله السبي فيهم الاشتياق إليها والحنين إلى العودة لها، فكل شيء آخر غيرها هو شقاء وأحزان....

والمزمور ١٣٧ إنما هو قطعة رائعة من قصيدة باك حزين يتعزي به عادة المنكوبون والمكلومون في محنتهم... فهذا المزمور يسجل حزن المسبيين وهو في نفس الوقت صلاة ونبوة تعلن خراب اعدائهم... ومن المعلوم أن شجر الصفصاف (وهو نفسه أشجار البكا) كان مشهوراً وكثير الوجود في بابل.. وكيف يكون موقفهم هنا فأنه من الواضح أنهم استهجنوا موقف أعدائهم منهم بسبب سخريتهم من مشاعرهم الحزينة... لأن ترنيمات الفرح إنما تعني نسيانهم لبيوتهم التي تدمرت وجموعهم الذين سقطوا.. والإشارة إلى اليد واللسان هنا إنما تبين استخدامهما بالضرورة وبالمهارة في ترنيمات الرب وكيف يكون ذلك وكأنهما قد نسيا ما حدث... والمزمور يختم كما في اشارات نبوية أخرى مثل اشعيا١٣ : ١٤ وارميا٥ : ٢٣ بطلب قضاء أو تنبؤ بدينونة ما على الأعداء **لأن رهبة خراب الأعداء – وهي ما تمت فيما بعد – لم تكن بسبب مشاعر الاسرائيليين المهتاجة وإنما كان المسئول عنها حكم الله العادل!!**

ومن الواضح أن هذا المزمور يغطي أحزان المسبيين – في بابل – وهي التي سيكون لها اتمام سري في الأيام الأخيرة، وتبدو أهميتها من أنها جاءت في أعقاب وقت تغيير يبدو الله فيه وكأنه قد حجب وجهه عن شعبه – ولكن الإيمان لا يمكن أن يُقنع نفسه في أرض غريبة ولا أن يرنم ترنيمات الرب فيها، لأنهم لم يكونوا شعباً سماوياً – لذلك فإنهم يرجعون

إلى أورشليم التي لا يمكن لإيمانهم أن ينساها. أما بابل فستخرب ودينونتها مشتهاه، وعداوة آدوم أيضاً لن تُنسى. وأما غرض المزمور فهو اعلان ارتباطهم بصهيون في سبيهم، وإنه لم يكن هناك فصل لقلوبهم عنها في الأراضي الغريبة...

وفي هذا المزمور ذكرى لما كان في السبي عندما انتهى، كيف أن المسبيين جلسوا على أنهار بابل للتأمل الهادئ وإذا بأفكارهم المرتبطة بأرضهم المحبوبة تسرع بهم إلى هناك، وتتمنى العودة إليها إذ أن ذلك هو عين الانتصار.

ومن المعلوم أن الأعواد (وهي نفسها القيثارات) إنما هي للمناسبات السعيدة، وأما طلب المعذبين لهم أن يرنموا فلعل ذلك من باب حب الاستطلاع أو السخرية. ولكن يبدو واضحاً أنه كان من السمتحيل على المسبيين الحزانى أن يجيبوا مثل هذا الطلب فلم يكن يليق بهم أن يرنموا..

ونحن في أرض الغربة الحالية لنا أحزان متنوعة بعضها مصدره متاعب جسدية والبعض بسبب نقائص في التكوين أو التدين أو بسبب ما نسمح به من خطية، والبعض بسبب الجهاد الداخلي ضد الذات. ومع ذلك نستطيع أن نرنم في أرض غربتنا هذه وهذا يحررنا من الشعور بالضيق اللازم لوجودنا فيها وكأننا نرنم بالإيمان عن متاعب انتهت مجلبين نذورنا للرب ومتهللين بانكسار مضايقينا – وواضح أننا تشبها بهم وأكثر مع أن لنا ترنيمات شجوية في طريق الرجوع لأن القلب مرتفع إلى الله في العلى (عزرا ٨ : ٢١) ولما وصلوا الأوطان كانوا لا يزالوا يواصلون الترنيم واطلقوا عليها ترنيمات المصاعد ففي مز١٣٤ يباركون الله وفي مز١٣٥ يشكرونه – وهكذا حال المؤمن إلى أن يسكن في بيت الله (الأبدي) فيكون له أناشيد سرور خالية من كل غم!!

أما عن المتاعب التي كانت للمسبيين في السبي فأهمها نابع من شدة شوقهم لأورشليم مدينة عزهم وراحتهم المستقبلية لدرجة أن أعظم أمنية لليهودي أن يعيش فيها وأن يموت ويدفن فيها فإن هذه الأمنية هي التي يهتف لها وينتظر تحقيقها.

وهكذا يبدو المسيحي على الأرض في وطن غريب بالنسبة لمشاعره ولكنه رغم أنه على الأرض عنده ترانيم للشكر والتوبة والتسليم والرجاء وذلك رغم احساسه الواقعي بأنه في شبه سبي يسعى دائماً للتخلص منه بمعونة فاديه!!

كم من حالات متشابهة فيها يطلب أمثال هؤلاء المسبيون العتق والعودة إلى وطنهم الحبيب، لأن كل ما عداه من وجهة نظرهم إنما هو شقاء وأحزان وهكذا الحال وبالأولى بالنسبة لنا نحن المتغربين على الأرض والمشتاقين لوطنهم السماوي ولذلك فإن الدعوة للخروج من بابل يجب أن تُجاب مهما تكلفت من مشقة وعناء للرحيل المؤكد إلى ذلك الوطن العجيب!!

الباب الثاني

البابلية
في سفر النبي زكريا

محتويات المؤتمر الثاني – سبتمبر ١٩٨٣

١١- تأثير البابلية على شعب الله.

١٢- الأرض بين اللعنة والقداسة.

١٣- حكم اللعنة على البابليين.

١٤- تجميع الشر في بابل.

١٥- عقاب الأشرار ونهاية الشر.

١٦- اللعنة على سرقة الحقوق.

١٧- الملكية الخاصة تحت البركة.

١٨- لعنة الاختلاس والتملك الخاص.

١٩- حفظ التملك الخاص من اللعنة.

٢٠- موقفنا تجاه اسم الرب.

الفصل الحادي عشر

تأثير البابلية على شعب الله

"أكلني أفناني ملك بابل. جعلني إناء فارغاً. ابتلعني كتنين. ومـلأ جوفـه مـن نعمـي. طَوحني" (أر٥١ : ٣٤).

"تنجي يا صهيون الساكنة في بنت بابل لأنه من يمسكم يمس حدقة عينه" (زك٢ : ٧و٨).

عود على بدء:

أيها الأحباء إننا نرحب بكم باسم الرب يسوع المسيح رئيس الرؤساء وملـك القديسـين، ونحن نستأنف هذه الدورة الثانية لهذا المؤتمر في نفس العام وذلك بترتيب الرب وأمره، وكأنـه لم يكن هناك فاصل زمني بين الدورتين، بل كأننا كنا معاً بـالأمس القريـب وكـأن عودتنـا للاجتماع في هذا المساء أمر متلاحم مع الليلة الأخيرة من الدورة السابقة **إذ إننا نتـابع نفـس هذا الموضوع المصيري وهو: "الخروج من بابل"** وفي تأمله نجد أننا في مواجهـة صـريحة مع حقائق خطيرة تحتاج في بحثها واكتشافها إلى معونة الروح القدس المبارك!!

ولأننا نمثل نخبة من الكنائس القادمة من جهات متعددة فإننا بحاجة إلى روح التبكيت ليأخذنا إلى الأعماق التي نحن في حاجة للوصول إليها لأجل ملكوت الله وتحرير شـعب الله... الأمر الذي نبلغه الآن بتأمل هذه الحلقة تحت عنوان: "تأثير البابلية على شعب الله".

ومن اللازم ونحن ندخل إلى هذه الدائرة أن ندرك بأن طبيعة الله لكل العصـور غير متغيرة ومعاملاته أيضاً واحكامه المصيرية كذلك.. وأننا وإن كنـا نـؤمن بـأن

الإنسان – في حد ذاته – موضوع اهتمام الله ورعايته، إلا أننا يجب أن نقر من وجه آخر بأن إنشاء العلاقة بينه وبين الله **وإن كانت تمنحه امتيازات عظيمة لكنها لن تعفيه من المسئوليات التي تنشأ عن هذه العلاقة والتي يجب أن يلتزم بها من يقبلون الارتباط بالله ويصيرون بذلك على وجه خاص "شعب الله"!!** هذه الالتزامات هي أتباع الحق مع المحبة دون الفصل بينهما قط وذلك باعتباره قاعدة أساسية للعلاقة مع الله – فإنه وإن كان قد أعلن الغفران ولكنه كان يحذر دائماً من العودة إلى الخطية..

تأثير البابلية:

نعلم مما سبق ذكره أن الله يطلب حياة "الأمانة" وهي لديه أهم من كل شيء، وعند فقدها يأتي السبي، والثمن هنا مكلف على الوجهين ولكنه على الوجه الأول أفضل بكثير: **فإنه وإن كان العدو يحاول أن يشوه ويسيء إلى الذين يقررون أن يعيشوا على هذا النهج القويم، إلا أن الله لن يترك له ميدان المعركة، وحتى في حالة السبي ورغم تأثير البابلية الرهيب على شعب الله، فإن الله لن يترك شعبه ولن يتخلى عنهم قط!!** لأنه دائماً يبحث عن الأمناء، حتى لو اقتضى الحال أن يستخدم السبي لتصحيح الوضع وقيادة شعبه المسبي إلى "الأمانة" المطلوبة!!

وقد وقفنا من قبل على تأثير البابلية على البابليين أنفسهم إذ هي التي خلقت الفوضى فيما بينهم ومعها الانحراف وعدم الفهم – وقد وصل تأثيرها هذا إلى شعب الله قديماً وحديثاً حتى وجب علينا أن نستفيق ونطلب من الرب أن يرحمنا ويردنا من السبي... فإن الانتساب لله – مجرد الانتساب – لا يكفي هنا ولن يمنحنا الحصانة في حد ذاته، فإن الأسرائيليين قديماً – بعد كشف حقيقتهم – **فقدوا الخضوع لله رغم انتسابهم إليه وهم في أرضهم وصاروا بابليين، لأجل ذلك وضعهم الله في المكان الذي يناسب حالتهم هذه وهو "بابل"!! هذه بعينها هي نتيجة كل من يتحدى سلطان ملكوته بتعدى قانونه، فإن محضر الله دائماً يدين الشر، وليس للخطاة وجود فيه لأنه مرهب، ويستلزم في المتقربين منه التقدس والاحترام!!**

وواضح من النصوص الواردة في سفري اشعياء وارمياء أن الخروج من بابل هو في حقيقة الأمر هروب من شرها ونجاة من قضاء الله عليها وهو ما جاء في سفر الرؤيا فيما بعد – وأن هذا الخروج لذلك يجب أن يكون بصوت الترنيم وذلك بسبب المعاملة القاسية التي عاملت بها شعب الله إلى الحد الذي وصفه ارميا بقوله: "**أكلني أفناني نبوخذ نصر ملك بابل.**

جعلني إناءً مفرغاً. ابتلعني كتنين وملأ جوفه من نعمي. طوحني. ظلمي ولحمي على بابل" (٥١ : ٣٤ و ٣٥) وقد جاءت مراثيه تصف هول خراب أورشليم ومذلة السبي!!

الانقاذ من بالوعة اليأس رمز استبداد البابلية:

من النص سالف الذكر الوارد في ارميا ٥١ : ٣٤ نتقابل مع ضلال طغيان بابل وخاصة عند القول: "ابتلعني كتنين" ولكن هل يرضى الله أن يترك شعبه تبتلعه بابل؟ **كلا. بل أن الظلم الذي حل من بابل على شعب الله لابد أن يرتد عليها و"بيل" هنا الإله الذي يمثل "بابل" لابد أن يعاقبه الرب ويخرج من فمه ما ابتلعه"** ع٤٤ – هنا ثورة غضب الله على روح بيل النجس وهو الذي أهاج الكلدانيين على يهوذا – ومع أن الرب قد أسلمهم ليد البابليين كعقاب منه عليهم – ولكن ها هو مزمع أن يرد على هؤلاء كيدهم لكي يصحح الأوضاع...

وبهذه الوسيلة يتم الانقاذ الذي يتمثل في أمره القائل: **"اخرجوا من وسطها يا شعبي ولينج كل واحد نفسه"** ع٤٥ لأن سور بابل المنيع الغير قابل للاختراق سيسقط وما ابتلعه بيل من كل نعم شعب الله (أواني الهيكل وغيرها) ستُرَد..

ومع أن التنين يبتلع فريسة بجملتها يشبع مما يأكله منها ويطوح بما يتبقى ولكن هنا سيظهره الرب بأن يفرغ ما ابتلع – وهكذا يصحح الرب الأوضاع بالأنقاذ من بالوعة ظلم بابل – **فلا تخف يا مسكين يا من تظن أنك أُبتُلعت فإن الرب سيصحح وضعك، بأن يعيد إليك ما فقدت فتتعجب من يد الرب إلهك..**

وإن كانت بابل أكلت وأفنت لكن الله لها بالمرصاد يأمر بأن يخرجك ويعيدك من بالوعة النظام المدمر للحياة الروحية: سوف يخرجك من فم التنين ويحطم أسنانه ويخربه!!

فأنت وإن كنت مُبتَلع لكنك مُنقَذ: كم عانيت وتعبت – كم وصل بك الحال أن تكون مبتلعاً، أكلك وأفناك بالمضغ وأراد أن يهضمك لكن الرب أتم وعده معك بمعاقبة بيل بإخراج ما ابتلعه من فمه... فلابد أن يتمم الرب وعده بانقاذك منه!!

هنا الشيطان يستخدم آلاته ولكن حتى لو وصلت بنا إلى أبواب الموت فالهاوية لن تبتلعنا ولن نخاف من النهاية لأن معنا المنقذ.. **وإن كنا نتحمل آلام الابتلاع ولكن الرب ينقذنا بمعاقبة القوة الطاغية – هو ينقذ حتى وإن كنا لا نعرف كيف نواجه الموقف!! ولا كيف هو سينقذ!!**

التأثير البابلي:

وعند المقابلة بين اسرائيل وشنعار، بين الاختيار والرفض يتلخص سر الوجود البشري كله!!

ولقد سبق أنَ عرفنا أن بابل تعني "بلبلة" أو "تشويش"، وهي تمثل كل نوع من الانحراف والفوضى – إنها تعني النظام العام (الديني والاجتماعي) الذي فسد وهو منتشر في كل الأرض.. **إنه أمامنا كقضية عسرة لأن هذا التشويش قائم في المسكونة كلها: ضلال لا يتوقف عند حد.. بلبلة هائلة، أصوات غريبة تنطلق في كل الاتجاهات** – هذه هي البابلية التي انبعثت أصلاً من أرض بابل... وبسببها قد شمل الباطل العالم كله واتسع نطاق الارتداد عن الحق وابتعدت النفوس عن النور الإلهي: إنها مأساة ختام الزمن وفي وقت النهاية الذي نقترب منه بسرعة متناهية تزداد المسألة عنفاً وعنتاً ويزداد كبرياء الظلام **وتتم هذه النبوة: "لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم"** (أش٦٠ : ٢).

هذه هي بابل تضع العالم تحت قبضة تأثيرها وهي تمثل كل فساد أياً يكون لونه ولو كان في كنائس قد جعلت الروحانية عنواناً لها. **وكم من حالات نراها حولنا إنما هي إنعكاس لبابل وتأثيرها:** فلقد استفحل أمرها ودفعت بالبشر إلى الرفاهية المتنعمة والزنى الروحي في إطار الأغاني العالمية والمناظر الإباحية ناهيك عن الالحاد والكفر بالله وكل أنواع الضلال التي غطت المسكونة بأسرها ولاتزال!!

وبكل تأكيد فإن روح بابل قد امتدت باقتدار وهي تظهر في الحريات المطلقة والالكترونيات المستحدثة والاكتشافات غير المتوقفة وسائر الأشياء الأخرى التي ستجعل غضب الله يستعلن من السماء... وهو ما هو عتيد للظهور بسبب فجور الناس وإثمهم!!

لأنه هل يقف الله مكتوف اليدين؟! هل يكف عن العمل لإيقاف تيار بابل الذي يسعى للامتداد في كل اتجاه وأوجد حالة رهيبة قد غطت العالم كله – **فأين هي معرفة الله؟ وأين سماع صوت الحق والالتزام به؟! وأين الاصغاء لصوت الله في الضمير وفي سائر تصرفات العناية الإلهية؟!**

البشارة الأبدية:

ولكن بينما يبدو أن بابل قد انتصرت – كما في القديم وقت سببها للشعوب – وأن البلبلة والتشويش الصادران عنها في كل مكان، والتماثل لطاعة الله واحقاق حقه في

تضاءل لأن هذه الأمور أصبحت باهتة بالنسبة لهذا الجيل الذي قد تباعد عن الله أكثر من الأجيال الماضية بل وجمع كل أنواع الارتداد السابق لكل عصور الزمن التي مضت!!

إلا أن بابل رغم كل ما ذكرناه لن تغلب في هذه الأيام الأخيرة، لأنه بالرغم من كل شرها سيجعل الله نهاية لكل شرها وذلك سريعاً.. لأن الإله – الذي تتحداه بتأثيرها الممتد على كل الأرض وهو يحتوي الآن ضمن دائرته الالحاد العصري الذي يشكك في وجود الله وكفر الوجودية التي تتجاهل وجود الله متحدية إياه بجعل ضرورة توجيه الاهتمام كله للوجود الإنساني مستقلاً عن الله وبغير حاجة إليه – لابد إذاً أن يجيب الله على هذا كله: **وقد أجاب فعلاً باقامة شهود أمناء** يقفون في الثغرة ويوقفون الغضب ولكن ذلك إلى حين فإن له وقت معلوم ومحدد، **من بعده سيظهر ملاك طائراً في وسط السماء معه بشارة أبدية ليبشر الساكنين على الأرض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب قائلاً بصوت عظيم: "خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته** واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه" (رؤيا ١٤ : ٦و٧)، هذا سيفعله الله في حينه لأن العالم في حالته الراهنة قد رفض أن يسمع صوت الله الرحيم، معتنقاً كل نوع من عدم الإيمان مما له الصفة البابلية الممقوتة **التي لا علاج لها إلا بهذا الأنذرا الأخير الذي سيبلغه للعالم ملاك سيطير في كبد السماء!!**

وإزاء ذلك فإنه الوقت الآن للذين لا يزالون في سبي بابل لأن يسمعوا صوت الخروج منها ويطيعونه.. فإن عليهم أن يتجمعون معاً ويرجعون إلى صهيونهم السمائية بأن يقوموا ويستعدوا بتهيئة أنفسهم في هذه الأيام الأخيرة للتواجد في محفل عرس الحمل – الملك الأبدي!!

لأنه لابد من رجوع، يسير فيه معاً الراجعون من السبي في القديم وهم يسألون عن طريق صهيون ووجوههم إلى هناك ويطلبون الرب إلههم قائلين: "هلُم فنلصق بالرب بعهد أبدي لا يُنسى... اهربوا من وسط بابل واخرجوا من أرض الكلدانيين وكونوا مثل كراريز (الغنم القيادية) أمام الغنم" (ارميا ٥٠ : ٤-٨).

***

الفصل الثاني عشر

الأرض بين اللعنة والقداسة

"وأزيل اثم تلك الأرض في يوم واحد" "هذه هي اللعنة الخارجة على وجه كل الأرض" (زكريا ٣ : ٩ و ٥ : ٣)

الديانة الازدواجية:

تتعامل نبوة زكريا مع أحداث النهاية المرتبطة بوجه عام بيوم الرب الذي ستنسكب فيه دينونات الله على الأرض.

ويفتح الإصحاح الخامس من هذه النبوة برؤيا "الدرج الطائر" الذي يوصف بأنه "اللعنة الخارجة على وجه كل الأرض" ولكن هذه اللعنة لا يجب أن تستمر، لأن هناك وعد يسبقها من جانب الرب بأنه "سيزيل أثم تلك الأرض في يوم واحد". فقد تضمنه ما قاله **اشعياء في اصحاح ٥٢ : ١** ونصه: "استيقظي استيقظي البسي عزك يا صهيون البسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس" وأيضاً ما قاله **ارميا في اصحاح ٥٠ : ٢٠** ونصه: "في تلك الأيام وفي ذلك الزمان يقول الرب يُطلب اثم اسرائيل فلا يكون وخطية يهوذا فلا توجد **لاني أغفر لمن أبقيه**"!!

كان آخر ما وقفنا عنده في الحلقة الماضية هو هذه الحقيقة: "إن الخطية يستحيل أن تبقى في حضرة الله، وبالتالي فإن الخاطئ لا يشعر بالارتياح للوجود في محضر الله" لأن لمحضر الله وجهين متقابلين فهو من ناحية معزي لمن هم في حياة القداسة، ومعزب لأنه يفعل ذلك لمن ليسوا في حياة القداسة بأن يضعهم تحت اللعنة..

ونعلم من فطرة وجودنا بأن الإنسان كائن سام له صفات أدبيـــة لا يمكـــن معهـــا أن يستريح إلا في حياة الكمال والقداسة، فإذا ما تحسسنا وضع البشر نراهم يتكلمـــون عـــن المثل العليا والفضائل والأخلاق السامية والآداب الرفيعة ولكنهم يعيشون فـــي الحضـــيض (وما يتكلمون عنه إنما هو في الواقع صدى أو بقايا سمات صورة الله التي تبقت فيهم) ولكن ذلك يعني على أي حال أن الإنسان لن يسترح للبقاء في الشر والخطية ونعلم أن الله أعد لنـــا وسائل للتقديس وهي دم الفداء بابنه ونار الروح القدس التي تؤهلنا لحلوله وسكناه فينا...!

ولكن الشيطان من الجانب الآخر يسعى جاهداً في قلب الأوضاع بأن يـــدخل الشـــر والإثم في حياة وأرض المقدسين ويستحضر بدائل من بابل ليسكنهم مكانهم في أرضهم!

وهو لم يقف عند هذا الحد بل قد اخترع الديانة المزدوجة التي يعرفهـــا الاهوتيـــون باسم "اسنكرتزم" ومعناها العبادة المختلطة الجامعة ما بين الله والآلهة الأخرى وهـــذا مـــا فعله الشيطان قديماً ويحاوله الآن بل قد نجح فيه لحد بعيد...!

وقد أصاب به قديماً ليس بعض الأفراد القليليين بل الشعب في مجموعه أيضـــاً.. "فتلك التي كانت تسمى نفسها أورشليم واسرائيل وشعب الله **كانت تابعة فـــي الواقـــع لبابل، ولذلك كان لابد أن يأخذهم الله إلى هناك وفقاً لصفتهم البابلية هذه!**". كان ذلك بأخذهم إلى أرض شنعاز التي معناها "أحلام نوم اليقظة"!!

ونرى هنا شيئاً كان من المفروض أن نتوقعه وهو أن الله الذي هو منبع البركـــة هو نفسه الذي يرسل اللعنة على وجه كل الأرض – والأرض المقصـــودة هنـــا هـــي أرض كنعان، أرض شعب الله، وهذا يعني ضرورة حلول العقاب على من يســـتحقونه ولو كانوا من المنتسبين لله ممن قد صاروا شعباً له..

اللعنة الخارجة على وجه كل الأرض: (زكريا الإصحاح الخامس)

هنا إعلان عن لعنة خارجة في شكل "درج طائر" يتجه نحو أرض كنعـــان، وهـــذه اللعنة خرجت من لدن رب الجنود على الخطاة لكي تفنيهم وتستأصلهم وتدمر بيوتهم، مـــع أنهم من ضمن شعبه الذي تكلم عنه بالخير وقال بشـــأنه: "قـــد رجعـــت إلـــى أورشـــليم بالمراحم... لأن الرب يعزي صهيون بعد ويختار بعد أورشـــليم" (زكريـــا ١ : ١٦و١٧) **ولكن مع أن الرؤى السابقة قد أعلنت هذه المراحم على شعبه، لكن هذه الرؤيـــا تعلـــن الدينونة مؤكدة بأن الله بالرغم من تعطفاته لا يوافق على خطاياهم..** وقد أعلن الله بلسان عبده اشعياء "موت خاطئ شعبه بالسيف" **وذلك لأن الله يبدأ بشعبه فينفذ قانونـــه الثابـــت**

غير المتغير لأن سيادته على الكل تسود لكونه القاضي الجليل والحاكم الأعلى وهو لذلك مستحق لكل ولاء وطاعة لأنه هو "الذي يجازي كل إنسان كفعله"، وهو لن يتهاون مع الشر ولن يدع الخطية تمر بلا عقاب إذا لم يحدث عنها توبة ورجوع فوري يقيني!!

هذا يكشف عن امتياز معرفة الله والمسئولية المرتبطة به في نفس الوقت، كقوله على لسان عبده عاموس: "**إياكم فقط قد عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم**" (٣ : ٢).

فمن لا يقبل الاصلاح يأتي عليه عقاب اللعنة التي تنزعه من أرض الله وتذهب به إلى السبي حيث المعذبين تنفيذاً لقانونه وأحكامه وهذا إجراء حتمي لابد منه في مثل هذه الأحوال المشار إليها!!

ومع أن الله يبذل كل ما في وسعه لمنع هذه الأزمة عن الإنسان ورد الجميع إليه، ولكنه في حالة عدم التجاوب معه لابد من قيامه بإرسال قضاءً تاماً على الشر لأن الله وإن كان يعطي الفرصة الكاملة ولكنه لن يحتمل الشرير أياً كانت صفته ونسبته لله – إلى الأبد!! **ولذلك وجدناه يعلن بلسان عبده ملاخي بأنه قد لعن بركات شعبه لأنهم ليسوا جاعلين في القلب أن يعطوا لاسمه مجداً** (٢ : ٣). ومن هنا يتعرض شعب الله للعنة في حالة الانحراف مثل غيرهم بالتمام (رغم ظنهم بأنهم قد أصبحوا متحدين بالله) فلا يأتي عليهم ذلك ولكن هذا الظن وهم باطل فهم مجرد خلائقه كسواهم وليس في قانون الله استثناءات!!

هذه اللعنة هي ضربة التأكل والذبول – إنها الموت البطئ الذي يعمل لفناء من يحل فيه، حيث لا هروب ولا شفاء، فأينما يجد الله الشر فيمن يتمسكون به **فإنه يسلط عليه ضربة الإبادة لكي تفنيه؟** وهذا يفسر لنا الكثير من مصائب اللعنة التي تظهر في الميتات المبكرة والحوادث المفجعة لتفنى الشر بالتتابع لأن الله لن يحتمل وجود الشر واستمرار بقائه!!

وهنا لن يشفع لأحد مركزه الروحي ولا الاستناد إلى اختبارات معينة، بما في ذلك الادعاءات المذهبية أو صحة العقائد في حد ذاتها – **كل هذه لن تنفع ولن تنجي من العقاب الذي لابد من وقوعه على من يخالفون القانون الإلهي.**

وذلك لأنه عندما يأتي الله ليسكن في وسط شعبه فإنه يدين الشر ويجعل وجود الخاطئ في حضرته أمراً مستحيلاً. لأن الله إنما يسكن في الموضع المقدس، وفي المكان الذي يحل فيه يجب التطهر من كل شر بما في ذلك ثقوب واركان بيوتنا وثنايا ثيابنا حسب ما أوصى به شعبه في القديم، **وذلك احتراماً لطبيعته وقدرته لأن في يده مقاليد الأمور، وهو الذي أعلن بأن: "ابتداء القضاء هو من بيت الله"** (١بط٤ : ١٧).

حجر الزاوية:

ولكن كيف ينتصر الله على الشر بإبدال اللعنة بالبركة – إننا نجده هنا يقدم وعداً بأن يزيل إثم تلك الأرض في يوم واحد. ويا له من يوم! وهو وإن كان يشير إلى تطهير أرض إسرائيل في المجيء الثاني لكن هذا لا يمنع تطبيقه على أرضنا أرض كنعان الروحية!!

وتطبيق كهذا مرجعه أن الذي يقوم به في الحالتين **هو شخص واحد اسمه "الحجر ذي السبع أعين" وأيضاً "حجر الزاوية" هذا هو الحجر الذي سينزل بغير يدين ليسحق كل من يكون تحته أن له سبع أعين دليل الرؤية الكاملة الفا حصة وهو منقوش** أي كله ابداعات إذ هو يحتوي الأزل كله والأبد كله والتاريخ الزماني فيما بينهما كله وصور الكائنات كلها فهو حجر عجيب وذلك بدون أن يكون له مثيل!!

وتذكر عنه النبوة هنا أنه عندما يزيل اثم الأرض المعنية فإنه يخرج بين الهاتفين كرامة كرامة له – وهو يخرج في أثر الزيتونتان والمنارة وهذه تمثل عمل الروح القدس في للشهادة له، الأمر الذي ترتب عليه إزالة العراقيل والموانع الواقفة كالجبل – **وهي كلمة الرب إلى زربابل قائلاً "لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود" (أص٤).**

ونرى هنا أن زربابل ومعنى اسمه "تذرية بابل" وهذا يستلزم سحقها أولاً والإشارة فيه إلى حجر الزاوية المبارك "ربنا يسوع المسيح" **ساحق بابل ومذريها، وهو الذي يعمل بروحه لكي يجعل الجبل الذي أمامه سهلاً** – إنه هو الذي يدك الجبال ويرفع العراقيل – إنه هو الذي تتمثل فيه هذه الحركة الروحية الراهنة والتي هي بفعل إلهي يناسب حالة شعب الله في هذه الأيام الأخيرة.

هذا يكشف في الحقيقة عن طبيعة عملنا الراهن وهو لن يكون في شكل مذهبي **وإنما هو حركة إلهية مباركة أراد بها الله خيراً للكنيسة العصرية وهي التي تقدس أرضنا وتخرج حجر الزاوية ليحتل مكان الصدارة فيه بين الهاتفين له!!**

وحاجتنا إذن ليست إلى تحريكات بشرية مصطفة محدودة الأثر بل إلى حجر الزاوية الكريم الذي يسحق بابل ويحرر شعبه من أسرها فهو زربابل الحقيقي الذي سيذري بابل ويتمم ذلك اتماماً تاماً بقوة الروح القدس إذ أنه بدونه لن نجد سوى الضلال وأصوات غريبة تتكلم عالياً في كل اتجاه وهذه الأصوات تأتي من بابل أم الفوضى الذي صنعت على مجرى التاريخ أكبر دراما محزنة في تاريخ البشرية!!

الفصل الثالث عشر

حكم اللعنة على البابليين

"كما أسقطت بابل قتلى اسرائيل تسقط أيضاً قتلى بابل في كل الأرض" (أر ٥١ : ٤٩)
"هذه هي اللعنة.. تبيت في وسط بيته وتفنيه مع خشبه وحجارته" (زك٥ : ٤)

من يكون البابليون:

معلوم أن سفر زكريا من أصعب أسفار الكتاب المقدس فهو ملئ بالألغاز والأحاجي ولكن الله يشاء أن مغلقاته تقع في الافهام وتنتشر على أوسع نطاق لأهميتها القصوى بالنسبة لجيل النهاية..

ولا شك أن السير في هذا الاتجاه يكشف لنا أسراراً ما كنا نحلم بأن نعرفها بدون معونة الروح القدس الخاصة..

ولقد كنا نسمع من قبل في لمحات خاطفة عن "الخروج من بابل" كلاماً غير واضح المعنىٰ ولا محدد المعالم بالكفاية إلى أن اتسعت الرؤيا أمامنا فبدأنا ندرك لماذا يجب أن نهتم بهذا الموضوع، **ذلك أن بابل هي مدينة الشيطان المضادة لأورشليم العليا مدينة الله وهي بذلك خصم شعب الله على مدى التاريخ منذ بدايته إلى أن ينتهي عند المجيء الثاني** واستعلان ملكوت الله، لذلك كان من اللازم أن نتعمق في فهم موضوعها، وخاصة أن سقوطها سيقوم باعلانه شخص الرب يسوع المسيح نفسه! وسيكون المقطع الأول من ترنيمة العرس هو: "هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا. لأن أحكامه حق وعادلة إذ قد دان الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض" (رؤيا ١٩ : ١و٢).

ومن هنا يأتي السؤال من هم البابليون الذين تتكون منهم "بابل الزانية"؟ والجواب أنهم هم الذين اسكرتهم بخمرها أيا تكون مراكزهم الدينية والاجتماعية، فإنهم في حقيقة الأمر بابليون، **بعيدون عن الحرية الحقيقية، قد أسرتهم "بابل" ومنهم من هم في قلب المسيحية ولا يمتون لها بصلة!!**

إنهم هم الذين لا يحبون الحق ولا التحرر من القيود الشخصية والتعصبات المذهبية – ولا شك أن إعلان هذه الحقيقة في أيامنا هذه إنما هو رحمة من جانب الله بالكنيسة في مصر، **وذلك لأن بابل هي روح الضلال وسر الإثم، ولا سبيل للخلاص منها بالطرق البشرية وإنما يكون ذلك بقبول أمانة الحق والولاء المطلق للمسيح الذي يتوجه الله بالانسكاب الأخير!!**

"البابلية" إذن هي روح الضلال والفساد وسر الاثم والشر، وقد طغت على المسكونة بأسرها، والبعض ممن ينتسبون لله وقد دعى عليهم اسم الرب **أسوأ حالاً من غيرهم الذين ليسوا كذلك، لأنهم في الواقع "بابليون" متدينون ليست فيهم التقوى ولا عندهم مخافة الله..** ومن الغريب أن هذه هي الحالة التي يعلن الوحي وجودها داخل الكنيسة في الأيام الأخيرة بأن يكون للناس صورة التقوى وهم منكرون قوتها...

وواضح من كلمة الله أنه قبل ذهاب شعب الله إلى بابل كانت روح بابل وعبادتها قد وصلت إليهم **فأصبحوا بابليين رغم احتفاظهم بالشكل الخارجي كاسرائيليين،** فلما اشتهوا الذهاب إلى بابل، قرر الله أن يعطيهم سؤل قلوبهم ويرسل هزالاً إلى أنفسهم فأعلنهم بأنهم ما داموا يحملون تمثال أصنامهم... **فإن الرب سيسبيهم إلى ما وراء دمشق** (عاموس ٥ : ٢٧) **فأصبح حصولهم على شهوتهم مرارة لأنفسهم...**

لقد استطاع الشيطان أن يضع كرسيه في كنيسة برغامس وأن يكون له أعماق في كنيسة ثياتيرا وبذلك استطاع أن يفرض الضلال ويخفيه في داخل الكنيسة، ولكن تعكيس الأوضاع وتغليب الشر لن يبقيا إلى الأبد بل لابد لهما من نهاية مهما طال الزمن وذلك رغم اقتران الكنيسة بالعالم وأيضاً استحالة ادراك أعماق الشيطان!!

نعم قد تصل بابل إلى حدود أرض كنعان وقد يسمح لها الله بأن تأخذ هذا الأرض وتسبي شعبه عقاباً لهم على شرهم.. فقد كانوا بابليين قبل مجيء بابل إليهم ومن ثم كان لابد من معاقبتهم لأن قانون الله لن يقبل التغيير..! فهو لن يقبل المحاباة ولن تفرض عليه محسوبية ما، **فلما تحول شعبه لبابليين اعلن عليهم اللعنة التي هي حكمه على كافة البابليين بالاطلاق في كل عصر وجيل بدون استثناءات قط!!**

حكم اللعنة على البابليين:

وهنا يستخدم الله عبده زكريا ليعلن هذا الحكم أي أن هناك لعنة مفروضة مستوجبة لتلك الأرض – وهذا شأن الله دائماً مع الكائنات العاقلة الحرة الإرادة لن يعفى أحداً منها من مسئوليته قط ولو كان منتسبا إليه وذي علاقة معه..

لأنه ما دامت البابلية هي "الفوضى والتشويش" **وقد أمتدت فشملت العالم الديني بعد أن سادت العالم الدنيوي من قبل واصبح التشابه البابلي بين العالمين واضحاً وأضحى التمييز** بين المتدينين في الكنائس وغيرهم ضئيلاً في حقيقة الأمر **وكأن بابل قد زحفت وانتصرت وأصبح للباطل بسببها الكلمة العليا، فإن الرب لابد أن يحفظ التوازن ويبقى لنفسه بقية أمينة تحول مجرى التاريخ بالرجوع لله ونفض أسر بابل عنها!!**

"فاللعنة إذن تحل حيث الشر: ولما كانت صفة الشر أنه بابلي أي وارد من بابل كان لابد أن كل ما يتصل ببابل – حتى شعب الله نفسه – يقع تحت حكم اللعنة" أنها لعنة عقاب الشر، اللعنة التي لابد أن تفني الخطية والخاطي كليهما فيزولان من أمام وجه الله!

هذه اللعنة خارجة – كما يقول النص – على كل الأرض، أرض اسرائيل مبدئياً، ولكن هذا تفسير مقيد واطلاقه يمكن أن يعني وجه كل الأرض أي الدنيا كلها – وذلك لأن الله ليس هو إله رحمة فقط، فإن هذه احدى صفاته، ولكنه من وجه آخر إله عدل، وهو لم يشفق على ابنه عندما وضعت خطايانا عليه **فكيف يتجاوز عن حالتنا البابلية إذا عشنا بلا توبة وفي قساوة القلب**، ولذلك فإنه بعد اعلانه لعبده موسى إنه الإله الرؤوف الرحيم عقّب بالقول: "لكنه لا يبرئ البتة"!

فهو يعلن المحبة ويقدم الغفران ويفتح الأحضان لمن تلين قلوبهم فيلتزمون بطاعة أوامره ووصاياه وإلا فإن حكم اللعنة موجود ومعد للذين يستحقونها – ممن يؤجلون الاسراع في قبول التغيير والرجوع للرب وتعمد الجمود وترسيخ الأوضاع التي لا تقبل التعديل ولا الابدال بأي حال من الأحوال!!

وذلك لأن إلهنا عظيم يأخذ بيد التائبين ويحرر الأسرى الراغبين في العتق، وها نحن نرى في أقليات صغيرة بدأ الرب يحررها هنا وهناك بداية رفع اللعنة وابدالها بالبركة!!

***

الفصل الرابع عشر

تجميع الشرفى بابل

"فعدت ورفعت عينىّ ونظرت وإذا بدرج طائر... طوله عشرون ذراعاً وعرضه عشر أذرع" (زك٥: ١و٢)

"والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعاً... وعرضه عشر أذرع..." (١مل٦: ٣)

"امرأة جالسة فى وسط الايفة. هذه هى الشر" (زك٥ : ٧و٨)

رؤيا الدرج الطائر:

ظهر فى وقت ما فى عصرنا خبر شغل الدنيا بأسرها عما وصفته الأنباء بالأطباق الطائرة التى شهد بعضهم بأنهم قد أبصروها وهى تدور فى الفضاء وقيل أنها جاءت من عوالم اخرى وشهد البعض بأنهم لمحوا من يقودونها، وقد احدثت ارتباكاً بما انتجته من تصورات عن احتمال وجود كائنات فى الأجرام السماوية تريد أن تقتحم أرضنا ولا يدرى أحد أهى صديقة للبشر أم عدوة لهم، على أن ما يعنينا إنها تركت آثاراً عميقا فى أذهان الناس...

ولكن – بغض النظر عما رآه البشر فى تلك الظاهرة – فإن عند الله ادراج طائرة هى من نوع آخر قد لا تراه العين المجردة، ومع ذلك فإن ما ورد عن هذا الدرج الذى رآه زكريا والماثل أمام أعيننا ليكشف **عن طيرانه فى كل الدنيا واتجاهه إلى كل مكان بدون توقف – إنه يطير حاملاً اللعنة لكى يصيب بها من يقعون فى حق الله أياً**

يكونون... لأنه يركز على الحالفين باسم الرب زوراً، وهذا أمر واجب تجاه الله، وكذلك السرقة وتحريمها وهذا أمر واجب تجاه الإنسان... **وهو يحمل اللعنة على من يحلفون ضد اسم الرب ويأكلون حق الإنسان، لكى تقطعهم هم وبيوتهم. أنها قضاء إلهى مرسل على من يستحقونه ولا يمكنهم التخلص منه**.. إنه يعلن لكل ضمير حتمية عقاب المخالفين الذين قد أصبحوا بابليين الأمر الذى يستوجب أن تحل عليهم لعنة هذا الدرج الطائر **لأنها تفنى من تحل عليه هو وبيته!** شيء رهيب أن لعنة الله معلنة على الأثمة والظالمين لأن ربك بالمرصاد لا بد أن يتعقب الخطية أينما وجدت بهذا الدرج الطائر لكيما يزيلها ويفنيها من الوجود **وهذه الحقيقة لا يمكن انكارها ولا تحديها لأنها تعلن العقاب المحتوم على من يستحقونه!!**

ومع أن الرؤى السابقة أعلنت مراحم الله على شعبه، لكن هذه الرؤيا تعلن الدينونة وهى تتركز فى الحلف باسم الرب زوراً وكذلك السارق ومقاسات الدرج الطائر هنا هى نفسها مقاسات رواق الهيكل حيث كان الناموس يُقرأ اعلاناً لسلطانه كعنوان الحكم الإلهي ولعنته هي لكل الأرض (ملا٤ : ٦) ولذلك فأن الأمم أيضاً يدخلون في نطاق لعنة الناموس لأن مادته مكتوبة في قلوبهم بحسب ما ورد في الإصحاح الثاني من رسالة رومية!!

وهذه اللعنة تقطع من الجانبين (أي من كل جانب) إذ أنه لا يستطيع أحد أن يهرب منها في أي مكان لأن الله من جانب إلى آخر سيدعو الجميع بدون استثناء للدينونة فإنه لم يشفق حتى على مدينة أورشليم عندما اخطأت ولذلك فإن هذه اللعنة ستدخل إلى بيوت من يخطئون وتفنيها حينما يظنون بأنهم في أمان...

***

رؤيا المرأة الجالسة في وسط الايفة:

بعد ذلك أرى الملاك لزكريا رؤيا أخرى هي: "رؤيا المرأة الجالسة في وسط الإيفة". والملاك يفسر الرؤيا بقوله: "هذه هي الشر" هنا يرى النبي ايفة.. وهي مكيال سعته كيلتين، وهي مغطاه برصاص، وعندما رفع الغطاء نظر في الايفة شكل امرأة أنها تشخيص للشر – **هذا الشر الذي يجب أن يرفع من الأرض المقدسة إلى بابل لكي يمتزج هناك مع عناصره المتماثلة حيث يتم تجميع الشر بأنواعه!!**

وبالرجوع إلى الرؤيا السابقة التي أعلنت اللعنة على السرقة والحلف الباطل نجد أن الإيفة هنا هي غش الكيل وهم بذلك قد جعلوا أداة غشهم هي نفسها آلة عقابهم.. وبذلك فإن رؤيا الايفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع رؤيا الدرج الطائر السابقة لها... ليس فقط الأفراد المخطئين هم تحت اللعنة الآكلة ولكن الشعب في مجموعه هم أيضاً قد وضعوا في موقعهم الحقيقي، **والله بقدرته المهيبة يأخذهم إلى قاعدتهم الحقيقية، ومن ثم فإنه يبني بيتها في أرض شنعار والتي هي نفسها أرض بابل (تك١١ : ٢) وهكذا نشاهد صفتها البابلية تماماً من مركزها هذا (زك٥ : ١١).**

عندما يأتي الله ليسكن في وسط شعبه فإنه بواسطة دينوناته المتحدة يجعل وجود الخاطئ مستحيلاً.. وهذا هو معنى "الدرج الطائر" ولكن رؤيا الايفة تتفق مع ذلك في المشكلة هنا لأن الفجور (عدم مخافة الله) لابد أن يدان لأن حضور الله حينئذ يعمل كدينونة لأنه إنما يسكن في قداسة في أرض يجب أن تتطهر من كل شر!!

•••

هذا التطهير لا يجب أن يكون فقط في حياة الفرد بل أيضاً في الحياة العامة (الاجتماعية مع الناس) والدينية (في الكنيسة) والمدنية (بالنسبة للدولة).. فإن قداسة المؤمن هنا هي جزء من خلاصه يشتق طريقه إلى أقصى حدود كياننا! صحيح أن هناك عنصر جوهري في الغفران هو المصالحة لكنه يستدعي أيضاً التطهر والتقديس!!

•••

على أن القصد من كل ما سبق ذكره إنما هو التخلص من الشر، لأن زكريا يرى في رؤياه "الشر" في شكل امرأة جالسة في الايفة وقد ورد في سفر الأمثال في الاصحاحين الثاني والخامس تشبيه الشر بامرأة "**ولكن حالما ابتدأ الغطاء الرصاصي يُرفع فإن المرأة تستعد لكي تقفز من الايفة_ ولكنها تطرح ثانية فيها، وتغلق الايفة بسرعة بالغطاء الرصاصي – وهنا نرى خداع الخطية وما لم نكن منتبهين من مراقبتها فإنها تغلبنا بمكرها ونفقد حصانة الحفظ منها!!**

وهكذا نرى في (ع٧) كيف رُفع الغطاء عن الايفة ليسمح للنبي بأن يرى هذه المرأة المجسّمة للشر في داخلها على وشك الرفع من يهوذا.. وأما كون الغطاء من رصاص فإنه يعني أن "المرأة" لا يمكن أن تهرب من هذا الحمل الثقيل الذي يضغطها ويطرحها إلى أسفل وهذا يمثل قدرة الضبط الإلهي!!

أما وصف هذا الغطاء بأنه "وزنة" فإن ذلك معناه قطعة مدورة يبلغ وزنها ١٢٥ رطلاً، ولولا ذلك لتمكنت تلك المرأة (التي تمثل الشر) من التحرك بأكثر حرية لو كان بمقدورها أن ترفع هذا الغطاء الثقيل!!

أما وصف "الايفة" في (ع٦) بالقول: "هذه عينهم في كل الأرض، وكلمة "عينهم" هنا قد وردت في الانجليزية "شبههم" their resemblance وهي تعني أن هذا شبه أو عينة لما فعله اليهود ولما سيتألمونه – أي التشبيه التام.. ولأن أرض شنعار إنما هي رمز للأراضي الاممية المتنوعة التي تشتتوا فيها إلى الآن فما ورد عنهم هنا إنما هو نبوة مسبقة عندما يكمل مكيال إثمهم (بحسب ما يشار إليه في الايفة) وبعد اعلان الدينونة على الافراد كما في الرؤيا السابقة!!

فإن الرؤيا الحالية إنما هي إعلان عن الحالة كلها: حالة الوثنية والخطايا المرتبطة بها (خاصة الطمع والغش اللذين أعلن عليهما القصاص في رؤيا الدرج سيرفعان من الأرض المقدسة بلا رجعة (١ص٣ :٩ ، اش ٢٧ : ٩ ، ٦٠ : ٢١ ، أم٥٠ :٢٠ ، صف ٣ : ١٨).

***

***

وهنا ينكشف لنا التاريخ القديم كحقائق لأحداث نبوية تسير مع الزمان لكي تضع في القلوب الأمينة الرغبة الصادقة في تجنب اللعنة بأن نأخذ في الاعتبار طريق العودة إلى خطوطنا الأولى، أى الأوضاع القديمة التي بدأت بالكنيسة الأولى وحفظها لنا الوحي رغم أن الكنيسة بوجه عام قد هجرتها عبر التاريخ – **وهذه العودة إنما تتمثل في رفض الشر بأشكاله ونفض غبار بابل عنا، وتذكر رحمة الله بتحديد مدة السبي ووعده بالتحرر منه!**

ومن ثم فأننا لم نستطع الإسراع في هذه التأملات بل تركناها تستغرق الوقت الكافي، ولابد من امتدادها إلى مؤتمر آخر فيما بعد، وذلك لأن الخروج من بابل ليس كلاماً يقال ولكنه فعل مصيري فإن لأورشليم العليا خط متواز مع خط بابل ويخالفه كل الاختلاف، فالذين يتابعون خط بابل تدركهم اللعنة ويتم فيه الوعيد: "اذهبوا عني يا ملاعين"، بينما الذين يخرجون منها سيسمعون صوت الترحيب: "تعالوا يا مباركي أبي"!!

ومما يلاحظ على هذا الدرج أنه يحتوي على كلمات اللعنة الواردة في سفر التثنية الإصحاحين ٢٧ و ٢٨، والقصد من كتابتها يعني أنه ليس هناك إمكانية للهروب منها –

إنه درج مفتوح – أي غير ملفوف – وذلك حتى يتسنى قراءته، وإذ هو مفتوح للجميع فليس بمقدور أحد أن يعتذر بأنه لا يعرف محتوياته، وطيران هذا الدرج يعني أن هذه اللعنات التي يتضمنها جاهزة لكي تقع بسرعة على المعتدين في كل مكان يوجدون فيه! ومن ثم فأنه في وقت العقاب الله لن يشفق – وهو لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا ولا على العالم القديم، وهذا يعني ضمناً بأنه لن يشفق على المخطئ الذي يتمسك بخطئه – **لأن الخطية التي لا يتوب عنها صاحبها تستجلب حتماً العقاب، هذا فكر رهيب ولكنه حقيقي، إنه بمقدار شر الناس يكنزون لأنفسهم الدينونة القادمة!**

مقاسات هذا الدرج:

وهنا نجد الوحي يتحدث عن مقاسات هذا الدرج ويقوم بإبلاغها للنبي لما لها من دلالة ومعنى فيذكر أن هذا الدرج طوله عشرون ذراعاً وعرضه عشر أذرع: شيء غريب الاهتمام بهذه المقاسات **ولكن غرابته تنتهي عندما نعلم أن هذا القياس ليس بجديد في كلمة الله فقد ورد بعينه في مناسبة سابقة وهي قياس الهيكل** (أي المحراب – قدس الأقداس) والكروبان اللذان بداخله، وكذلك قياس الرواق الذي أمام الهيكل: **فهذه كلها لها نفس القياس وهو لذلك يمثل "وحدة القانون الإلهي" الذي يتعامل به الله مع الناس، وهو قانون يراعي في التعامل الوجوب والسلب أي البركة واللعنة بحسب مقتضيات الأحوال!** وهذا بعينه ما كان أيام الناموس عند تخصيص جبلي عيبال وجرزيم للعنة والبركة وأقر بهما الشعب في ذلك الوقت.. وترك لهم الله حرية الاختيار بينهما بعد أن وضعهما كليهما أمامهم!!

ولأكثر من ٢٠٠٠ سنة منذ عصر السبي البابلي قد تحرر اليهود من الوثنية، ولكن الاتمام الكامل لا يزال في المستقبل، عندما تتطهر اسرائيل من كل خطية عند تجددهم للمسيح بعد رجوعهم إلى فلسطين!!

فهذه الحالة إذاً هي عينهم أي شبههم – حز ١ : ١٦) فإن عينهم كانت تتجه إلى الشر... هذا هو شبههم (منظرهم في كل الأرض وهذا ينطبق على اليهود الأشرار كما وعلى المسيحيين أيضاً المماثلين لهم!!

وقد وجدنا بعد ذلك في (ع٩) النص القائل: "ورفعت عيني ونظرت وإذا بامرأتين خرجتا والريح في أجنحتها.. ولهما أجنحة كأجنحة اللقلق فرفعتا الايفة بين الأرض

والسماء"... وفي (عدد ١٠ و ١١) نجد القول: "فقلت للملاك الذي كلمني إلى أين هما ذاهبتان بالايفة فقال لي لتبنيا لها بيتاً في أرض شنعار. وإذا تهيأ تقر هناك على قاعدتها".

هنا نرى من سيحملون "المرأة" انهما امرأتان غيرها لهما أجنحة اللقلق والريح في اجنحتهما قد رفعتا الايفة بين الأرض والسماء وحملتاها عبر الهواء!! وهكذا يستخدم الله الأشرار أنفسهم ليكونوا وكلاء عقاب "الشر" ومحوه وهنا نجد امرأتين مستخدمتان، لأن واحدة لا تكفي لرفع مثل هذا الحمل **وهما يمثلان الاشوريين والبابليين الذين حملوا الوثنية في اسراهما من اسرائيل ويهوذا على التوالي...** وكما أن هناك شخصان ممسوحان (٤ : ١٤) يقفان أمام الرب كخدامه، هكذا نجد هنا امرأتان مجنحتان تنفذان مقاصده في محو ما تجسم فيه "الشر" وهما يقابلان "سر الاثم" ولكنهما يخبراننا عن شيء أكثر أهمية **فإن هاتين المرأتين في الرؤيا التي أمامنا تحركان موقع عملياتهما إلى أرض شنعار (بابل) – فماذا يعني ذلك؟ إنهما يمثلان رمزياً البابليتين الدينية والتجارية** أما الاجنحة فتمثل السرعة – أما اللقلق فله أجنحة طويلة وواسعة وهذا هو سبب اختياره كما إنه أيضاً طائر نجس ومهاجر أما الريح فتساعد على سرعة **تحريك الأجنحة أما رفعهما للايفة بين السماء والأرض فإنه يعني التنفيذ العلني للدينونة أمام أعين الكل...**

وكما نُقلت هذه المرأة لبابل كبيتها هكذا المرأة "بابل" التي في سفر الرؤيا الموصوفة ببابل ومثلما كان يمثل ذلك قديماً بناء اليهود أنفسهم لبيوت في بابل على المدى الطويل (ار ٢٩) هكذا هنا ببناء بيت "للشر" فإن ذلك يعني تجميده وبقائه المستطيل – فإنه بعد طرده من يهوذا، فإنه يرسى على قاعدته لكي يتثبت هناك كمقره المناسب حيث سيسكن إلى الأبد مع المرتدين أضداد المسيحية (الذين ترمز إليهم بابل)...

وهكذا سيعاقب الله الشر وفي حقيقة الأمر قد بدأ ذلك فعلاً – لقد: دخل الله في الموقف وهو يدعم الصراع. لقد نزع الشر من الطريق وهو تحت حكمه – **يا لها من تعزية نجدها هنا، إنه مهما تكن تحصينات الشر فإنها لابد أن تمحى يوماً ما. فإن كنت تئن بسببها وترغب في التخلص من الشر بكل أشكاله تشجع بهذه الرؤيا التي تمنحك إياها كلمة الله!!**

إننا بصعوبة نتصور معنى ذلك فإننا – دون استثناء واحد منا – لسنا كفاة لمحاربة الشر – فإن الناس مجمعون أن الوجود البشري الحالي مجرد خداع وفشل وأن الجنس البشري لذلك يجب أن يبقى إلى الأبد مُثّبت في الذنب.. لم يعد أناس عصرنا مثاليين بل أصبحوا مشغولين لكي يكونوا وجوديين وأعمق مبدأ لهم هنا هو أن هذا الوجود البشري إنما هو غلطة ولا شيء يمكن عمله لتصحيحها – **ولكن الكتاب يعلن ذلك ولكنه يضيف بأن حضور الله قد ملأ وجودنا الباطل بالخلاص والصواب!!**

لقد حلت الايفة في أرض شنعار بالقرب من بابل: وذلك يرينا بأن هناك مكان في العالم، حيث – بحسب قرار الله الذي يفوق إدراكنا – يتجمع الشر ويحفظ إلى يوم الدينونة، ولكن في اسرائيل – الشعب الذي اختاره الله ليسكن وسطهم ويجد مكان راحته **ليس للشر الحق لأن يبقى وهكذا بالأولى جداً الآن يتم ذلك بين جماعات الله!!**

في تاريخ العالم هذا هو السؤال التقريري: "هل يمكن للإله الحي أن يجد بقعة على الأرض يمكنه أن يسكن فيها في قداسته ومجده – **إن استطاع أن يجد مثل هذه البقعة فأن بطلان وجودنا ينتهي، وتبدأ الحياة ممتلئة من المعنى لأننا سنُعطى حينئذ عملاً نخدم به الله!!**

الشر لابد أن يبقى ولكن ليس هنا في الأماكن المقدسة بل في مكان آخر – أين؟ هذا ما لا نستطيع أن ندركه! **ولكن الذي يعنينا أننا استخلصنا بقعة من الأرض تحررت من الشر وفيها – فيها وحدها تصبح الحياة الحقيقية للناس ممكنة!!**

قانون التعامل الموحد:

من المعلوم إذاً أن لعنة الناموس هي على كل الأرض، **وهو ما يشير إليه ملاخي في (١ص٤ : ٦) بقوله "لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن"** والأمم – هنا – يدخلون أيضاً كإسرائيل كما سبق التنويه به.

ويعلن ملاخي عن السبب وهو أنهم سرقوا الله بالامتناع عن اعطائه ما هو حقه عند بناء البيت، ولذلك فإنهم وهم يبنون بيوتهم فإن اللعنة ستفنيها فضلاً عن ضياع المقابل الذي وعد به الله مقابل تقديم العشور كان ذلك بالنسبة للشعب القديم وهو ساري المفعول حالياً!!

ويتضح من ذلك بأن الله وحده هو مصدر الخير وأما الشر فنابع من خلائقه الناقصة، ولذلك كان للخير الدوام أما الشر فسيزول تماماً من عالم الله يوم أن يفنيه الله دون افنـــاء للأشرار – والبشر تحت الامتحان في فترة الزمان التي يعيشونها وكل واحد مســئول عــن اختياراته وسيحصد نتائجها في حينه زمنياً وأبدياً، بغض النظر عن امهال الله وطول أناتهِ – هذا هو أساس قانون التعامل البادي في مقاسات الدرج فإن رقم ٢٠ يمثل الشهادة للمســئولية ١٠ × ٢ وقد يتضمن معنى النعمة الشاملة ٥ × ٤، وأما رقم ١٠ دائماً فهو رقم المسئولية – **الكروبان في (الهيكل) يشغلان حيز العشرين ذراعاً** لأن لكل جناح خمسة أذرع ولكل منهــا جناحان وهما كاروبان يرحبان بمسئولية العدل الإلهي في الترحيــب **بالقــادمين علــى أن يراعوا مسئوليتهم الممثلة في عشرة الأذرع الارتفاع!** والرواق أمام البيــت يمثــل مكــان التعليم والاعداد اللازمين للتهيئة لقدس الأقداس، ومن المعلوم أن الرواق والمحراب لكليهما نفس المقاس **وهذا يعني بالضرورة أن مطاليب ناموس الله بالنسبة للوجود في السماء هي بعينها بالنسبة للوجود على الأرض** الأمر الذي يستلزم منا الآن أن نتعلم الســجود بــالروح والحق ومراعاة للقانون الإلهي الموحد، والذي على أساسه يتم القبول أو الرفض، البركــة أو اللعنة، القداسة أو الشر!!

وتؤكد كلمة الله أن بابل لم تكن في جهل لكنها رفضت الشهادات التي توالت عليها عن الإله الحي الحقيقي وراحت تتعالى بحماقة عليه ولذلك كان لابد من وقوعها فــي قبضة قضاءه العادل وتتحطم بعد أن فاتها أوان التوبة، والوحي يسميها "الباغية" التي أتى يومها (أر ٣٠ – ٣٢) ولذلك فإنه يعلن بأنه سيزعج سكان بابل عندمّا يرسل عليهم سيف القضاء العادل – وذلك لن يكون على شعب بابل القديمة وحدها بل على ســائر النظام الشيطاني الذي كانت سهول شنعار مركزاً له منذ أيام نمرود!!

***

الفصل الخامس عشر

عقاب الاشرار ونهاية الشر

"إنى اخرجها... فتدخل... وتبيت فى وسط بيته وتفنيه مع خشبه وحجارته (زك٥: ٤)

"وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء. وتاركو الرب يفنون... ويصير القوى مشاقة وعمله شراراً فيحترقان كلاهما معاً وليس من يطفىء" (١ش١: ٢٨و٣١)

التداخل الإلهى:

رأينا كيف أن الله لا بد أن يعاقب الشر، وفى حقيقة الأمر قد بدأ فى تنفيذ ذلك فعلاً، لأن الشر مادة غريبة دخيلة ولا بد من زوالها.. لقد التقى الرب – الإله المتأنس – بجميع قوى الشر فى معركة الجلجثة الخالدة وكان انهزامه الإرادى الظاهرى **اعظم انتصار** – وكما خاطبه أحدهم بالقول: "أيها الناصرى وانت على صليبك أقوى من ألف جيش فى ألف معركة"، **ومن بعدها وهو يجتاز المعارك كلها ويغلب – أنه لم يخسر معركة واحدة!** فهو الإله الغالب لأمره والذى جعلنا واثقين من قوته العظيمة! وهو لا يزال فى ميدان الصراع مع الشر. **لقد نزع الشر من الطريق وهوحالياً تحت حكمه المباشر**، وهو وان كان يحتمل الاشرار ويمهلهم لكنه يعرف كيف يذل الشر ويحفظ الاشرار معاقبين إلى يوم الدين ومن هنا جاء هذا التساؤل: "**من تجبر عليه وسلم!؟" – يا لها من تعزية نجدها هنا – إنه مهما تكن تحصينات الشر فإنها لا بد أن تمحى يوماً ما!!**

إن هذه الرسالة لا بد أن تعزى الاتقياء إزاء تجربة سخرية الشر بهم واستهزائه – فى أكثر النفوس المتمردة المتعالية بسلطانها الزمنى وهى تسخر من الابرياء لمدى طويل وتستغرب لثبات القديسين وتمسكهم رغم محاصرة الشر لهم سنيناً عديدة! **قد تكون الظروف المحيطة بهم من أسوأ ما يكون لكنهم على يقين أن الذى معهم أقوى من الظروف والشيطان وقد غلب كل قوى الجحيم!** ومن هنا كان انتصارنا على كل معاناة وصبرنا على المكاره لأن الإله الذى معنا ليس هو بالمغلوب على أمره بل إنه المنتصر دائماً! **فى يده الكلمة العليا وهو يعمل فى الخفاء لهزيمة الشر واصحابه** وفى النهاية سيفنى كل شر، وسيعاقب جميع الاشرار (سواء كانوا بشراً أم شياطين). **سيأتى يوم الانصاف بإجراء القضاء العادل وتصحيح الأوضاع وانتصار ملكوت الله فى النهاية وافناء الشر ابدياً** – هذا أمر محقق مهما بدا مدى الزمان طويلاً وتجبر الشيطان عظيماً فسوف يصرخ مع فلوله صراخاً أبدياً مقراً بذلك أنه اشقى الكائنات هو والذين قبلوا قيادته لهم للعصيان!

هذه فى الواقع من المبادىء الأساسية التى منحتنا رؤيا واسعة من هذا القبيل، هى حاجة الساعة فى هذه الأيام الأخيرة التى يصل بها الأشرار إلى نهايتهم **فينـدبون حظهم التعس بسبب المصير الأليم الذى اختاروه لأنفسهم** – والاشرار هنا هم اشرار كل زمان ومكان بغض النظر عن الأنظمة والعقائد – فالله يضبطهم جميعاً إلى وقت توقيع العقاب الزمنى والأبدى **وفناء الشر ذاته إذ إنه لا بد أن يفنى من عالم الله تماماً مهما تزايد وتضخم، إذ لا بد أن يصل إلى نهايته ويتلاشى!!**

افتداء الحياة:

على أن الله فى تداخله لم يقصد مجرد عقاب الاشرار وهلاك البشر – الأمر الذى قد يجلبوه على أنفسهم بسوء اختيارهم الشخصى – وإنما قد تدخل لأجل افتداء الحياة البشرية من الباطل والظلم والمصير الأليم...

وقد يصعب علينا أن نتصور معنى ذلك **ولكن الكتاب المقدس وهو يعلن ذلك يضيف إليه بأن حضور الله يملأ وجودنا الباطل بالخلاص والخلود!!**

ومع أن هذه الحقائق مجرد أمور متطرفة وهم يستغربون لنا عندما نخبرهم بأن مصدرها "الاعلان" وهو فوق "العقل"، وقد رفضته الفلسفة مفضلة العقل عليه، لكنه أساس الدين كله:

وقد تركزت الفلسفات فى عصرنا فى الماركسية التى تنكرت للدين وكفرت بوجود الله واصبحت عنواناً للالحاد، وأما الوجودية التى برزت فى مناطق اخرى فى الغرب فابتدأت تقول تتساءل فى تفسير معنى هذه الحياة التي يعيشها الإنسان فى شقاء واحزان يهددانه بالموت والفناء – ماذا يعنى ذلك؟ وكان جوابها بأنه لا معنى لهذه الحياة ولا ضرورة لها فى الواقع، **وما دام الأمر كذلك فلا داعى للتفكير فى أى شىء خارج كيان الإنسان نفسه:** ومن ثم فقد بلغت إلى القول بأنه **لا داعى للتفكير فى الله وفى المُثُل العليا والاخلاقيات والمبادىء السلوكية، وإنما شىء واحد يجب التركيز فيه وهو ذات الإنسان نفسه** – وإذاً فليخرج الله من عرش الحياة الإنسانية وليكن كل إنسان إلهاً لنفسه يسير على هواه ويفعل ما يشاء – وبذلك فتحت الوجودية باب الإباحية العصرية على مصراعيه بحثاً عن معنى الحياة دون العثور عليه!!

وهذه الفلسفات قد ألقت القفاز فى وجه الدينيين وهى تتحدانا بالقول: ماذا لديكم فى المسيحية تقدمونه لمعالجة مأساة الوجود البشرى؟ وعندنا الجواب: **أننا قد وجدناه فيمن افتدى نفوسنا وسيطر على احزاننا بل وابدلها بأفراح** – الإله الذى نؤمن به قد حَل مشكلة حياة البشر المأساوية فإنه وقد خلقنا ورأنا تحت سيادة الشر ونعانى من نتائجه، قد تدخل لفدائنا وقطع على العدو فرصته – لقد تداخل وحمل عنا خطايانا وامراضنا، كسر شوكة الموت ووضع فينا بذرة الحياة الأبدية وادخلنا فى نطاق تغيير شامل يبدأه الآن وسيكمله فى الأبدية!!

نهاية الشر:

هنا قد وجدنا صوتاً يدوى فيصل لجميع الخلائق معلناً بأن الاشرار لا بد أن يعاقبوا وأن شرهم كالمشاقة (الشعر الساقط من الكتان عند التمشيط وهو سريع الاشتعال) وكما يقول اشعياء **إنه سيشتعل هو وصاحبه حتى وإن بدا قوياً لأن الشر كثيراً ما يملأ صاحبه**

بالبطولة الوهمية والتجبر الكاذب مع أن القوة التى فى الشرير وإن كانت قـوة شـيطانية لكنها فى نظر الله لا تزيد عن الشعر الساقط الذى سيشتعل بنار الغضب الإلهى وليس من يطفىء! **ويذكر اشعياء ضمن الفئات التى ستواجه هذا المصير "تـاركو الـرب" – فهـم يهلكون مع المذنبين والخطاة على حد سواء.** ونرى هنا ان المذنبين وهم الذين يتعمـدون الشر بإرادتهم هم والخطاة الذين يقعون فى الخطية الفعلية سيعاقبون معاً لأنهـم تـاركون للرب على حد سواء... ومهما تكن احاسيسنا هنا فإن علينا أن نمارس التبكيت ونحذر من حالة التباعد عن الله، فإن النهوض والرجوع إليه لإدراك رحمته اجدر بكثير من تركـه إذ أنه سيُنزل على المتباعدين عنه العقاب الذي يتوعدهم به!!

وأما قوله الوارد فى زكريا ٥: ٣ ونصه: "لأن كل سارق يباد من هنا بحسبها وكـل حالف يباد من هناك بحسبها" (أى بحسب هذه اللعنة الخارجة من عند رب الجنود، فنجد فيه ما يفيد بأن هذه اللعنة تبيد (أى تستأصل) بأن تقطع وتفنى من الجـانبين (كسـيف ذى حدين)، وهذا يعنى أن العقاب لا بد أن يواجه كل من يخطىء بدون استثناء وليس هنـاك شفقة من جانب الله على الخطية إينما وجدت لأن طبيعته القدوسة تجعله لا يطيق الأثم باى حال من الأحوال!!

وفى هذه المقابلة بين القداسة والشر يتلخص سر الوجود البشرى كله – فما شـاء الله أن يترك الأرض لشر الإنسان وسيادة الشيطان بل لا بد أن يحكم ويتحكم إذ هو الإله الحكيم الوحيد الذى يستطيع وحده – دون سواه – أن يفعل ذلك، لأنه يعرف كل الأشياء ويدير كل الأشياء ليسير بها نحو إتمام مقاصده – وهذه هى العناية الشـاملة التـى مـن نتائجها إيفاء الضرورات الأدبية لطبيعته واثبات انتصار ملكوته الله الشامل فـي عالمـه بأسره في نهاية المطاف!!

***

الفصل السادس عشر

اللعنة على سرقة الحقوق

"هذه هى اللعنة... لأن كل سارق يباد من هنا
بحسبها... فتدخل بيت السارق وتبيت فى وسط بيته"
(زك٥: ٣و٤)

السارق الأول:

استغربت جداً لماذا اختار الوحى السرقة والحلف بالزور ليكونا الخطيتين العظيمتين اللتين بسببهما تحل اللعنة على من يرتكبهما – قال البعض بأن هذا تقسيم فنى يبدأ بالجانب الذى يخص الإنسان فى حين أن الجانب الآخر يمس حقوق الله، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد من الحصر والتحديد، فإن السرقة غير جائزة بالنسبة لحقوق الله وحقوق الإنسان على حد سواء، كما إن النطق باسم الله باطلاً لا يقتصر على إهانة الله فحسب بل يؤثر على المعاملات بين الناس: **وهذا يعنى إن الحقوق الإلهية والإنسانية كليهما وحدة لا تتجزأ ومن هنا تبرز أهمية هاتين الوصيتين المشار إليهما بكسرهما بواسطة السرقة والحلف الكاذب** مما يكشف عن شناعة خطية هضم الحقوق على طول الخط وشدة الارتباط فيما بينها وبين الحلف الكاذب!!

ونحن فى حاجة إلى وعى محدد لكى ندرك أن هاتين الوصيتين، مع باقى الوصايا العشر **إنما هى الناموس الأدبى – وهو باق كما هو لأنه قانون أبدى**، وأما السبت الوارد ضمنها وهو يعنى الراحة فيبين الإصحاح الرابع من العبرانيين إنه انتهى واستبدل بالمسيح الذى دعا إلى الراحة وصار به لذلك لنا نحن المؤمنين دخول إلى هذه الراحة!

ومن هنا تبدو اهمية هذه الوصايا واستحالة العبث بها، بل أنها نقلت إلى العهد الجديد بصورة أعمق – فلم يعد القتل جريمة فقط بل مجرد البغضة فى القلب، وكذلك بالنسبة للزنى فقد أصبح حادثاً بمجرد نظرة اشتهاء وكذلك السرقة اصبحت أكثر تجريماً بالطمع والرغبة فيما للغير وهكذا، ويبقى تقديس اسم الله وعدم النطق به باطلاً فى قمة الديانة بأسرها – مما يبين روعة هذا الناموس لحفظه العلاقات سليمة وكذلك الاخلاقيات والأدبيات **حتى إن القانون الأرضى (المدنى والجنائى) قد تم استخراجه من وصايا هذا الناموس وملحقاته التفصيلية!**

وهنا يبرز هذا السؤال: لماذا تبرز السرقة فى المقدمة وتحتل مكان الصدارة!؟ والجواب المبدأى هو أن إبليس نفسه وصف "**بالسارق الأول**" واعتبر العمل الذى قام به "سرقة" بقول المسيح عنه: "**السارق لا يأتى إلا ليسرق** ويذبح ويُهلك..." (يو١٠: ١٠) وأيضاً: "ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب" (يو٨: ٤٤) – **فهو أكبر سارق فى الدنيا وفى وصفه هذا نجده قتالاً وكذاباً**، ولكن ما بدأ به إنما كان أكبر مغامرة تطاول بها على مجد الله ورغب فى قلبه أن يسرق ذلك المجد فطمع فيه واراد أن يتأله ويجلس على عرش الله أو يكون له عرشاً **ونسى ما قاله الله نفسه: "أنا الرب ومجدى لا أعطيه لآخر"** (اش٤٢: ٨). **ولما لم تنجح مهمته هذه، سرق من الله جانب كبير من الملائكة يصل إلى الثلث، ثم سرق منه الجنس البشرى كله فصرنا امتعته (أى مسروقاته) التى يتحفظ عليها** – وهو لذلك الذى ابتدع مبدأ السرقة ونشره فى ربوع عالم الله، وجعل للسرقة فنون وانواع فهناك سرقة الأموال والأشياء وهناك سرقة التحايل والنصب، وهناك سرقة اشتهاء ما للغير، وهناك سرقة المكانة والشرف والوقت وحرية الآخرين وحيائهم، وسرقة الذوق العام بل وسرقة الحياة نفسها فى صورة القتل **ناهيك عما ظهر مؤخراً من سرقة أماكن العبادة نفسها فيا للهول!!**

وقد دمغ الشيطان بهذه الجريمة العالم الدينى أكثر من العالم الدنيوى فأصبح أشر منه، فان هناك سراق ولصوص متدينون لا يستطيع القانون الأرضى أن يصل إليهم أو يقتص منهم **لأن باستطاعتهم أن يتخذوا من الدين ستاراً ويصعب كشف أمرهم، وهم لذلك مجرمين من الدرجة الأولى وان كانوا يفلتون من العقاب إلا أن ذلك إلى حين ومهما طال الزمن وأيا كان مدى اتقانهم لفنون الغش والخداع التى تعلموها من أبيهم "إبليس"!** إنهم

يسقون النبى خمراً ليترنح ويبغضون المنذر فى الباب ويطلبون من الرائين أن يـروا لهـم مخادعات ويكلمونهم بالناعمات، **وبينما هم يقدمون لله قلوبـاً مغشوشـة، يظنـون أن الله يساندهم ويقف بجوارهم ويسيئون تفسير بطء قضائه فيزداد امتلاء قلوبهم بالحماقـة...!** ولكن الله المتمهل لن يدع السارق يقوم بعمله هذا إلى ما لا نهاية بل لا بد أن يصـفى معـه الحساب، لأن غضبه معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم الذين يحجزون الحـق بالأثم والظالم سينال جزاء ما ظلم به وليس محاباة وهذه نصوص كتابية صادقة!!

سرقة الحقوق:

يا لها من جريمة تعلو فوق الوصف: جريمة سرقة الضـمير والتلاعـب بـالحقوق الخاصة والعامة على حد سواء – والتصور الخارج بأن هذه السرقات راضـى عنهـا الله وإلا لما ترك مرتكبيها يفعلونها ويقومون بها، **وقد نسوا أن الله إنما يمتحنهم بتركهم لهذا التصور الكاذب – لأنه هو سبحانه مرجع الحقوق إلى أصحابها المظلومين رغـم أنـف الظالمين الذين يسرقونها بالحيلة والطغيان!**

فبالنسبة لكافة الحقوق قد امتدت السرقة لتشمل كل شىء تقريباً، مثلاً على رأس مـا يحدث هنا تغيير المواقع والأنصبة المقررة من قبل الله وذلك بالتطاول على أصـحابها أو بتنازل هؤلاء عنها، رغم إن التحذيرات كثيرة بأن يأخذ كل واحد ما هو لـه ويـذهب ولا يتداخل فى نصيب غيره – ومع ذلك فهناك تحرك واسع لتغيير الأماكن وابدال الأنصـبة **رغم ما فى ذلك من خطورة على المجتمع البشرى إذ هى حالة تسرى فيهـا الأطمـاع، وتمنع من الاستقرار، وهى نشاز وراءه التذمر وهو أكثر الخطايا انتشاراً وابغضها عنـد الله ولكن هناك نوع من الغضب المقدس تجيزه كلمة الله!!**

وقد وجدنا بالملاحظة الدقيقة أن أشر أنواع السرقة قد تجمع فى النطاق الدينى: فهنـا نشاهد الغيرة المرة والتحزب وكل أمر ردىء والرغبة فى تصدر المراكز الأولى واحتقار الآخرين والاستعلاء عليهم وهذا هو عمل إبليس بعينه منذ البدء! الأمر الذى رأينا رد فعله العكسى فى كثيرين من الانطوائيين الهروبيين الذين يتركون أماكنهم للغير بـل يشـجعون الآخرين على سرقة حقوقهم منهم ويقابلون ذلك بالتهاون وعدم الاكتراث... **الأمر الذى قد ينتج عنه التضخم فى سالبى هذه الحقوق وعدم الالتزام واخذهم حجماً غيـر حجمهـم، وعدم الالتزام بمداراتهم الأمر الذى يحفظ لهم قتام الظلام إلى الأبد!**

وهكذا نرى امكانية ترك اماكننا إما بأن نسلب مكان غيرنا أو بترك غيرنا يسلب منا مكاننـــا – وفى هذه المعنى يتحدث الوحى عن اولئك الذين يفترون على ذوى الامجاد لمجرد ثباتهم فى مواقفهم وعدم رغبتهم لا فى التطاول على غيرهم ولا فى التنازل لسواهم على ما حباهم ربهم به واختـــاره لهم ووضعهم فيه فإذا ما حدث لهم ما لا يرغبون فيه فإنه يكفيهم انصاف ربهم لهم!!

عقاب هذه الجريمة:

نعلم من واقع الحال أن كل من يترك مكانه ويتسبب فى خلخلة النظام والترتيب مؤثراً بذلك فى مسار المعركة السارية بين الحق والباطل، فإنه يعرض نفسه للرفض أى إنـــه لا يصلح لملكوت الله بل ولخطر الضياع! وفى الحروب البشرية يعتبر من يتخلى عن موقفه خائناً يستحق عقوبة الاعدام. **فما بالك بمن يظنون إنهم اصحاب حيثيات وإن كـــل همهـــم التخلص من ذوى المكانات ومحاولة هدمهم** – ولكن هذا عمل إجرامى يتولى الله عقابـــه بنفسه بأن يحفظ الذين يقيمهم ويحفظون اماكنهم التى اقامهم الله فيها ويعاقب مـــن يحـــاول زحزحتهم – دون أن ينال فيهم مأربا – بالحسرة والندم والفشل الذى يلاحقهم إلى الأبد!

وذلك لأن مثل هذه المواقف إنما هى فى الحقيقة تعدى على حقـــوق الله نفســـه ورفض اعطائه الوقار والاحترام اللائقين بجلاله، والتحول عنه إلى عبادة المخلـــوق بما فى ذلك من سرقة الاصنام والتباهى بها فى حين ان من أسبغ الله قلوبهم بحبه وقد أصبحوا يلتفون حوله لا اغنية لهم يوجهونها إليه سوى: "**انت مستحق إيها الرب الإله، لأنك خلقت كل الأشياء وهى بإرادتك كائنة وخلقت**" (رؤيا٤: ١١) الأمر الذي علـــى أساسه يصدق القول: "**لأن منه وبه وله كل الأشياء**" (رو١١ : ٣٦).

وفضلاً عن ذلك فإن تصور هؤلاء السراق المخدوعين بأنهم فى العهد الجديد هم تحـــت النعمة الغامرة ولن يمسهم انتقام لعنة أو نقمة مما كان حسب زعمهم يمس شـــعب الله فـــى العهد القديم، حاسبين بذلك وهماً وباطلاً إن طبيعة الله قد تغيرت الأمر المستحيل حدوثه قط! فهذا تقسيم فاشل فان النعمة كانت فى عصر الناموس، كما أن الناموس كـــائن فـــى عهـــد النعمة، **لا يجب أن نخرج عن طاعة وصاياه فنعرض انفسنا للعنة غضبه، وما أشد وأقسى تحذيرات العهد الجديد من هذا القبيل**، حتى إننا نقول ويل لمن يقدم على أى تفسير أو شرح ينجرف فيه عن الحق الكتابى ولو كان صاحب أعلى مقام فى الدنيا، لأن مقامه لن يعفيه من العقاب، فى حين أن الطوبى هى للذين يحفظون وصاياه لكى يكون لهم سلطان على شـــجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة ولا تكون لعنة ما (هناك) فيما بعد (رؤيا٢٢: ٣و١٤) لأن هذه ضمن الأمور الأولى التي تكون قد مضت وقال الجالس على الأرض حينئذ: "ها أنا أصنع كل شيء جديداً" (رؤ٢٢ : ٤و٥).

الفصل السابع عشر

الملكية الخاصة تحت البركة

"وأنا أقول لكم اصنعوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية" (لو١٦: ٩)

"ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شىء مشتركاً" (أع٤: ٣٢)

"وهم سيملكون إلى أبد الآبدين" (رؤ٢٢: ٥)

المالك الوحيد الحقيقى:

لنا هنا وقفة تاريخية تمس قضية من القضايا الهامة جداً وهى "الملكية الخاصة":

ونبدأ هنا بسؤال عنها وهو: ما هى الملكية الخاصة؟ وماذا يعنى كونها تحت البركة؟ وللاجابة عن ذلك نقول: إنه من الواضح بأن الإنسان لا يملك شيئاً ولا نفسه لأنه ليس هو الخالق لها بل خلقه الخالق العظيم صانع الكون بأسره!

والإنسان سواء فى بكور حياته أو عندما يشب ويكبر، وإلى أن يقترب من نهاية حياته فإنه لا يملك شيئاً سواء فى نفسه أو فيما حوله حتى وان كان يتوهم بانه مالك. وذلك لأنه لا يوجد فى الكون سوى مالك واحد حقيقى يملك الدنيا والدين وهو الذى قيل عنه من جهة ذلك "للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها" (مز٢٤: ١)

ومن المعلوم إنه خلق سائر المبدوءات من العدم، كما خلق جسد الإنسان من تـراب هو المادة التالية للعدم وأودع فيه نسمة سرية لا يعرف كنها إلا هو... فجمع فيـه اسـمى الأسرار فى إناء من فخار – وقال بسكال الفيلسوف المسيحى فى وصف حالـه: "عجبـى لأمرك أيها الإنسان، **فأنت عظيم وحقير، جمع الله فيك السمو والضعة، الجلال والهوان،** فأنت مجتمع هذه المتناقضات فى آن واحد! وعن ذلك يقول الكتاب المقـدس: "مـن هـو الإنسان حتى تذكره"، وذلك لأن الإنسان وهو تاج الوجود المنظور **ليس له وجود سابق، ولا قيمة لوجوده الحاضر والمستقبل غامض على ذهنه الطبيعى**... ولكنه لا يبـدأ فـى اكتشاف وجوده إلا فى وجود الله عندما يتحسس باختياره اعمال العناية الإلهيـة الكاملـة معه.. **فهو مدين بالفضل كله لمن أحسن عليه بكل خير ويغـدق عليـه النعمـة علـى التوالي!** فالإنسان منا – كل إنسان – لا يملك شيئاً فإن كل ما أخذه منه وسيأخذه مني لأنه إنما هو من عند ربي الذى يفيض منه الخير أبد الدهر وبدون انقطاع "إذ هو يعطي الجميع بسخاء ولا يعير" (يع ١ : ٥).

إنه هو الذى أشرف على تكويننا فى بطون امهاتنا ورسم لكل منا مداره وخـط سيره **وهو يعتنى بالإنسان ويهتم بـأمره مـن حيـث لا يـدرى لأن لديـه القـدرة والامكانيات التى لا ولن تنتهى!!**

وقد يصيبنا وهم بأن الله فى احتياج إلينا أو عمله على الأقل يحتاج إلينـا **ولكننـا نعلم من كلمة الله والواقع أن الله لن يحتاج إلى أحد.** بل "**إنه هو الذى يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شيء**" (أع١٧: ٢٥). فهو لا يخدم بأيدى الناس **كأنه محتـاج إلـى شيء لأنه لا يفتقر إلى خدمة الإنسان** – كان ولا شيء معه – وبعد أن أوجد الكائنات – نراه كائن على ما هو عليه، **مستغن بذاته عن العالمين** – لا يحتـاج إلـى عبـادة الإنسان وذبائحه وليس كما يفعل الوثنيون من تزيين معابدهم وعمل ولائم لآلهتهم أما الله فهو الغنى المغني **لأنه المالك لجميع الأشياء، بل إن كل شيء فى الوجود يعتمـد عليه!!** فهو صاحب الفضل العميم على جميع مخلوقاته مما يجعلنا نمتلىء بالرضا به وبأعماله قاطبة!!

وفى الوقت الذى فيه يشتد صراع الناس لتأمين مستقبلهم فى هذه الدنيا لأن الموارد التى بها تنضب وتقل، وبعض المؤمنين يقعون فى فخ هذه التجربة واغرائها الشديد متجاهلين غنى الله ومعونته الحاضرة فإن المؤمنين على وجه خاص تحت رعايته – موضوع عنايته كل لحظة – يمنحنا ما يكفينا ويملأ حياتنا سروراً – **ليس فقط إنه لن ينسانا** بل إنه هو الذى يشبع بالخير عمرنا **فيختار لكل منا ما يناسبه من جهة عمره – رزقه – سكنه – صحته – عمله – ظروفه.** ومجموع ما يختاره الله من قبله للإنسان هو الذى يصبح لدى صاحبه "ملكية خاصة"، والرب يريد من كل منا أن يكون شاكراً على ما منحه إياه الله دون أن يتداخل فى أمور غيره!

معنى الملكية الخاصة:

إن امتلاك ما أعده الله لكل منا هو أساس العلاقة الطيبة مع الله بلا أدنى شك، وهو الدافع للرضا بنصيبنا دون مناقشة – وبذلك يكون ما نمتلكه تحت البركة – أى نقبله بسرور ويكون موضوع الشكر والرضا... **هذا تعليم ليس من الخيال بل من واقع الاختيار**... ويقيناً فإن الله يعطينا ما يرانا فى حاجة إليه فعلاً بلا تزايد أو نقصان: إذ ليس عوز لمتقيه لكن بلا داعى للتخمة – **يعطينا قدر احتياجنا** – ولما نقبل أن نأخذ منه ما يصبح فى حوزة ملكيتنا فإن ذلك يدرب نفوسنا على أن تعيش بلا هم... لأن الذى يترك نفسه تماماً ليعيش على حساب الرب فإن ذلك يجعله أسعد إنسان وأما الشح وإنما هو إلى الفقر!!

مثل هذا الإنسان الذى يقر بأن كل ما عنده مما يمتلك هو من الله يشبع قلبه بالرب وليست له مطالب أبداً... بل هو يقوم بدوره بتحويل كل ما لديه للرب – أى أنه يعيد ما أخذه من الرب إليه معتبراً أن ما عنده أمانة اخذها من مالك الجميع ويليق به أن يردها إليه أى **يضعها تحت تصرف الرب باعتباره المالك الحقيقى الوحيد وبذلك أى بهذا التحويل لمجد الله يصبح هذا التكريس المبارك تاج الملكية الخاصة،** الأمر الذى أوصل الكثيرين إلى تقديم نسبة كبيرة من أموالهم دون الاكتفاء بالعشر

المعتاد، جاعلين شعاراً لهم هذه الكلمات: "**ليس كم من مالى أعطى للرب، بل كم من مال الرب يأتمننى عليه**" لأن بركة الرب تغنى وتعطيك كفايتك واكثر حتى تتفرغ من اهتمامات الزمان وتَثبت نظراتك فى الأبدية... ومعنى ذلك أنك بعد أن صرت مالكاً تتحول إلى وكيل وتبتدىء تتصرف فى حدود وكالتك أى بأذن من صاحب المال! وهذا يجعل ما تمتلكه (إذ هو يتكرس للرب) ليس شيئاً عادياً بل مقدساً – تمتنع عن التصرف فيه حسب هواك وبغير ضوابط أو بحالة من الامتناع والتحكم، وإنما تمارس التصرف فيه باعتباره أمانة معطاة لك من الله وسيحاسبك عليها فى النهاية!!

الشركة المسيحية والمكافئة الأبدية:

بدأت الكنيسة باشتراكية غير مقلدة ليس لها مثيل فى العالم إلى اليوم. ليس فقط بإنه بسببها لم يكن أحد محتاجاً بل لم يكن أحد يقول أن شيئاً من امواله له إذ كان عندهم كل شىء مشتركاً (أع٤: ٣٢) هنا ظهر الحب والكرم والتعاطف المسيحى الذى تعيش المسيحية فى آثاره حتى الآن **إذ لم يكن هناك ادعاء نفعى ذاتى بالملكية الخاصة بل تخلى المسيحيون عن ممتلكاتهم ورفضوا التمسك بها واحضروا اثمانها عند اقدام الرسل لكى يوزع على كل واحد كما يكون احتياجه** (أع٣٥) هذه هى نعمة التوزيع وبركته التى جعلت فى الملكية الخاصة مكاناً للاحساس بالاحتياجات التى لدى الآخرين وزيادة العطاء لا يفائها. **كان ذلك ولا يزال من انبل مبادىء المسيحية دليل حب مشارك بالحق والعمل!**

وكان السيد المسيح قد أوصى من قبل بذلك بقوله: "وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية" (لو١٦: ٩) – **والمنافسة هنا خطيرة بين ابناء هذا الدهر وابناء النور، فإنه بالنسبة لكليهما نجد ان الحاضر هو الفرصة الوحيدة القابلة للاستغلال، وبالنسبة لنا، فان الوكالة تقترب من النهاية ويجب أن نعد أنفسنا للمستقبل الأبدى: والرب ينبر هنا على الأمانة فى الاستخدام** – وهى دليل التكريس – حتى فى مال الظلم الذى يمثل المال الدنيوى إذ ان فى استعماله ظلم، وفى

توزيعه أيضاً وهو مال الغير لأنه لن يبقى فى يد أحد، وهو مهما كثر قليل، لكن الأمانة فى استخدامه هو وسيلة أخذ ما هو لنا من مال الحق الذى يأتمنا السيد (عليه)، أى مجموع المواهب والعطايا الروحية الدائمة! والتى تستحق أن نجتهد من جهتها وفقا لأمره: "جدوا للمواهب الروحية"!!

هذه "الملكية الروحية" وهى اسمى بما لا يقاس من "الملكية المادية" تجعل الرب يكتب اسمه على جبهتك (لاعلان ملكيته عليك) وذلك لتأكيد قبول تكريسك وتقديس الرب لك، وإذ تعلن بذلك أنك عبده بعد أن وضع ختم الملكية على جبهتك، فانه سيجعلك ملكاً من ملوك الأبدية. عندما يصبح عبيده – الذين اكرموه بالتكريس الكلى – ملوك!! وهذه نتيجة التسليم الكلى للرب مما يتمم فى اصحابه الوعد: "وهم سيملكون إلى أبد الآبدين" (رؤ٢٢: ٥).

ومن هنا يعتبر وجود المؤمنين في هذا العالم التجربة الكبرى فإن في ذلك امتحانهم الذي يجب أن ينجحوا فيه حتى لا يسقطوا أمام أي صعاب تقابلهم في الطريق من أي جهة أياً كانت.. ومن أسف أن كثيرين قد فشلوا بسقوطهم في هذا الامتحان فما أكثر ما نجد كلمة الله مرفوضة والروح القدس مطفئاً ويقاوم. وربوبية المسيح كرأس الكنيسة غير معترف بها عملياً.. فماذا يتبقى إذاً بعد سوى الإدعاءات الفارغة!!

***

الفصل الثامن عشر

لعنة الاختلاس والتملك الخاص

"أيسلب الإنسان الله. فأنكم سلبتمونى... فى العشور والتقدمة. قد لعنتم لعناً واياى انتم سالبون..." (ملاخى٣: ٨و٩)

"ورجل اسمه حنانيا وامرأته سفيرة باع ملكا. واختلس من الثمن وامرأته لها خبر ذلك وأتى بجزء ووضعه عند أرجل الرسل" (أع٥: ١و٢)

"واما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً واغلق أحشاؤه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه" (ايو٣: ١٧)

تحديد معنى الاختلاس:

الاختلاس هو كسر التعهدات فى سبيل التحايل للاحتياط للموقف، وما اكثر الذين يتعهدون وقت الازمات وعندما تاخذهم الغيرة فى مسايرة غيرهم. وهذا كله يختلف عن الشخص المطوب فى تقربه لله: "لأنه يحلف للضرر ولا يغير" – **وأصل هذه الخطية محبة المال وهو الذى يقود إلى الطمع وينتهى إلى التحايل بالكذب!**

هذا ما فعله حنانيا وسفيرة عندما باعا ملكا لهما واتيا بالثمن بعد ان قاما باختلاس جزء منه وادعيا بانهما أحضرا الثمن كله وكان هذا كذباً على الروح القدس!!

وهنا نقف أمام اشعة الفحص لنقف على حقيقة هذه الخطية **ونحن نجد انه كمبدأ عام بالنسبة للجميع ان الله هو المالك الوحيد اردنا أو لم نرد وان ذلك بحالة محققة وليس مجرد نظرية، وانه ليس معه مالك آخر!**

ولما كان الله هو المالك الحقيقى كان من المفروض ان التسليم بحقوقه التمليكية تسليم لا يناقش: **على ان الانسان وقد سقط اختلف حاله تماما، لأنه أحس باستقلاله عن الله، وهذا هو جوهر الخطية ترك الله جانبا** (وهذا ما فعله ابليس من قبل) على أنه امر خطير بالنسبة للانسان **لأنه أوجد فيه فجوة فارغة لكون الله كان يملأه قبلاً**، وإذ احس بهذا الفراغ ابتدأ يملأها بالاشياء التى أخذها من الله، محاولاً احلالها مكان الله – **هذا هو مبدأ الاختلاس محاولة ملء فراغ القلب بأي شيء آخر بعد التحول عن الله.**

ولكن حتى العبادة والغيرة والاجتهاد وسائر مثل هذه الأمور لا يمكن أن نضعها مكان الله، لانها لن تملأ الفراغ، **لكون الله خلق الإنسان لنفسه وتوقيعه فى داخله ظاهر فى كونه لن يشبع إلا به شخصياً...** ولذلك فقد وصف الإنسان بانه "كائن إلهى"، من هذا الوجه وذلك لا يعنى إنه إله بل إنه منتسب لله – واستحق ان يوصف "بإنسان الله" وهذه ليست لفظة عابرة بل عبارة تحقيقية – ويظن البعض ان الملكية الإلهية لا تتم إلا على من كان متخلفاً وأبله ولكن الواقع بانها لا ترتبط بأى حالة يكون عليها الإنسان الذى ينجذب تلقائياً إلى هذا التملك الإلهى بعيداً عن اشراف العقل!!

ومن المعلوم فى ضوء ذلك أنه من المستحيل على أى نفس ان تمتلىء بغير الله لأنه ليس من يملأ فراغ القلب سواه!!

وهنا يجب أن يسمو سلوك المؤمنين حتى لا يسلكوا حسب البشر ونظام هذا الدهر، بل يكون سلوكهم حسب المسيح أى أنهم يتجردون من جميع الأشياء ويتخلون عنها، فالمؤمن الحقيقى لا تستطيع الدنيا كلها أن تغره ولا أن تجد ثغرة فى قلبه تنفذ منها لأن الرب قد سبق وتملك الآنية، وضع يده عليها وملأها فلم تعد تقبل أى ملء آخر!!

ومن المعلوم ان الامتلاء بالله هو أمجد انواع الامتلاء ولن يوجد له بديل على الاطلاق: ومن ثم فان كل من يجادل أن يأخذ الاشياء التى أوجدها الله ليملأ بها قلبه فانه فى حكم المختلس... أنه يشاء سبحانه أن ننصرف عن كل ما عداه حتى الاشياء الشرعية، **فلا يكون هناك تعلق بشىء ما غير الرب وحده!**

ومن ثم يجدر بى ان أجعل كيانى لا مستودع رغبات بل عرش للاله المبارك المالك الحقيقى الوحيد!!

اقوال الانبياء فى هذه الجريمة:

وما دمنا فى هذا الصدد والتاريخ يعيد نفسه، مما يجعلنا نتطرق إلى تطبيق حالات الاختلاس واقوال الانبياء عنها:

ونحن نجد عقب السقوط مباشرة كيف أحست أمنا حواء بالفراغ وارادت ان تملأه فدعت ابنها البكر "قايين" وهى كلمة من "الاقتناء" اى التملك وظنت أنها وجدت من يملأ فراغ قلبها، **لكنها سرعان ما دعت اسم ابنها الثانى "هابيل" ومعناه "بخار" لأن انتظاراتها فى الأول قد خابت** – وقد قام "قايين" بعد قتل أخيه "هابيل" ببناء مدينة على اسم ابنه "حنوك" وكانت هى النواة بمدينة "بابل" فيما بعد! فعل ذلك بعد أن حلت عليه اللعنة من الأرض. ويشترك اشعياء وارمياء وحبقوق على وجه خاص فى الحديث بشدة وعنف عن هذه الجريمة:

فيقول اشعياء: "ويل لك ايها المخرب وانت لم تُخرب وايها الناهب ولم ينهبوك. حين تنتهى من التخريب تخرب وحين تفرغ من النهب ينهبونك" (٣٣: ١).

ويقول ارميا: "ويل لمن يبنى بيته بغير عدل وعلاليه بغير حق الذى يستخدم صاحبه مجاناً ولا يعطيه اجرته" (٢٢: ١٣)

ويقرر حبقوق مؤكداً نفس الحقيقة بقوله: "ويل للمكثر ما ليس له. إلى متى؟... لانك سلبت أمماً كثيرة فبقية الشعوب كلها تسلبك... ويل للمكسب بيته كسباً شريراً.." (حبق٢: ٦و٩و١٠).

ولذلك يبين العهد الجديد بأن القديسين يفضلون أن يُسلَبوا من أن يَسلَبوا، ان يكونوا مظلومين من أن يتحولوا إلى ظالمين – لأن العقاب قادم على كل ظالم وسالب، ولا بد أن تدور عليه الدائرة. فانت ايها المظلوم يا من أخذت حقوقك وابتلعها ظالمك، **انتظر الهك لأنه إله عادل يحب الحق – سلّم القضية بين يديه، هو يرد المسلوب وينصفك** – "لأنه لم تر عين إلهاً مثله يفعل هكذا" "طوبى لجميع منتظريه" لقد أعلمنا أن الجزاء سيكون من نفس العمل ولا بد لمرتكبى الأثم ان ينالوا جزاء ضلالهم المحق!!

لعنة التملك الخاص:

ورد بكلمة الله النص: **أوصى الاغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع وان يصنعوا صلاحاً... ويكونوا اسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع مدخرين لانفسهم اساساً حسناً للمستقبل لكى يمسكوا بالحياة الأبدية"** (١تى٦: ١٧-١٩)

وهذا يبين ان المال ليس شراً فى حد ذاته إذا استخدم لمجد الله ومشروعاته، لأنه بمثل ذلك يضع من يفعلونه اساساً حسناً لكى يمسكوا بالحياة الأبدية، لأنها الابقى والاضمن وهذا هو الطريق إليها! وهو الذى يحرر من "لعنة التملك الخاص"!

ونعلم من اقوال ارميا كيف انه يصف "محصل الغنى بغير وجه حق بانه سيموت فى نصف ايامه ويتركه"، ثروته تتبدد وسيحاسب عليها لان الله هو الذى اعطاها له – فالذين يهتمون بعمل الله ويشاركون فيه بسخاء يعدهم الله بأنه سيملأ – كما وعد كنيسة فيلبى – كل احتياجهم حسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع!

وهذا يجعل عيون الإيمان مرموقة إلى فوق ناظرة إلى الموارد العليا دون حاجة لأن يضع المؤمن قلبه على الغنى – فى حد ذاته – لأنه يصنع لنفسه اجنحة ويطير... فلا يستحق منا السعى إليه!!

وتظهر من رواية عخان القديمة كيف اشتهى الرداء الشنعارى (البابلى) ولسان الذهب وأخذ من الحرام (أى المُحَرم أخذه) أى ما استحسن أخذه من الغنيمة وطمره دون ان يراه أو يدرى به أحد، لكنه كان السبب فى نكسة شعبه إلى ان تم كشفه واستجوابه واستحضاره هو وكل ما له وتم رَجمه مع جميع ما له فى وادى عخور **لأنه كان سبب الهزيمة والعار:** ويتكلم النبى هوشع بأن الله "سيعطى شعبه وادى عخور هذا باباً للرجاء"!!

وقد رأينا فيما بعد كيف خالف **شاول الملك** وصيته في تحريم عماليق وكل ما له، ولكنه لما رفض أن يطيع أمر الرب فى ذلك وسار وراء الاستحسان المخالف لذلك الأمر، فإن المُلك قد زال عنه ورفضه الرب – وهذه كلها وراء لعنة التملك الخاص!!

***

الفصل التاسع عشر

حفظ التملك الخاص من اللعنة

"ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة بل اذكر الرب إلهك إنه هو الذى يعطيك قوة لاصطناع الثروة."
(تث٨: ١٧و١٨)

"إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً. لأن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون"
(٢تس٣: ١٠و١١)

التملك دون الامتلاك:

ماذا بعد أن سلطنا الاضواء على جريمة السرقة الجامعة لكل الخطايا، ووقفنا على ما تضمنه من اختلاس الأموال والأوقات، والأعراض والنظرات!؟ لقد استخرجنا من وراء ذلك ضرورة الالتزام بواجب الأمانة فى كل تصرف، وهذا أمر مهم للغاية، وهو يقتضى منا أن ندرك بأن **الملكية الخاصة هى "تملك دون امتلاك" أى أن امتلاكنا لها إنما هو عن طريق الوكالة فقط لأنها ملك للرب..!!**

وواضح أنه فى هذا الأمر يكمن سر الحياة وينحل لغزها، فمن جانب الله نجد أنه هو الذى يعطى القدرة لاصطناع الثروة، فهو الذى سبق فقرر ما سيعطيه لهذا أو لذاك: **وهذا يمنع لعنة "الاعتداد" التى تصيب التملك الخاص، كما ينفى "الفضولية" التى يتحدث عنها الكتاب منذ أبد بعيد وهى أن يتناول الإنسان خبز الكسل ويعيش على حساب غيره** – كالنبات الذى يمتص من

الجذور غذاء نبات آخر ليعيش على حسابه... وفى كلتا الحالتين "الاعتداد" و "الفضولية" يتدرب قلب صاحبيهما على "الطمع"، فلا يكون له "شبع" أو "اكتفاء"، فى حين أن الذين ينجون من اللعنة الملحقة بهما يعترفون بأن مكونات حياتهم من مقررات وانصبه إنما هو من فضل "الإله العظيم" مصدر العطاء والمنح، **وهو الذى رسم الدهور كلها ورتب الاجيال بكل ما فيها من اختيارات وتوزيعات بربنا يسوع المسيح، فهو المخطط لهذه كلها، ونلك ليس عند ظهوره فى الزمان بل وهو فى "رحم الفجر" أى بطن الأزل، له الطل أى الندى المتدفق بالحيوية والفيض أي أن النصيب والقرعة في يده وكذلك الحظ!!**

هذا هو مصدر العطاء لكل شيء حتى بالنسبة لمن يجهلون أو يتجاهلون بإنهم يعيشون على حسابه وينكرون فضله. ويعلن الكتاب المقدس بأن: "السعى ليس للخفيف ولا الحرب للأقوياء"، وإن لله حكمه فى كل الأمور لا تدريها العقول مما يستوجب عدم السخط من نصيبنا وانصراف الرغبة فى تغييره: **فليكن الرب وحده صاحب القرار ولنتركه يختار لنا نصيبنا بما يحسن فى عينيه وإنما يكون لدينا حكمة في قبول النصيب المقدر لكل منا** مع الحفاظ عليه لكونه في الحقيقة ملك الرب!!

شروط التملك الخاص:

نرى فى خروج ١٦ كيفية التعامل مع الله وشروط ذلك، فهو يقدم لنا صورة عجيبة من هذا القبيل... وفى إرساله المن من السماء، صفح عن تذمرهم إذ كان يرتبط بسد حاجة الإنسان إذ كان يرسل المن يومياً حتى يدرب شعبه على عدم الاهتمام بالغد، بل إنه فى يوم السبت (الراحة) يرسل لهم ضعفين منه. مبيناً إنه يهتم بما نحتاجه حتى فى أوقات راحتنا، ويضاف إلى ذلك أن المن لم يكن ينزل فى المحلة بل حواليها، لأنه وإن كان الله هو الذى يرسله، ولكنه لم ير أن يجعله فى متناول اليد وسهلاً **بل ارسله هكذا لكى يتحرك شعبه للخروج حوالى المحلة لالتقاطه يوماً بعد الآخر وذلك لكى يحميهم من التراخي الذي يجعله خبز الكسل! لكى لا تكون هناك فضولية** (أى تواكل ما) **لأن الله لن يباركها!** وقد تضمنت التعليمات أيضاً الخروج المبكر (فى الفجر) قبل أن تحمى الشمس، حتى يخرج الشعب مبكرين من أول النهار. وهذه هى المبادرة المطلوبة منهم – لأن المن يأتى مع ندى الصباح وهو "الطل" "أى الندى" الذى رأيناه يرتبط برحم الفجر (مز ١١٠)

هذا الطل هو "الكرم الإلهى" الذى سيهبط لك من الأزلية، لكن يجب أن تسعى إليه وتبادر لأخذه لئلا يفوتك...! فإذا لم تذهب مبكراً لن تجد ما اعده لك الله، فإذا خرج عليك النهار بشمسه دون أن تذهب مبكراً لالتقاط نصيبك فإنك لن تجده، **فاحذر البطء والتوانى!! كذلك احذر التوقف والتحفظ** إذ كان بعضهم"قد ابقى منه إلى الصباح فتولد فيه دود وانتن" (ع٢٠) وذلك لأن الله صاحب عناية متجددة ولذلك فقد أمرهم بالتقاط المن "صباحاً فصباحاً" – عدم الإيمان يحجز ويهتم بالغد، **أما الإيمان فيرى رعاية إلهية جديدة فى كل يوم، وهو بذلك يعلمك أن تضع إيمانك فيه دائماً ويكون تطبيقك لهذه القاعدة حالة استمرارية أن الرب يهتم بى** ولذلك يتم معى أن "كل ما تطلبونه بالإيمان تنالونه إذا آمنتم" – هنا تعرف النفس كيف تتقبل كل ما يأتيها باعتباره من يد الرب وقد جاء عن ذلك النص بأنه "**لا يقدر إنسان منا أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطى من السماء**" (يوحنا ٣: ٢٧)!

وقد وضع الله علاقة الإقرار بفضله فيما يعطى باعطائه العشر وذلك لامتحان قلوب الذين يتعاملون معه وكدليل على الاعتراف بجميلة. وهذا امتحان مبدأى ولكن بحسب نور العهد القديم نفسه لدى الذين قاموا بعمل حساب دقيق له بجمعهم إلى العشور النذور والبكور ووجدوها معاً ثلث الدخل الأمر الذى يُخجل المسيحى الآن الذى قد يستصعب عليه البدء بالعشور. والله يتحاجج مع شعبه كما فعل قديماً **ويعلنهم بأن بعدم ايفائهم حقه هذا فى العشور والتقدمة فأنهم سالبون اياه...** وقد انذرهم بالاكثر بان كيسهم يصبح منقوباً إذ هم يسرعون لبناء بيوتهم وتغشيتها دون بيت الله فيعاقبهم أهو الوقت لبناء بيوتكم دون بيتى... ابنوا البيت فارضى عليه واتمجد (حجي ١ : ٤و٨).

ولكن العهد الجديد لا يقف عند الحد الذى ذكرناه بل يتقدم ليعلن بأن كل ما نمتلك يجب أن يكون لله – لأننا لسنا شركاء مع الله ليتصرف كل منا فى هذا الشأن لأنه هو المالك وأما نحن فإننا مجرد وكلاء – فإذا خرجت عن حدود الوكالة وتصرفت على هوى اختيارى فإن ذلك يجلب اللعنة على "التملك الخاص" بها، ولا أحد يستطيع دفعها عنه إلا بمثل هذا التكريس الكامل الشامل: **هذا هو التكريس النموذجى الذى فى ضوئه تأخذ النفس الامينة الكل من الله، كما أنها تعطيه الكل، تطلب منه كل شيء وتكرسه له** ليكون هو الكل فى الكل!!

الفصل العشرون

موقفنا تجاه اسم الرب

"هذه هى اللعنة... كل حالف يباد من هناك بحسبها. اخرجها فتدخل بيت الحالف باسمى زوراً" (زك٥: ٣و٤)

"قالوا اخوتكم الذين ابغضوكم وطردوكم من اجل اسمى ليتمجد الرب. فيظهر لفرحكم واما هم فيحزنزن" (١اش٦٦: ٥)

"لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأنٍ الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا" (خر٢٠: ٧)

"لئلا اتخذ اسم إلهى باطلاً" (أم٣٠: ٧)

الاسم المهوب:

نعتبر رسالة هذا المساء خاتمة لا يمكن أن تُنسى أو يمحيها الزمن لانها تحدد موقفنا تجاه "اسم الرب":

والاسم دائماً يدل على الشخصية وهذه تدل على موجود حقيقى - واسم الرب الخاص هو "يهوه" ويعنى "الواجب الوجود" كان اليهود يكتبونه بريشة جديدة يستعملونها فى كتابته مرة واحدة وينتهى امرها، كما كانوا يتحاشون النطق به خشية

ان لا يحسنوا ذلك على الوجه الصحيح واستبدلوها باسم "ادونـاى" أى "سـيدى". يقصدون بذلك ان يحيطوا هذا الاسم بهالات من التكريم والتعظيم مؤكدين بان لصاحبه وجود حقيقى واجب وليس كوجود الكائنات الذى هو وجود صورى ممكن – وذلك لان الوجود الحقيقى هو للرب وحده حتى ان الناس فى كل مكان عند مواجهـة الازمـات يبادرون إلى القول "ربنا موجود" وهذا نطق إيجابى تحقيقى وليس هو لمجرد مواجهة الظلم، ولو ان مثل هذه المواجهة لن تتم بغير الاقرار بوجود الله – **وهـذا مـا فعلـه زكريا ابن برخيا وقت أن قاموا برجمه فقال وهو يستشهد تحت الاحجار: "الرب ينظر ويطالب"!**

هنا عزاء كل مظلوم: أن الرب ناظر إلى مشكلته ومتبنى قضـيته حتـى إن الـذين يظلمونه لن يفلتوا من العقاب...

لكن من وجه أصلى نجد أن الله قد سمح لشعبه القديم فى أن يحلفـوا باسـمه فـى العهـود والمواثيق والنذور، وكان القصد من ذلك ليس ابعادهم عن اسماء الآلهة الكاذبة فقط، بل اضـفاء الشرعية والهيبة على ما قبلوهُ على أنفسهم مما يلزمهم بأن يتمموا ما كانوا ينطقون به...

وكان ضمن الوصايا العشر هذه الوصية "أن لا ينطقوا باسم "الرب بـاطلاً"، ولكننـا نجد هنا فى نبوة زكريا جمع بين السارق والحالف باسم الرب بالزور، وواضح أن هنـاك ارتباط بين هذين الشرين **إذ ليست هناك ضرورة لاستخدام اسم الرب باطلاً أى بالكذب إلا لستر الجرائم المرتكبة وتغطيتها باسم الله**، ولذلك فقد اعتبر الله النطق باسمه باطلاً مـن اشر انواع الخطايا التى تحمل اللعنة على صاحبها أبدياً، ونعلم أن القانون الوضعى تضمن فى مواده "اليمين الحاسمة" وهى الحلف باسم الله العظيم فى كل انكار وجحد ممـا يـدور حول الحقوق المتنازع عليها، **ولو أن البعض يقسم دون أى اعتبار لهول النطـق بهـذا الاسم المهوب** إلا أن اللعنة لا بد أن تستقر على الحالف باسم الرب زوراً وسوف تبتليـه بما لا يمكن تصوره إلى أن تستأصله وتفنيه!!

ربط التقوى بالقناعة:

هذه الحكمة التى مررنا بها إنما هى لتبصيرنا بقيمة اسم الله فى حياتنا الامر الذى على اساسه يتقدم بنا الاعلان لربط التقوى والقناعة معاً، والتقوى فى الواقع ليست سوى "مخافة اسم الرب" وهى التى تملأ صاحبها برهبة حضوره وحلوله وتدفعه بذلك إلى القناعة التى هى والتقوى تجارة عظيمة رابحة **لأن لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة** – من هذا المنطلق طلب سليمان من الله أن يعطيه "**حياة التوازن**" – **خبز فريضته** لئلا إذا شبع يكفر باسم الله وينساه وإذا جاع يسرق ويتخذ اسم الله باطلاً – هذه رسالة لا زالت تقدم نفسها لمؤمنى هذا الجيل حتى يحصلوا على هذا النوع من حياة الاكتفاء، ويكون اسم الرب غناهم وشبعهم الدائم:

"كفايتى فى من فدى نفسى من الهلاك...

انت سلامى عزاءى ربى لا سواك".

لقد كانت سميرنا غنية بالرب فى فقرها، كما كانت لادوكية فقيرة بدون الرب رغم غناها – وهكذا عاش ابطال التاريخ المقدس معوزين مكروبين مذلين تائهين، ولكن من أهم ما يصفهم به الوحى المقدس: "**أن العالم لم يكن مستحقاً لهم**"!!

حالتان متناقضتان:

ولتحديد الموقف هنا نذكر كيف يتحدث الوحى عن حالتين متناقضتين احداهما تصف "أدعياء الدين" ممن يعتبرون انفسهم خداماً وقادة ولكنهم يتخذون من "اسم الرب" موقفاً غريباً بتصورهم أن هذا الاسم الذى يستخدمونه فى التنبوء واخراج الشياطين وصنع القوات لا بد أن يحميهم فى ذلك اليوم (متى ٧ : ٢١ و ٢٢)... ولم يكن جريمتهم فى الاعتراف باسم الرب – فى حد ذاته – لأن هذا أمر جميل ومقبول، كما أن جرمهم لم يكن فى هذه الاستخدامات العظيمة الرائعة بهذا الاسم، **وإنما كانت مشكلتهم الجادة هى عدم الالتزام بتنفيذ إرادة الآب السماوى... وذلك باتباع مشورته الصالحة وتطبيق الحق فى كل الامور مهما كان الأمر مكلفاً**... فان مواهبهم هنا لن تنفعهم بشىء مع إنها من النوع الفائق وتتم باسم المسيح، وهو نفسه قد استجاب لهم فى اجرائها ولكنهم سيدهشون لموقفه منهم وهم يرددون: ألیس باسمك

يارب فعلنا هذا كله؟ **وهو لا ينكر عليهم ذلك وإنما يبين لهم أن استنادهم على هذه الاظهارات إنما هو بغير أساس ثابت لأن الله يطلب فينا الطاعة لارادته قبل التقدم لهذه الاستخدامات. ولا شك أن إرادة الله تتم بالقداسة لا بالمعجزة "السالك طريقاً كاملاً هو يخدمنى** (مز ١٠١: ٦) – لقد عمل هؤلاء كل شى إلا إرادة الآب، ولقد ترجوا أن يعوضوا عن عصيانهم لها بما فعلوه ولكن نشاطهم هذا يعتبره الملك السماوى "فعل إثم" – **مما نتبين منه أن كل خدمة أن لم تكن مصحوبة بالطاعة ومقدمة فى دائرة المشيئة فهى مرفوضة** – يجب تقديس إرادة الآب فى كل تفاصيل الحياة.. **أما قوله "لم أعرفكم قط" رغم ما تميزوا به فسببه أن العصيان أسقط أيام الانتذار الأولي ولذلك قدم الرسول يوحنا هذا التحذير للمؤمنين: "انظروا إلى انفسكم لئلا نضيع ما عملناه بل ننال أجراً تاماً (٢يو٨).**

* * *

أما الحالة الأخرى التى تعاكس تلك التى مررنا بها فهى التى يتحدث عنها إشعياء فى ١ص٦٦: ٥ وفى هذا النص لنا رسالة خاصة مشجعة فى تأملات ختام هذا المؤتمر وهى: **"إن الذين يسمعون كلام الرب ويرتعدون منه (بقصد العزم على تنفيذه) يواجهون بمن يقال إنهم اخوة لهم بموقف غريب منهم تجاههم يسجله الوحي بالقول: "قال اخوتكم الذين ابغضوكم وطردوكم من أجل اسمى ليتمجد الرب"** – والبغضة والطرد هنا إنما هما من أجل اسم الرب الامر الذى يجعل عار الطرد فخار وهو حقاً اكليل غار، إذ ليس بعد اسم الرب شىء عزيز بل التمسك به هو جوهر الوجود والحياة لمن يقبلون ذلك!!

ولا شك أن عملية البغضة والطرد شهادة كافية على عدم إيمان من يظنون انفسهم "أخوة" لمن يبغضونهم ويطردونهم، وهم يحاولون تبرير عملهم هذا بالادعاء بأنهم إنما يفعلونه لمجد الرب أى عن غيرة مقدسة، مع انه منتهى التحدى الاستهزائى بالامناء المضطهدين، **وقد حدث هذا الامر فى كل العصور ولا يزال يحدث،** ولكن الوعد يدعم هؤلاء الابرياء المباركين فى القول: **"فيظهر لفرحكم وأما هم فيخزون"** – وليس القصد من ذلك أن يجد امثال هؤلاء المطرودين فرحاً فى طردهم مع أن هذا حق وجزائهم عنه عظيم، **لكن المعنى الحقيقى هو: "أن الرب يظهر لفرحهم" ولخزى مقاوميهم – فاسم الرب يحكم بين الفئتين** – ولا شك بأن الرب على موعد باستمرار مع الذين يطردون من أجل اسمه ويدفع بهم الادعياء إلى خارج المحلة، هناك يجدون ربهم فى انتظارهم وهذا يكفيهم لأن فيه فرحهم في مأساة بغضتهم وطردهم..!!

الباب الثالث

تاريخ بابل النبوي
إلى النهاية

محتويات المؤتمر الثالث - سبتمبر ١٩٨٤

٢١- عبودية مصر وسبي بابل.

٢٢- المدلول الروحي لسبي بابل.

٢٣- تسكين روح الله باقتحام بابل.

٢٤- تجميع الشر ونهايته في بابل.

٢٥- الرجوع القديم من سبي بابل.

٢٦- خفايا بابل الرمزية والسرية.

٢٧- بابل الدينية والتجارية.

٢٨- النداء الأخير للخروج من بابل.

٢٩- مراحل الخروج من بابل.

٣٠- الابتهاج الأبدي بسقوط بابل.

الفصل الحادي والعشرون

عبودية مصر وسبي بابل

"اذكر رهب وبابل عارفتي. هوذا فلسطين وصور مع كورش" (مز٨٧ : ٤).

مقابلة محزنة أليمة:

يبدأ تاريخ شعب الله بخروجهم من مصر لأنهم قبل ذلك لم يكونوا شعباً بل مجرد أُسر وقبائل – وأياً كان فرعون التسخير والاستعباد فإن المعنى الرمزي لعبودية مصر هو حالة السقوط التي وجدنا أنفسنا فيها بالولادة الطبيعية، **لأن مصر** كناية عن حالة الطبيعة (الساقطة) التي يخرج منها شعب الله..!!

وأما بابل فهي الارتداد الديني الذي يقع فيه شعب الله فيما بعد والذي يتمثل في ذهاب ذلك الشعب إلى السبي!!

العبودية الأولى تتمثل في استعباد العالم المادي لشعب الله وأما الثانية فتُمثل الارتداد في العالم الروحي!!

وكم هو محزن هذا الجزء من التاريخ الذي يدور حول عما إذا كانت مصر أو بابل هي التي ستمتلك أرض شعب الله – أرض الموعد!! لأن اسرائيل صار غنيمة لأحدى هاتين القوتين، فما أن نجا من سلطة الأولى منهما (مصر) إلا ووجد نفسه بعدئذ في حوزة السلطة الثانية (بابل)!!

على أن معنى "**مصر**" وهي المنسوبة إلى "مصرايم" بصيغة الجمع فهو "**ضيقات**" وأما معنى "**بابل**" فهو "**شوشرات**" على أن الله أعطى مصر المكانة الأولى هنا بحسب الترتيب القائم المشار إليه وقد جاء اسمها تحت اسم مدلولها "رهب" (في مزمور ٨٧)!!

وقد شهد علم الآثار مؤخراً لما ورد في الكتاب المقدس عن الامبراطوريات القديمة وقد ثبت من شهادته أن أقدم الحضارات نشأت في "بابل" ويتبين من الاصحاح العاشر عدد ٦ سبب التشابه بين حضارتي بابل ومصر فقد وجد أسمي "كوش" و "مصرايم" متجاوران في العدد المشار إليه أولهما يشير إلى بابل والثاني تنسب إليه مصر كما سبق التنويه!!

ولقد أراد الله بكتابة ميلاد الشعوب منذ البداية في كتابه المقدس أن يظهر اهتمامه بها ويقودها لمعرفته إذ هو سبحانه الذي قسم لكل شعب منها نصيبه بحسب القصد الذي أراده والذي به تشعبت الأرض. وقد ورد عن ذلك في سفر التثنية ٣٢ : ٨ النص الذي يقول: "**حين قسم العلي للأمم حين فرَّق بني أدم نَصَب تخوماً لشعوب حسب عدد بني اسرائيل**".

ولما غرق العالم في الوثنية في ذلك الوقت المبكر كانت بابل على وجه خاص هي المركز الأول الذي انتشرت منه!!

وكانت بذلك نقطة بداية الالحاد رسمياً حيث ترسخت الديانة الوثنية وهي التي مهدت السبيل لكفر البشر فيما بعد وهو الذي سينتهي بأكبر كارثة عرفها تاريخ العالم حتى الآن في معركة هرمجدون!!

وحينئذ يوضع الصولجان في يد فادي الأنام ويكون الرب وحده ملكاً على كل الأرض (زكريا ١٤ : ٩)!!

***

ابراز شعب رهب (مصر) وبابل:

الحديث هنا يدور حول خمسة شعوب معينة بينها وبين شعب الله تعارف الثلاثة الأخيرة منها تمثل: "الشتات والتعاظم والسواد" في فلسطين وصور وكوش، وأما من جهة الشعبين اللذين في الصدارة وهما "رهب وبابل" فإنهما يمثلان "الرعب والفوضى" وهما

بالذات – على وجه الخصوص – عارفتي شعب الله **لأنهما الأمتان المجاورتان لإسرائيل من الجنوب ومن الشمال ولقد كان لكلتاهما موقف مضاد لشعب الله...**

ولعله من المناسب ذكر اسم "رهب" كناية عن "مصر" أولاً لأنها تأخذ **الدور الأول** على مسرح التاريخ بالنسبة لشعب الله وأما **الدور الثاني** فقد أخذته "بابل" ولذلك فإنه يعيننا هنا أن نرجع إلى فجر التاريخ فنجد مصر وبابل معاً هما منشأ الحضارة منذ سبعة آلاف سنة!! ونظراً لابتعاد حضارتهما عن الله وبدلاً من معرفته نشرتا عبادة الأوثان بين كافة الشعوب.. **وهكذا استحقت مصر وبابل أن تكونا عنواناً "للرعب والفوضى" منذ أقدم العصور!!**

والدرس الذي نتعمله من ذلك هو: "إن البشرية بدون الله مهما تحضرت وارتقت **نجدها حتى بحضارتها الحديثة لا زالت تفكر تفكيراً منحطاً وتمارس كل أنواع الخطية – أي الشر بأشكاله المتنوعة!!**

ونقطة البداية بالنسبة لمصر نجدها في يوم فاصل حاسم جاء لشعب الله اسمه **يوم الخروج** فيه تداخل الله وفتح الطريق وحررهم من مصر ومن فرعون – وهكذا وجدوا أن القوة التي كانت تستعبدهم قد انتهت إلى الأبد، ومن هنا ظهرت ترنيمة موسى عبد الله!!

كان خروجهم هذا دعوة تحرير لهم ورسالة انقاذ لكي يتميزوا كشعب الله فعلاً – ومن ثم فإن هذه الدعوة للتحرير إنما هي لشعبه القديم كما وردت في سفر الخروج وقد دعوا بذلك شعب الله – **وهو لا يزال يفعل ذلك في وقت النهاية الذي بلغناه لخروج أكبر لشعبه الجديد من هذا العالم كلية..!!**

وإذاً فقد بدأ الله بتلك الدعوة تشكيل شعباً له ولقد كانت تلك الدعوة الإعلان الوحيد أمام الملأ عن حقيقة من هم لله والبرهان على صحة انتسابهم له – كان شعب الله القديم "اسرائيل" مستعبداً في ذلك الوقت في مصر حيث تم تكوين شعب الله القديم أثناء عبوديته فيها – **وهكذا أخذت "مصر" الدور الأول في التعامل مع شعب الله، لأنها تمثل: "السقوط الطبيعي" الذي بموجبه أصبح كل الجنس البشري مستعبداً للخطية وتحت سيادة الشيطان،**

أما بابل فهي رمز قاطع للدور الثاني الذي يتعرض له شعب الله وهو الارتداد الروحي بدءاً باسرائيل الذي دخلت في سبي بابل لمدة سبعين سنة...!!

وفي الواقع يجب أن شعب الرب يتحرر من الحالتين (العبودية الطبيعية وعبودية الارتداد الروحي) العبودية الأولى وجد شعب الله نفسه فيها **وهي شاملة لكل البشر بحكم ميلادهم الطبيعي وأما الثانية فإنما هي بإرادة شعبه أنفسهم...**

وأما عن ملكيهما فإن **فرعون** ملك مصر معناه "الذي يشتت" فهو يجزئ ويُفَرق في كل الأنحاء – وهذه هي حالة العبودية الأولي تفريق وتحطيم يقود إلى الضياع وصعوبة التشكيل السليم، أما "نمرود" مؤسس بابل ومعنى اسمه "نتمرد" فإن هذه هي الحالة التي تقود إلى اليأس لأنها تمثل بالنسبة لشعب الله "حالة الارتداد"!!

***

وإزاء ما سلف ذكره نجد أن التحرر من مصر ثم من بابل هو ضمان العلاقة مع الله وصحة الانتساب إليه كشعبه والله لم يغير طريقته وكل ما في الأمر أن أكثر من يوجدون في العهد الجديد يبخسون قيمة الخلاص المقدم لهم ولو قدروه لهتفوا وهللوا به!! **وأما تداخل الله في الحالتين فإنه يدل على أنه هو الذي حررهم من مصر أرض العبودية وكذلك من بابل أرض المذلة لأن قصده في هذا التحرير المزدوج تحقيق الخلاص لشعبه..**

حررهم وهم عبيد وهو يشاء أن يفعل ذلك معنا لأننا معرضون أن يحدث لنا ما حدث معهم في الحالتين وخاصة من جهة الذهاب إلى السبي بإرادتنا – فقد ذهبوا كسبايا إلى بابل بعكس خروجهم من مصر بالدفوف والرقص... ولم يكن سبي بابل أهون من عبودية مصر فقد أشعرهم بخسائرهم فحزنوا – وهذا ما يجب أن نشعر به!!

ففي فترات سبينا – نحن أيضاً – نشعر **بأن حولنا وخاصة في الشرق ظلال كثيرة، معروفة من أنظمة رسمية وتقليدية تريد استعبادنا فالموقف صعب..** ورغم ما يقدمه السبي قديماً أو حالياً من امتيازات (ليس فيها حقوقنا الكاملة)!!

بدءاً بذلك الشعب الذي لما تمرد على الله الذي كان قد أعطاهم امتياز الحكم الذاتي ولم يقدروا الحرية التي كانوا ينعمون بها تحت سلطته فوضعهم تحت حكم الغير – وكان ذلك أول طريق السبي إلى بابل وهو رمز للارتداد ممن بعد الدخول في علاقة شرعية مع الله يتساهلون في الحفاظ عليها!

***

ولكن الجانب الآخر نجده في ضرورة تمييز شعب الله ولذلك فالرب الإله يقوم منذ بدء التاريخ إلى نهايته بهذا العمل أي تمييز شعبه وعزله عن باقي الجنس البشري وذلك لكي يعرفوا أنفسهم كشعب الله كما يعرفهم الله (غل٤ : ٩) **وذلك لأن الله يريد أن يتخصص شعبه له فيحمل وصف أنهم شعبه الخاص** (تي٢ : ١٤) **بل "شعباً أخص"** كما قال لموسى عن اسرائيل من قبل "تث٧ : ٦) **وكان سبب ضرورة ذلك هو ابتعاد كل الشعوب عن الله الأمر الذي كان لابد أن يقابله بتمييز شعبه عن باقي الشعوب** ولذلك علق مسبيو بابل اعوادهم على شجر الصفصاف مؤكدين استحالة أن يرنموا ترنيماتهم لمعذبيهم (مز١٣٧) وواضح من تحليل هذه المواقف أن الله لم ولن يغير طريقته وهو لذلك لن يرضى بأن يتركنا في السبي إلى ما لا نهاية ولكنه لم يكتف بتحديد زمن السبي **ولكنه يقيم من يقوم بعمل التحرير هذا كما فعل في إيجاد كورش!!**

وكذلك الحال معنا فإن حصولنا على امتياز الإنجيل الكامل أي معمودية الروح ينهي حالة التردد وما يسمونه بالصراع الداخلي ومن هذه النقطة نبتدئ نكون راسخين في علاقتنا مع الرب!!

***

وخلاصة القول أن نعلن هنا بأنه جاء اليوم الذي شاء فيه الرب الإله أن يحرر شعبه بإطلاقهم من عبودية فرعون **لأنه لا يمكن وهو إلههم أن يبقوا عبيداً لفرعون إلى الأبد، ولذلك فإن عبوديتهم يجب أن تنتهي** – فأرسل الرب عبده موسى لفرعون مطالباً إياه أن يطلق شعبه ويدعهم يخرجون ولكن فرعون كان عنيداً حتى قال له الرب: "**إلى متى تأبى أن تطلق شعبي؟**" ومن ثم فقد أنزل عليه الضربات الشديدة إلى أن تم الإطلاق وعبر الرب بشعبه والذي لم يصل شعباً متميزاً عن شعب فرعون إلا بدءاً بذلك التحرير...!!

وهذه هي الخطوة الأولى بالنسبة لنا نحن أيضاً، نحن الذين ولدنا عبيداً في نطـاق "العبودية الطبيعية"، ولكننا قد تحررنا منها وعبرنا منها وانتهينا من أمرها بالدخول إلى الحياة الجديدة وانتقالنا بذلك إلى حرية مجد أولاد الله...!!

ولقد أحسن اشعياء بالوحي إلى ذكر الخروج من مصر التي وصفها بـ "رهب" وهو اسم شعري لمصر الفراعنة ومعناه "الرعب" وقد ربط به "التنين" الذي طعنته يـد الـرب أي ذلـك التمساح الكبير وهو يمثل فرعون بل والشيطان نفسه وهي بعينها اليد القوية التي كشفت البحر (الأحمر) لعبور المفديين وإنها لمعجزة تستدعي العجب (اش ٥١ : ٩و١٠)!!

لكن ذلك الشعب – وهو في أوج الملكية والحكم الذاتي – تعرض بسبب خيانته "لسبي بابل" رمز "عبودية الارتداد الروحي" وكان ذلك بتأثير الضلال الديني المنتشر الذي لحـق بشعب الله وأفقده ميزة التخصص والانفصال.

ومعنى ذلك أن الله بعد أن أخرج شعبه من "عبودية مصر" تركهم يدخلون في عبودية أخرى هي "سبي بابل" (الفوضى التي نشرها الشيطان فيما بعد وخاصة في الهيئات الدينيـة والمجالات الروحية) ولكن قدم لهم حينئذ عن طريق عبيده اشعيا وارميا وزكريا مناشـدات أمره الإلهي بالخروج من بابل والانفصال عنها فقال أولهم "**اخرجوا من بابل اهربـوا مـن أرض الكلدانيين**" (٤٨ : ٢٠). وثانيهم: "**اهربوا من وسط بابل... وانجوا كل واحد بنفسـه**" (٥٠ : ٨ و٥١ : ٦) وثالثهم: "**تنجي يا بنت صهيون الساكنة في وسط بابل**" (٢ : ٧).

وهذا ما يفعله الرب مع كنيسته اليوم، فإن "شعب الله" اليوم كما في القـديم قـد فقـد حريته بسبب بسط نفوذ التقليد وسيادة السلطان البشري واهمال معظم الرعاة، **ولكن الرب لم يكف قط عن تقديم أمره الإلهي "بالخروج والانفصال"** وذلـك لأجـل الحفـاظ علـى الاحساس بالوجود الشخصي وتنسيقه مع نفسه ومع الله **لأنه بذلك فقط يتم تمييز شعب الله الحقيقي!!**

***

الفصل الثاني والعشرون

المدلول الروحي لسبي بابل

"فحمى غضب الرب على شعبه... واسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم وضغطتهم اعداؤهم فذلوا تحت يدهم" (مز١٠٦ : ٤٠ – ٤٢).

"بنو صهيون الكرماء الموزونون بالذهب النقي كيف حسبوا أباريق خزف" (مراثي ٤ : ٢).

مأساة أليمة من تاريخ شعب الله:

لقد تمت محاصرة "اسرائيل من الشمال كما من الجنوب – أي من مصر وبابل فما كانت اسرائيل تعرف أين توجد مصلحتها وبقائها بل كثيراً ما كانت هاتين السلطتين تتقابلا وتتصارعا في أرضها فكانت هي في حيرة مع من تتحالف وضد من؟!

على هذا الأساس نعود للوراء ثمانية أو تسعة قرون قبل سبي بابل أي ما يقرب من ألف عام من وقت الخروج من مصر فنجد شعباً خارجاً من عبودية مصر، عابراً البرية إلى أرض الموعد تحت قيادة صالحة **وهم خارجون بالتسبيح والدفوف والرقص فإن هذا الخلاص من عبودية مصر منحهم ذلك!!**

ولكننا نراهم الآن وقت السبي إلى بابل وقد زال عنهم العز وفارقتهم البهجة واصبحوا قافلة حزينة من الأسرى، **خارجة من أرض الموعد إلى السبي باكية وقد**

لحقها العار وصارت موضع سخرية ممن كانوا يقولون لهم باحتقار: "اين هو إلهكم؟"!!

ولكن هذا الإله الذي يبدو – حسب الظاهر – بأنه تركهم كان قد حدّد فترة سبيهم بالنص على أن هذا السبي إنما هو إلى أن تظهر مملكة فارس عندما تستوفي الأرض سبوتها على مدى سبعين سنة (٢أخ٣٦) لأن الرب لن يترك شعبه إلى الأبد بل لابد من انهاء سبيهم المحزن: **الله نفسه أرجعهم لأن الرب لابد أن يفتقد شعبه ويعطيهم فرصة للرجوع على أن البعض منهم يرجع مبكراً والبعض الآخر يعود متأخراً والبعض لا يرجع كلية...!!**

ونحن لا نؤمن بالنسبة لعصر الكنيسة بأن السبي قد انتهت مدته منذ أن كتب لوثر عن: "السبي البابلي"، وأما أيامه الباقية فإنها معدودة – وإلهنا القدير متداخل تداخلاً خاصاً معجزياً – **لأجل تحريرنا من "ارتداد السبي الروحي" الذي تعاني منه الكنيسة منذ أمد بعيد** ولكنها على وشك أن تتحرر منه نهائياً في زمان النهاية بإتمام النبوات المعلنة عن ذلك!!

ولكن علينا أن نقدم البرهان على أننا نرغب في ذلك بأن: **"تجتهد بالأكثر أن نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين"** (٢بط١: ١٠) **فلا نكون تحت نير مع غير المؤمنين..** لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأي اتفاق للمسيح مع بليعال وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن... ولذلك يقدم الله هذا النداء للاعتزال بقوله: **"اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم"** (٢كو٦ : ١٤ –١٧).

وهذا برهان على صحة قبول الدعوة التي هي أساس تكوين شعب الله وتمييزه عن باقي الشعوب وهو لا يزال يفعل ذلك في وقت النهاية الذي بلغناه **لأن عمل تمييز شعب الله من بين الشعوب لن يكف ولن يتوقف وذلك من كل من العبوديتين لمصر وبابل!!**

التلاعب بالخط الفاصل هو السبب المباشر للارتداد:

من الأمور المؤكدة أن الله يريد تحرير شعبه دائماً، وهو وراء هذا الهدف في كل زمان ومكان، لأن شعب الله لن يحتفظوا بصفتهم هذه – كشعب الله – إن لم

يكونوا أحراراً، لأن الأحرار هم الذين يتمكنون من أن يعيشوا مع الله بإرادتهم الحرة فتكون حالتهم هذه مؤهلة لنسبتهم هذه لله!!

ونحن نعلم بأننا نواجه نفس هذه الأزمة القديمة المتجددة لأنه منذ بدء تشكيل شعب الله وإلى الختام نجد أن الشيطان يعمل بكافة طرق الاحتيال **للتلاعب بالخط الفاصل الذي أقامه الله بين "شعبه المقدس" وباقي الشعوب..!!**

لأنه عن طريق هذا التلاعب يسعى جاهداً لإصطياد المؤمنين محاولاً أن يجعلهم يختلطون بغيرهم من غير المؤمنين حتى يضعهم حينئذ تحت نيرهم، لأن هذا هو مسعاه دائماً أن يضع شعب الله تحت تسلط الغرباء لكي يضغط عليهم – والله يسمح بذلك عقاباً وتأديباً لهم إذ هم في حالة غير مرضية أمامه وحينئذ يتم فيهم هذا القول المأثور الذي نورده بالإنجليزية أولاً: Fredom mean self – rule, otherwise subjection and foreign rule وترجمته: "الحرية تعني الحكم الذاتي وإلا فليس هناك سوى الخضوع لعبوديته الحكم الأجنبي".

***

ولن يكف الشيطان عن عمله هذا لخلط المقدسين بغيرهم حتى ينحط مستواهم ويفقدوا شرف الاحتفاظ بصفتهم كشعب الله..

وهو قد يستخدم الاضطهاد (تعذيب السبي) وأحياناً يبدل ذلك بالإغراء – ولكن كيفما يكون موقفه فلنحذر منه.. لأنه لابد من مواجهة هذا الامتحان: "لئلا يطمع فينا الشيطان"!!

لقد انحطت الكنيسة العامة في العصور الوسطى المظلمة إلى حالة الحضيض وجعلت من صكوك الغفران والتكفيرات المطهرية تجارة رابحة **إلى أن افتقد الله الكنيسة بالإصلاح الإنجيلي الذي قاده لوثر ونخبة من المصلحين**، وبدأت الحريات تعود إلى الكنيسة التي استعادت حقيقة التبرير بداءة ثم التقديس ومن بعدهما حرية الكلمة بأن جعلت كتاب الله "كتاب مفتوح" ثم أعاد الله للكنيسة حقيقة الامتلاء الفعلي بالروح والحصول على مواهبه!!

وبذلك اكتملت عناصر الحياة المثالية التي هي "القالب" الذي تشكلت عليه "الكنيسة الأولى" وبدأت الجماعات الأمينة في وقتنا الحاضر في قبول التشكيل الكتابي من هذا القبيل والتجمع معاً في نطاق هذه الشركة المقدسة التي تربطهم معاً!!

ولكن الشيطان لن يتوقف عن بذل جهوده ضد حركة التحرير هذه المباركة من الله – **وذلك لمنع تقدمها وانتشارها وذلك عن طريق أناس دخلوا خلسة (يه٤) يعملون لحساب الشيطان** ولا شك أن فعله يظهر بالأكثر بإبقاء غالبية المؤمنين خاملين في نطاق الجمود وعدم التقدم، وأياً يكون مقدار إدراكهم لحقيقة وضعهم هذا، **فالمؤكد أنهم في سبي بابل بعد مقيدين بقيوده التي أوقفت علاقتهم بالرب** وارجعتهم عنه مهما ادعوا بغير ذلك.. إلى أن يملوا من حالة سبيهم ويشتاقون إلى التحرر والخروج من بابل **مثلما فعل أخوتهم الذين تحت قيادة الروح قبلوا أن تتكون منهم الدفعات الأولى من الراجعين الخارجين من السبي وقد نفضوا عنهم قيود التقليد وتسلط النظام البشري واعطوا الرب حق قيادتهم وتحريرهم!!**

***

هذا هو رجاء الكنيسة على مدى عصرها وخاصة في الوقت الأخير الذي تعيش فيه حالياً وهي تواجه فيه "جيل النهاية" وتدعو شعب الله فيه إلى التكريس **ومراعاة الخط الفاصل الذي ينهي الاختلاط السابق الإشارة إليه** ويرفع من هم في المستوى العادي إلى "شركة الغالبين" الذين يعيشون فعلاً في انتظار العريس والاستعداد للقائه تنفيذاً لهذا النداء المدوي للخروج والاعتزال وهما شرط "ظهور الرب ثانية للذين ينتظرونه" (عب٩ : ٢٨)!

وواضح مما قاله الرسول بطرس يوم الخمسين لسامعيه ونصه: "**اخلصوا من هذا الجيل الملتوي**" (اع٢ : ٤) وكلمة "اخلصوا" هنا تأتي في اللغة الأصلية "**انقذوا أنفسكم" من جيلكم المعوج** الجيل الذي لا يريد لكم التقدم لإتمام عمل الله! هذا هو "الانقاذ" الذي يقصده نفس الرسول بقوله: "**ويكون أن كل من يدعو باسم الرب يخلص**"

(٢ : ٢١). إنها رسالة انقاذ على طول المدى، ومن ثم فإن نفس المبدأ قائم للرجوع بنا إلى نفس الطريق القديم – **هذا هو امتحان شعب الله دائماً... وحمداً لله لأن ملايين من المفديين قد قبلوا هذه الرسالة وتحرروا بالاعتزال والانفصال وهم يحترمون الخط الفاصل الذي عزلهم به الله** بحسب ما لديهم من استجابة وهنا هم يظهرون على مسرح الشهادة منتظرين العريس بفروغ الصبر!!

وهنا ليس فقط مبدأ الحياة بالإيمان بل واستمرارها كمضاد للارتداد!! فإن هذا القول إنما هو صوت محذر من الارتداد – ولا فائدة من التخلص من هذه التحذيرات حتى لا نقاوم النور ونقع في التعدي الارادي". فليحذر شعب الله من الارتداد لأن الله نفسه لا يسر بأحد ممن يرتدون (عب١٠ : ٣٨) ولنلاحظ أن "إيمانه" في اللغة الأصلية وردت "آمينه" وهذا يعني التصديق من جانبه فيتمسك بها أي أن عليه أن يحفظ أمانة الحق ويتمسك به إلى النهاية!!

تعريف الارتداد باعتباره المدلول الروحي لسبي بابل:

"المرتد" هو شخص بدأ حياته المسيحية (الروحية) ثم لسبب أو آخر ارتد عنها وأصبح أسيراً في السبي مستعبداً من جديد لما كان قد تحرر منه من قبل وهو يتمسك بإرتداده على أساس تمسكه بعقيدة الضمان الأبدي غير المشروط والذي يخص لفئة يقال عنها "المختارين" وهؤلاء الخلاص الأبدي مضمون لهم – مهما كانت حالتهم لأنهم نسمات من ذات الله حسب تصورهم وينسى من يقولون ذلك أن جميع نفوس البشر سواء في ذلك رغم أنه ليس بعقيدة كتابية سليمة – فلماذا يختار الله جانب منهم ويترك الباقي – مع أن ذلك ضد العدالة والمساواة؟! كما أن هناك من يفسرون عبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" بأنها اتحاد بذات الله يصل إلى الكينونة في جوهره وذاته – مما يخص المسيح وحده أما المؤمنين فإن اتحادهم انتسابي فقط والقول بغير ذلك إنما هو كفر وتجديف لأن المؤمنين – بصفتهم هذه – لم يتغيروا عن أن يكونوا خلائق لله

ملزمون بطاعته في سائر الأحوال لكي يضمنوا لأنفسهم الخلاص الأبدي ولذلك فإن **الضمان الصحيح هو الذي به تحفظنا النعمة من الخطية خلال هذه الحياة وإلى وصولنا للسماء فهو إذاً لا يُخلى المؤمن من المسئولية فإنه بحكم إرادته الحرة يستطيع أن يستمر مع الله أو يرجع عنه... ونفهم من يوحنا ١٠ : ٢٧و٢٨ إن الضمان هنا مشروط بسماع صوته واتباعه!!** ولمعالجة هذا الموضوع المصيري نرى وجوب السير في تأمل النقاط الآتية وهي:

أولاً: أسباب الارتداد:

١- سهولة السقوط إذا لم يكن هناك حذر (١كو١٠ : ١٢).

٢- ترك المحبة الأولى (رؤ٢ : ٤ و٥).

٣- الأعذار الكاذبة التي تنشىء التوقف والصدود (غل٥ : ٧).

٤- امكانية الضلال بين الأخوة المؤمنين (يع٥ : ١٩و٢٠).

٥- الآلهة الأخرى باعتبارها أصنام يجب تجنبها (١يو٥ : ٢١).

٦- اهمال التحذيرات باعتباره سقوط في الامتحان (دا١١ : ٣٥).

٧- انعدام الشجاعة بالهروب في المواقف الحرجة (٢ تيمو ٤ : ١٦).

ثانياً: اعراض الارتداد:

١- عدم الشبع: فالمرتد يشبع من طرقه (أم ١٤ : ١٤).

٢- عدم الارتواء: "تركوني أنا ينبوع الماء الحي" (أر٢ : ١٣).

٣- التأديب والمرار: "فإن ترك الرب شر ومر" (أر٢ : ١٩).

٤- العقاب الصارم: "هو افترس فيشفينا ضرب فيجبرنا" (هو٦ : ١).

ثالثاً: أخطار الارتداد:

١- اللعنة معلنة على المرتد (أر١٧ : ٥).

٢- من الممكن حدوث الموت لشخص ما وهو في حالة الارتداد (حز١٨ : ٢٤).

٣- من الممكن أن يكون الارتداد للهلاك فإن الدينونة في انتظارهم (عب١٠ : ٣٩).

خاتمة:

موقف الله من المرتدين: الله يكثر الغفران للراجعين (أش٥٥ : ٧). فإن بإمكان المرتد أن يعود فيتجدد وفي الانجليزية converted في (لوقا ٢٢ : ٣٢) إتماماً لقول داود في مزمور ٢٣ وهو "يرد نفسي يهديني.." وفي الانجليزية reeovered.

ولا شك أن "الأرتداد" أردأ كثيراً من عدم الخلاص لأنه تخلف وارتداد عن معرفة الله الحي:

The backslider has more to ansewer for there than the sinner – it will be terrible for anybody to miss heaven

لأن على المرتد أن يجاوب أكثر من الخاطئ – كما أنه سيكون مرعباً إذا ضاعت السماء من أي واحد"!!

صحيح أن بابل كانت جزء من جنة عدن وانهارها وحدائقها المعلقة تتحدث عن ذلك فهي إحدى عجائب الدنيا السبع في زمانها، ولكن حين ذهب إليها شعب الله ووجدوا أنفسهم فيها بكوا.. وهذا رد فعل الارتداد دائماً..

ليتنا نجد في ذلك انذاراً وعبرة لنا حتى لا نقع في سبيها كما حدث لذلك الشعب القديم!!

***

وواضح من نصوص الأنبياء القدامى كأشعياء وارميا أن الخروج من بابل هو في الواقع هروب من شرها ونجاة من قضاء الله عليها – وهو ما يؤيده سفر الرؤيا فيما بعد وذلك بسبب المعاملة القاسية التي عاملت بها شعب الله قديماً وعلى مدى الزمان وإلى نهايته.. مما يجب الحذر من حالة الارتداد التي قد نوقع أنفسنا فيها!!

***

الفصل الثالث والعشرين

تسكين روح الله باقتحام بابل

"الخيل الدهم (السوداء) تخـــرج إلـــي أرض الشمال والشهب خارجة وراءها تصرخ علـــيّ وكلمني (أي الملاك وهو الرب نفسه) قـــائلاً: هوذا الخارجون إلى أرض الشمال قد سَـــكنوا روحي في أرض الشمال" (زكريا ٦ : ٦و٨).

المركبات الأربعة:

أمامنا هنا رؤيا المركبات الخارجة لاقتحام وغزو بابل بعد رؤية تجميع الشر من بين شعب الله ونقله إلى بابل.

أما رؤية الهجوم على بابل فنراها في هذا القول: "**هوذا الخارجون إلى أرض الشمال (بابل) قد سكنوا روحي..**" فإن رجعنا إلى الصورة كلها فإننا نجد بأن هـــذا التقريـــر قـــد ارتبط برؤيا "المركبات الأربعة" كما هي مسجلة في هذا الإصحاح الأعداد من ١ إلـــى ٨ ونصها يبتدئ بالعبارة الآتية:

"**فعدت ورفعت عينيّ ونظرت وإذا بأربع مركبات خارجات من بين جبلين والجـــبلان جبلا نحاس**".

نرى هنا حكومة الله في الأربع امبراطوريات الأممية التي تبدأ بتسليم السلطان لنبوخذ نصر ومن بعده تقاسمة هذه الامبراطوريات الأربعة إذ لم يكن قصد الله أن يترك الأرض

لشر وإرادة الإنسان بدون أي خزامة أو حكم من قبله.. وهو يحكمها جميعاً ليس بتصرف مباشر – لكي يدعم الشهادة لصفاته وطرقه – بل بواسطة آلات هو يستخدمها، ونتيجة نشاطها هي حسب مشيئته. الإله الحكيم الوحيد يستطيع أن يفعل ذلك، ليسير به نحو إتمام مقاصده **التي لا يمكن أن تتعطل أو تتوقف بأي أسباب خارجية عارضة أياً تكون!!**

هذا هو سبب رؤيتنا لكل أنواع الأمور في عدم توافق مع طرقه أدبياً، ومع ذلك فإنها لا تعطل مشيئته، وأياً تكون الحالة بالنسبة للحاضر فإن نتيجته تقدم لنا مفتاحاً يُظهر حكمة تبدو أكثر عمقاً وموضوعاً للتعجب بأكثر مما ظهر من قبل في حكمه المباشر في اسرائيل **حيث أن التعامل الآن مع الحكم في أيدي الأمم وسينتهي بأكبر كارثة عرفها التاريخ!!**

هذه هي العناية الشاملة التي من نتائجها ايفاء الضرورات الأدبية لطبيعة الله، بينما في المجرى المتوسط للأشياء وسيرها الحر، الأمر متروك لتحرك أنشطة إرادة الإنسان – أما القوى المباشرة التي تمارس بوسائط تنبع من حضرة الله العلي، فإنها تستخدم مرتبطة بالحقوق التي له فوق كل الأرض.. هذه هي صفة الله في نبوة زكريا، وهي صفته أيضاً أثناء حكمه في الوقت الحاضر، بخلاف ما سيكون عليه الحال عندما يملك المسيح علانية فإن الحكم حينئذ سيكون مباشراً في شخصه ومركزه أورشليم!

***

وهكذا تمثل لنا هذه المركبات الأربعة عصور متتابعة قد رتبتها العناية نحو الشعوب الأممية، وهي تتجه على نحو خاص في اتجاه معاقبة بابل (أرض الشمال هنا) ع٨ وفي٢ : ٦، والأربع مركبات هنا لا تشير فقط إلى أربع زوايا الأرض (متضمنة الدينونات العامة) بل إلى الامبراطوريات الأربع العالمية التي تكلم عنها دانيال وهي الامبراطوريات الأولى "بابل وفارس واليونان والرومان" **وهي بداية حكم الأمم!!**

أما عن خروج هذه المركبات من بين جبلين فمع أن البعض يرى بأنهما **مملكتي مادي وفارس** اللتين تم بهما القضاء على بابل إلا أن كلفن يعتبرهما مقاصد الله السرية

في تاريخ شعوب الأرض وتنفيذها في أوقاتها المحددة، على أن هناك من يراهما **جبلي الموريا والزيتون** ومن مركزه هذا يبعث بخدام دينونته ورسل قضائه – أما هيكل جبل الموريا فهو رمز الثيوقراطية ومن ثم فإن أقرب نقطة مفتوحة لهذه المركبات في الوادي من تحت إنما تمثل أنسب موقع لرؤيا تؤثر على يهوذا في علاقتها بالقوى الأممية العالمية – **على أن هذه المركبات وهي تمثل ادوار التغييرات التي يعلنها الله قبل أن تتم فإنها رمز الحرب وتبعاً لذلك رآها النبي "من نحاس" وهو يمثل القضاء والدينونة، كما إنه معدن يمثل التماسك الشديد والثبات وعدم التحرك في وجه أي مقاومة، ولذلك وصف ارميا بأنه أسوار نحاس على كل الأرض** (أر ١ : ١٨).

فالأربع مركبات إذاً هي في الواقع مركبات حرب، إنها تمثل الوسائل التي يستخدمها الله الحي في تنفيذ مقاصده في تاريخ شعوب الأرض. إنها صورة لوسائل يستخدمها الله من هذا القبيل تكشف عن عنصر الصراع في معاملات الله مع العالم. فإن قضائه لا يتقدم أوتوماتيكياً ولكنه موضوع مقاومة تعقبها انتصار دائماً – وهكذا نرى في هذه المركبات مبدأ الصراع والانتصار الذي به يشق المنتصر طريقه إلى الأراضي التي فتحت حديثاً إلى أن يقيم الله ملكوته على الأرض – **وهكذا تسير المركبات بين شعوب الأرض في صراع وانتصار فيما بينهم إلى ذلك الحين!!**

أما رؤيا النبي هذه فهي واسعة وشاملة – فهو يرى أربع مركبات لكل منها خيل يختلف عن الأخر في اللون، كما أن كل منها يسير في اتجاه مختلف حسب زوايا الأرض الأربع.

وهنا يواجهنا إعلان عن الله أنه سيد الأرض كلها، وهو يوجه مركباته على كل الأمم وفي كل مكان نجده يحتفل بانتصاره التقدمي... نرى ذلك في ضوء مدى سعة الرؤيا وشمولها الكلي وذلك في تقديمها لأربع مركبات لكل منها خيل، كما أن كل منها يسير في اتجاه معين خاص به لأربعة جهات الأرض... والمركبات ترى بين قمة جبلين قد اضئيا بالشمس المشرقة، **وهكذا قد اعطينا هنا فجر ملكوت الله على أساس انتصاره النهائي إثر سيادته للتاريخ لأنها سيادة مطلقة!!**

وبالرجوع إلى المعنى الدقيق لرؤيا المركبات هذه وربطها برؤيا زكريا الأولى، والتى سطرها في ص١ : ١١ **رؤيا الرجل الراكب على فرس أحمر وهو واقف بين الآس الذي في الظل وخلفه خيل حمر وشقر وشهب.. يقول عنهم أنهم هم الذين أرسلهم الرب للجولان في الأرض** فأجابوا ملاك الرب الواقف بين الآس وقالوا قد جُلنا في الأرض وإذ الأرض كلها مستريحة وساكنة" السلام كان حينئذ على كل العالم، امبراطورية كورش الجديدة قد استقرت، وحتى تحت حكم خلفائه انتهت كل المخاصمات بعد سقوط الامبراطورية الكلدانية... **هنا نشاهد نجاح للوثنية، بينما يهوذا خربة وهيكلها لم يُسترد بعد، وهذا كحجة قوية لشفاعة الملاك الإلهي مع الله، عندما ضُغطت يهوذا لأدنى نقطة، وارتفعت الوثنية إلى الأعلى، فإنه وقت للرب ليعمل لأجل شعبه... لتصفيتهم وتنقيتهم أولاً!!**

ولذلك فإن هذا التقرير لم يكن صالحاً لهم، ولم يسروا به، كانوا ينتظرون ظروفاً أفضل من هذه – اولئك الذين كانوا لا يزالون في السبي في جماعات قليلة تحت الحكم الفارسي الآن، بدون استقلال وبدون مدينة مبنية، إنهم يريدون الآن تغييراً من أي نوع ولكنهم بدلاً من ذلك وجدوا أن كل شيء مستقر وساكن. لم تكن هناك علامة على أي تغيير! فإن الملك الفارسي الجديد (داريوس) قد استطاع بعد فتح بابل أن يخمد كل الاضطرابات وأصبحت كل الأرض الآن مستريحة وهادئة.. ومن ثم فإن هذا التقرير لم يكن مسراً لهم لأنه ليس لفائدتهم – **وقد يبدو أن حالة الأشياء هذه قد تدفع إلى اليأس لأنه لا يكون هناك أي انتظار أو أي احتمال لأي تغيير ولكن سواء كانت الأوضاع مستقرة أو مضطربة فإنها لن تؤثر على عناية الله بنا – وهو يتدخل ليصنع تغييرات جديدة دائماً تتحدث إلى قلوبنا بأنه معنا وأنه دائماً يهتم في كل ما يخصنا – هذه رسالة منه بل وعد ضد اليأس!!**

وعلى أي حال، عندما تستقر الأمور فإن ذلك يبدو كأن المساء في ملكوت الله – العالم مستقر، لا شيء مثير خادث، ويبدو كأن الله قد ترك العالم لمصيره وشره. وهكذا يستقر العالم في انسجامه التصوري، وفي "توازن القوى"!

ولكن هناك وقت شروق في ملكوت الله عندما تخرج مركبات الحرب ويبدأ هجومها حسب خطة الله – ولا شك أن ملكوت الله يوشك أن ينفجر على العالم، ولذلك فإن الله يرفع كل شيء للزمجرة ويعلن انتصاره فوق العالم وهذا هو المقصود بالقول الوارد في ع٧ : "**فقال اذهبي وتمشي في الأرض. فتمشت في الأرض**" – "وهنا مجال روح الله في تحريكها إذ لا شيء يسكنه غير ذلك" ع٨ وهكذا يسود ملكوت الله حين يتحرك كل شيء على الأرض كلها **لأن الإله الحي يزعج الأمم ليخرجها من ثقتها واسترخائها!!**

وها هي مركبات الله خارجة نحو أرض الشمال ولكنها ستذهب أيضاً للشرق والغرب والجنوب: فلما سأل زكريا عنها الملاك الذي كان يكلمه بقوله: "ما هذه؟" أجابه: "إن هذه هي أرواح السماء الأربع خارجة من الوقوف لدى سيد الأرض كلها" ع٥ هذه إذاً أرواح سمائية تقف أمام الرب لتقبل أوامره في السماء وتقوم بتنفيذها على الأرض!! يتضح ذلك من النصوص الآتية:-

"قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره" (١مل٢٢ : ١٩) "وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم ليمثّل أمام الرب (والمثول هو الوقوف) (أي٢ : ١) "أنا جبرائيل الواقف قدام الله" (لو١ : ١٩) وصهيون هي صوت من هذا المشهد على الأرض – انظر ٢مل٦ : ١٧ "ففتح الرب عيني الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول اليشع" وأيضاً مزمور ٦٨ : ١٧ "مركبات الله ربوات ألوف مكررة" **لأجل تنفيذ أوامره على الأرض في جهاتها الأصلية الأربعة.** "الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار" (مز١٠٤ : ٤ ، عب١ : ٧و١٤). ونبوة زكريا لذلك تعتبر أن كل الثورات التي في العالم هي من روح الله وهي تعتبر مرسلة منه!!

تفسير أنواع هذه الخيول المرتبطة بالمركبات:

المركبات التي فيها الخيل الدهم (السوداء) تخرج إلى أرض الشمال... والشهب (البيضاء) خارجة وراءها وأما المنّمرة (أي ذات خطوط بيضاء وسوداء فتخرج نحو

أرض الجنوب، أما الشقر (ذات الأحمر الفاقع) فخرجت والتمست أن تذهب لتتمشى في الأرض...." ع٦ و ٧.

إنها تختلف في مواقعها عما ورد في الاصحاح الأول حيث نراها: "خيل حمر وشقر وشهب" (١ : ٨)

ويظن البعض أن اللون يمثل حالة معينة تتناسب معه فالأحمر مثلاً يمثل الحرب والأسود الجوع والأبيض الانتصار والمنمر حالة مختلطة – **ولكن بجانب هذا المعنى العام، هناك معنى خاص لها فهي تمثل أربعة عصور مختلفة أثناء الحكم الأممي!**

فالخيل الدهم (السوداء) هي بابل في الشمال وبعدها خرجت الخيل الشهب (البيضاء) وهي تمثل انتصار مادي وفارس عليها تحت قيادة داريوس وظهور الامبراطورية العالمية الثانية، وإذ هي قد خرجت وراءها فإن ذلك يعني بأنها تقع في نفس الموقع مثل بابل فتعتبر هي أيضاً "أرض الشمال"! أما المنمرة فهي تمثل ما عمله الله بواسطة الامبراطورية اليونانية تحت قيادة اسكندر الأكبر!!

إنها منمرة (أي مختلطة ما بين أبيض وأسود وهي تذهب نحو الجنوب أي أن لهذه الخيل صفة مزدوجة أصبحت بسببها فيما بعد صنفين متميزين (لأنها بدأت بقيادة يونانية ثم تحولت للرومانيين) هذه المنمرة خرجت إلى أرض الجنوب ووصلت إلى مصر في ذاك الوقت...

أما الخيل الشقر (الحمر) فهي التي تكمل العمل الذي بدأ وانجز جزئياً بالخيول السابقة التي مثلت مادي وفارس ومكدونية وقد خرجت لتعاقب نهائياً عدو إسرائيل الأخير، **وهي تمثل الشكل النهائي الذي ستتخذه المملكة العالمية الرابعة قبيل المجيء الثاني للمسيح! وهي لها هنا صفة الشمول العالمي لأنها التمست أن تتمشى في كل الأرض** – ولا شك أن عملها هذا يقابل عمل الشيطان نفسه في التمشي في كل الأرض (أي١ : ٢٧ ، ٢تس٢ : ٨و٩ ، ١تي٤ : ١) **وأما لونها الأحمر فنرى فيه المذبحة الأخيرة النهائية في هرمجدون** (حز٣٩ ، رؤ١٩ : ١٧-٢١).

الفهم النبوي للتاريخ ودروسه:

أولاً: بأن الأمور تحدث بطرق مختلفة في عصور مختلفة – فأحياناً هناك صبح في ملكوت الله، وأحياناً مساء. أحياناً الله يتحرك بطريقة تخلق ضجيجاً على الأرض، وفي أوقات أخرى العالم في سكينة مسلماً للقلب الوثني النائم – على أن كل الظواهر تعلن حالياً حقيقة أن في أيامنا الوقت صباح لملكوت الله، وعلى أي حال فإن العالم في حالة تحرك ملحوظ!!

ثانياً: إن الله لا يهتم بالفرد فقط ومصيره بل وبالأمم أيضاً، فهو مهتم بكل أمة "لأن للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها" (مز ٢٤ : ١)، وأن مشيئته أن الكل يخدمونه – **إنه مهتم بالتقدم الكلي للتاريخ، ولذلك ليس لنا حق أن نسحب أنفسنا من مجراه أو أن نكون جامدين لحوادثه الواسعة والمثيرة، لأن قضية الله نفسه متداخلة في جميع هذه الأشياء بحالة مطلقة بدون استثناءات!!**

ثالثاً: يجب أن نقَدر خطورة المعركة التي يديرها الله:

فإن عصيان الناس والأمم ضد الله هو حقيقة واقعة. **فإن كنا لا نعطي اعتباراً لهذا العامل، فإننا لن نفهم شيئاً مما يحيط بنا** فيما يدور من صراع مستمر بين الله والناس، صراع سري رهيب لا نستطيع إدراكه.

رابعاً: هناك هيمنة لله (قد تبدو غير ظاهرة) على الناس والأمم:

الله يواجه معركة قاسية (من الباطل والشر) ولكنه كفء لهذه المعركة يستطيع أن يواجه الموقف وهو متمسك وفي النهاية يحتفل بانتصاره ولو أن التاريخ يتقدم بكوارث عديدة لكنه يدخل في النهاية ملكوت المجد!!

الهجوم على بابل:

يقرر الوحي هنا في العدد الثامن بكلام يسمعه النبي بصراخ نفسه: "**هوذا الخارجون إلى أرض الشمال قد سكنوا روحي في أرض الشمال**"، **مما يدل على أن لروح الله مجال خاص في الهجوم على بابل (المكني عنها هنا بأرض الشمال) ونستطيع أن نرى في هذا العدد القضاء المنفذ في بابل.**

نعلم أن كلديا كانت دائماً أرض الشمال بالنسبة لإسرائيل، وإذا رجعنا إلى ارميا ١ : ١٤ نجد قول الرب له تفسيراً للقدر المنفوخة بأنه: "من الشمال ينفتح الشر على كل سكان الأرض" ويؤيد ذلك قوله أيضاً في ار٤ : ٦ "لأني آتي بشر من الشمال وكسر عظيم" وأيضاً ما جاء في ار٦ : ١ "لأن الشر أشرف من الشمال وكسر عظيم" وكذلك النص في ع٢٢ ، ١٠ : ٢٢، ومن ١ص ٢٥ : ٩ نفهم أن الرب هو الذي سيرسل كل عشائر الشمال تحت لواء نبوخذ نصر ملك بابل عبده "ووصفه حزقيال كملك ملوك في عصره وأنه سيأتي به من الشمال بخيل ومركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير" (٢٦ : ٧)، وكان الكلدانيون قد ألقوا عنهم نير أشور بقيادة نبولاسار (أبو نبوخذ نصر) سنة ٦٢٥ ق.م الذي تجمعت قوته لدرجة هددت أشور التي ضعفت الآن!!

وهنا نرى الخيل الدهم (السوداء) متجهة إلى بابل، وهي تمثل الخراب التام الذي سيفتقدها بها داريوس في السنة الخامسة من ملكه بسبب ثورتها ضده. ومن المعلوم أن بابل كانت هي الأرض التي كان شعب الله مسبياً فيها، ونفس الحالة لا تزال قائمة الآن، فإنها كانت أيضاً المملكة التي كان لها قوة عالمية عظمى والتي انتصرت ومدت سلطانها على كل الأمم...

وقد تكون أرض الشمال في وقت النهاية هي روسيا التي ستلعب دوراً هاماً بحسب المنطوقات النبوية دون أن يؤثر ذلك على استمرار بابل وعملها الرهيب فهي باقية في كلمة الله حتى وإن تولت روسيا مركز صدارة التحالف الشمالي في نهاية الأيام..!!

ولكننا لا يجب أن نتراجع في خوف سواء بسبب توقف شر الأمم كما أنه لا يليق بنا أن نتراجع بسبب ضجيج وشر تاريخ العالم! **فإن الدينونة التي نفذت في بابل حينئذ ستحدث قريباً في مقياس أكبر في نهاية هذا الدهر!!**

فإن الأرواح المستخدمة من الله قد أتمت مشيئته حينئذ. هناك أيضاً يعمل روح الله عمله، وهناك يتم قصد الله، وخطته للعالم تسير في خط تقدمي نحو الاتمام رغم الضجيج المشار إليه فإن الإله الحي متحرك في عالمه وعندما ينفجر الصباح لملكوت الله ستبدأ هجماته!!

وهذا هو الذي يسكن روحه أي أن الخيول السوداء المستخدمة في عقاب بابل ستُسكن غضب الله وقد عبر عن ذلك حزقيال بقول الرب على لسانه: "وإذا تم غضبي وأحللت سخطي عليهم وتشفيت يعلمون أني أنا الرب" وأيضاً "وأحل غضبي بك فتنصرف غيرتي عنك فأسكن ولا أغضب بعد" (١ص٥ : ١٣ ، ١٦ : ٤٢).

وهنا نجد أن بابل وحدها من بين الامبراطوريات العالمية الأربعة، هي المتنبأ عليها بالعقاب التام، رغم أن ذلك لم يكن يعني أن الامبراطوريات الأخرى كانت معفاة!

ولكن لماذا في حالة بابل وحدها يقال بأن الله يَسكن غضبه؟ هنا قد أتينا إلى دائرة صعبة قليلون يحتملون مواجهتها.. لأنها تعلن صراعاً جباراً حادث في خلفية هذا العالم المنظور، وهو يقرر المصائر التي قررها الله بنفسه!!

لنا هنا موضوع عملي يستحق البحث، لأننا نجد من جهة تحركات الروح القدس أنها تدير حوادث تاريخ العالم، ممثلة في أرواح السماء الأربع، متضمنة بأن هذه التحركات هي في كل اتجاه، ولكن هناك ثغرة معينة، حيث يصرخ المتكلم في الرؤيا قائلاً للنبي "بأن هؤلاء الخارجون إلى أرض الشمال قد سكنوا روحي" **هذا منظر نادر يجمع تحركات روح الله بين الشعوب، وكيف أن هذه التحركات تَسكن روح الله – وهذا ليس مجرد تهدئته كما يظن البعض بل بالأحرى انهاء الغضب بتنفيذ الدينونة!** أما لماذا ذلك على وجه خاص في أمر بابل فسنجد ايضاحه من التغييرات التي سجلها التاريخ مبتدئاً بهذه الخيل الدهم التي ستصل ببابل إلى الخراب والحزن!

لقد علمنا مما أوردناه قبلاً عن بابل أن اسمها هذا قد صار عنوان الفوضى والعصيان منذ محاولة بناء برجها، وكما سبق أن رأينا فإن بابل تمثل النظام الديني المفسود بأكمله والذي أفسد الأرض كلها – **ولذلك فهي رمز لكل مظهر من مظاهر العصيان في أي نظام ديني يرفض أن يخضع بتمامه لروح الله،** لأنه بدون الروح القدس، لن نجد سوى الضلال وأصوات غريبة تتكلم عالياً في كل اتجاه (مثل ألسنة بابل نفسها) وهذه الأصوات تأتي من بابل أم الفوضى التي عملت ولا تزال أكبر دراما في تاريخ البشرية!!

ولذلك فإننا نجد مقاومة لروح الله تقريباً في كل مكان – لا يوجد هناك خضوع لجلال الله. في وقت النهاية هذا نجد أن هذه المشكلة تزداد حدة لأن أرض الشمال هو أكبر منبع لتعب العالم كله – لأنه بجانب الارتداد تحت سر الاثم الذي يعمل الآن، **فإن كلمة الله تعلن بأن عرش الله في الشمال – في أقاصي الشمال – حيث الحكم المطاع ومع ذلك فهناك ظهرت الفوضى بسقوط لوسيفر (اش١٤) وبعد ذلك ظهرت بابل بتأثيرها الممتد على كل الأرض!!**

ولكن وسط هذا الارتباك الهائل العام سيظهر ملاك يعلن البشارة الأبدية لاعطاء الله مجده ومخافته لأن ساعة دينونته قد جاءت (رؤيا ١٤ : ٦و٧).

إذ أن الظلمة تكون قد غطت الأرض فيما عدا أولئك الذين سيقومون ويستعدون بتهيئة أنفسهم لكي يكونوا عروس الملك الأبدي! ويقابلهم في نفس الوقت المجموعات الكبيرة التي لابد أن ينسكب عليها السخط. وبكل تأكيد فأن روح بابل قد امتد باقتدار وهي تدرك في الحريات المطلقة والاكتشافات الحديثة باشكالها وما ارتبط بها من أشياء ستجعل غضب الله يستعلن من السماء!! وبالرغم من نمو شر بابل في هذه الأيام الأخيرة إلا أنها لن تنتصر لأن الله يجعل نهاية لكل شرها وذلك سريعاً!

معنى تسكين روح الله:

هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تسكين روح الله ولذلك لابد أن ينسكب غضبه العظيم على بابل عند اقتراب مصيرها الأخير حين تلقى في أعماق البحر كحجر رحي!

سيكون هناك هتاف عظيم على سقوط بابل ولكن إلى أن يتم ذلك فإن روح الله يعلن الموقف المتأزم لأنه لن يكون هناك تسكين لروح الله بدون اقتحام بابل! وإلى أن يأتي ذلك الوقت عند نهاية هذا الدهر، فإن روح الله الذي أُحزن بأشكال بابل يعلن غضب الله إلى أقصى الأرض ويشرف على تنفيذه!!

***

هذه هي الصورة التي قدمتها لكم وهي آتية من عالم الرؤى إذ أنهـا ممـا يصـعب اكتشافه بالعقل. إنها تعلن حقائق رهيبة نحن في أشد الحاجة أن ننتبه إليها، لأنها تكشـف عن أمر فريد في نوعه يجري فيما وراء أحداث العالم المنظور ويتقرر به المصـير مـن قبل الله!

وذلك لأننا نراه في تحركات الروح القدس في العالم المنظور في شبه أربـع أريـاح السماء أي تحركاته في كل اتجاه – **ولكن بين ثناياها صرخة معينة تعلن عمـلاً خطيـراً ورهيباً وهو الهجوم على بابل لأجل تسكين روح الله.** فأمامنا منظر جامع يجمـع بـين تحركات روح الله للشعوب والممالك، ومن خلفها اعطاء الفرصة للمتحركين فـي اتجـاه معين لتسكين روح الله – ترى ماذا يعني ذلك وماذا يعني هذا التسكين؟ ولماذا خصصـت هذه التغييرات التاريخية الشمال بالذات... إننا هنا نستخرج تطبيقات عملية فـإن "بابـل" تعني "التشويش" والفوضى!!

وبحسب اكتمال الإعلان بما جاء في سفر الرؤيا **فإن "بابل" تمثل النظام الديني الفاسد الذي ينتشر في كل الأرض وهو لا يعني كنيسة بعينها بل كل نظام دينـي يحمـل نـواة التمرد والعصيان** الذي لا يمكن أن يتوقف إلا بضربة القضاء الأخيـر! لأن روح الله لـن يُسَكن ولا يهدأ غضبه بغير الهجوم على بابل!!

***

العالم اليوم تحت قبضة بابل متجهاً بفعلها بل ومكرها نحو الارتداد الأخير ولابد مـن أن السماء تقابل ذلك بالانذار الأخير الذي سيذيعه ملاك البشارة الأبدية:

بابل تمثل عدم الوقار وعدم مخافة الله – وقد يحدث ذلك في البعض حتى داخـل الكنائس الروحية فكم رأينا من حالات فيها انعكاس لبابل (وروحها العالمية)! يا قـوم استفيقوا فإن بابل استفحل خطرها ودفعت بالكثيرين إلى الرفاهية المُدثرة على المجال الروحي عن طريق وسائل الاباحية العصرية! وهذه حالة لن تتغير ومن ثم فقد أوجبت

على نفسها قضاء الإزالة الإلهي لأن الله لا يمكن أن يقف مكتوف اليدين إزاء حالة بابل الممتدة في كل اتجاه: الجمود والتقليد واللامبالاة والعصرية!

إنها حالة رهيبة قد غطت الأرض، ويبدو منها أن بابل قد انتصرت ولكن مهلاً فإن ذلك إلى حين، فإن قضاءها مسرع والانتقام منها أمر قريب ومحتوم!!

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الله أعطى المسيحية فرصة لعلاج هذا الموقف عن طريق "الإصلاح الإنجيلي" ولكن سرعان ما فقد مزاياه وحيويته وظهرت بابل من جديد داخل المسيحية نفسها وجعلت من الجزء الذي تغلغلت فيه "مسيحية اسمية" ولكن الله أبقى جزءاً آخر يمثل "الكنيسة الحقيقية" ولكن ذلك لم يمنع بابل الرمزية – السرية في نطاق المسيحية الاسمية من أن تجعلها شديدة الشبه بالعالم الديني العام البعيد عن حق الله المعلن!!

***

الفصل الرابع والعشرين

تجميع الشرونهايته في بابل

"وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، ومدن الأمم سقطت وبابل العظيمة ذُكرت أمام الله ليعطيها كأس خمر سخط غضبه" (رؤ١٦ : ١٩).

"وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلاً: "سقطت! سقطت بابل العظيمة" (رؤ١٨ : ٢).

"ويل! ويل! المدينة العظيمة بابل! المدينة القوية! لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك" (رؤ١٨ : ١٠).

بابل تمثل النظام المفسود بأكمله والذي يستحق الإفناء:

لقد اختص زكريا النبي بالذات بتقديم هذه الصورة النبوية عن "بابل" وهي آتية من عالم الرؤى لتعلن حقائق رهيبة نحن في أشد الحاجة إلى أن ننتبه إليها، لأنها تكشف عن أمر فريد في نوعه يجري فيما وراء أحداث العالم المنظور ويتقرر به المصير من قبل الله!!

لقد ابتعدت بابل بعيداً عن اعلان الله إذ بدأت بها الوثنية واستمرت حتى أنه في النهاية ستشمل المسكونة كلها تقريباً فيما عدا المكتوبين في سفر الحياة...

فإن بابل هي الجزء من العالم الذيَ تجمع فيه الشر وتكوم...

ولكننا لا يجب أن نتراجع هنا بسبب ضجيج شر العالم الذي بثته "بابل" في تاريخ العالم: **فإن الدينونة التي نفذت في بابل حينئذ ستحدث قريباً بمقياس أكبر** – فإن الله سبحانه هو الذي يقوم للمعركة وعندئذ فإن مركبات الحرب تجوب الأرض وخلال مرور الزمن نجدها مركبات انتصار" تحت قيادة روحه في معاقبة الشعوب لإقامة ملكوته...

لأن العالم في حالته الراهنة يكون قد رفض تماماً أن يسمع لصوت الله الرحيم!! فإن كل نوع من عدم الإيمان له صفة "بابل" وبكل تأكيد فإن روح "بابل" قد امتد باقتدار ولكن بالرغم من نمو شر بابل في هذه الأيام الأخيرة إلا أنها لن تنتصر مهما كانت ادعاءاتها لأن الله سيجعل نهاية لكل شرها وذلك سريعاً!! **هذا هو سبب الضلال الذي لا يمكن أن يتوقف إلا بضربة القضاء الأخيرة إذ أنها الضربة القاضية على كل شر وفساد لأن الشر لابد أن يفنى من عالم الله عندما يخلق عالماً آخر يسكن فيه البر!!**

وبالتالي فإن غضب الله معلن من السماء على حالة "بابل هذه لأن الله لا يمكن أن يقف مكتوف اليدين إزاء حالة "بابل" الممتدة في كل اتجاه! والتي يتمثل فيها الجمود والتقليد واللامبالاة والعصرية!!

إنها حالة رهيبة قد غطت الأرض كلها ويبدو معها أن "بابل" قد انتصرت وهيهات فإن قضاءها مسرع والانتقام منها أمر قريب محتوم وهذا واضح من النبوات التي أعلنت ذلك بكل وضوح كنبوة زكريا هذه!!

***

أصوات بابل الغريبة أم الفوضى والارتداد:

وكما سبق أن رأينا فإن "بابل" تمثل النظام الديني المفسود بأكمله والذي أفسد الأرض كلها – ولذلك فهو رمز لكل مظهر من مظاهر العصيان في كل نظام يرفض أن يخضع

بتمامه لروح الله الذي بدونه لن نجد سوى الضلال المتمثل في أصوات بابـل الغربيـة إذ هي أم الفوضى والارتداد!!

وفي وقت النهاية نجد أن هذه المشكلة تزداد حدة **إذ أن بابل وقد ظهرت بعد سـقوط لوسيفر (من أقصى الشمال) وقد أمتد تأثيرها إلى كل الأرض** وهي التي تشكك في وجود الله وتتحداه... إلى أن يظهر ملاك البشارة الأبدية لإعطاء الله مجده ومخافته لأن سـاعة دينونته قد جاءت والعالم في غفلة من جهة النهاية التي ستحدد مصيره فيما عدا من يعدون أنفسهم لكي يكونوا "عروس" الملك الأبدي!!

هذه هي "بابل" بحسب ما ورد عنها وخاصة في سفر الرؤيا ذاتها تمثل كل نظام يعني البعد عن الله ويحمل نواة التمرد والعصيان لأن هذا التشويش قائم في العالم وهو ضلال لا يتوقف عند حد!! بلبلة هائلة تنطلق في كل الاتجاهات ولكنها تنبعـث مـن أرض بابـل بأوصافها الواردة عنها في سفر الرؤيا وهي تمثل بموجبها دوراً خطيراً عبر الزمان وإلى وقت النهاية – "بابل" التي يسمع أبناء الله الصوت بشأنها **يقـول فـي الأيـام الأخيـرة: "اخرجوا من وسطها يا شعبي.. لئلا تشتركوا في ضرباتها"**.. إنها صـرخة لكـل جيـل **وتتأكد بالأكثر في جيل النهاية**. وذلك بسبب الارتداد عن الحق وهو أمـر يتسـع نطاقـه بابتعاد النفوس عن النور الإلهي **في حين أن العمل الصحيح مفقود ومن الصعب أن يجـد له مجال!!. إنها مأساة ختام الزمن في وقت النهاية!!**

وهو الوقت الذي يزداد فيه التعنت والعنف كما تشتد فيه كبريـاء الظـلام لأن أرض الشمال "بابل" هي عنوان كل تشويش مما بدأ **عندما ظهر الفساد بسقوط الشـيطان مـن أقاصي الشمال ثم ظهرت بابل تمثل كل شر** – ونجد في الشمال بعدئذ – في وقت النهايـة جوج وما جوج ويتزامن معه الملك العاتي ويدخل معهم في هذا النطاق التحالف الشـمالي الذي تتزعمه روسيا!!

***

العالم تحت قبضة بابل ما عدا المؤمنين:

وها هو العالم تحت قبضة "بابل" في يومنا هذا متجهاً بدفعه له إلى الانحراف الـديني المطلق – ولكن هناك أمر آخر فإن المؤمنين بالله على وجه صحيح يحاربون عدم الوقار

والانعدام الأخلاقي وأزمة الضمير – لأن حرياتنا ليست بلا حد وساعة قضاء الله تقتـــرب – **وهذا أخطر اعلان يعكس لنا ما في بابل وضرورة مواجهته.**

فهل سمعنا لصوت الحق الكامن فيه صوت الله؟! لأنه هوذا الظلمة قد غطت الأرض والظلام الدامس المسكونة.

فيا قوم استيقظوا لأن بابل استفحل أمرها فدفعت بالبشر إلى الرفاهية بل وإلـــى الزنى الروحي! إذ إنهم يجدون في بابل العالمية مناظر الإباحية كما أنها تقدم لهـــم الالحاد والكفر وهي في كل ضلال يملئ الأرض ويغطي المسكونة **وبالتـــالي فـــإن غضب الله على هذا الشر الجسيم موشك أن ينفجر على حالة بابل هذه!!** لأنه هـــل يكف الله عن العمل لإيقاف تيار بابل الذي يعمل باستمرار للامتداد في كل اتجـــاه – **آه يا للحالة الرهيبة التي يسرع إليها بنو البشر إذ أنهم قد فقدوا الانضباط الإيماني – وأين معرفة الله عندهم؟! لقد تضاءلت وتكاثرت الأمور المتخالفة التي يصـــعب تمييزها لدى من ليس عندهم الذهن الممسوح؟!**

ومن هنا يبدو أن بابل قد انتصرت فإن التشويش والبلبلة في كل مكان – فأين الحق؟ وأين صوته؟ وأين التماثل لطاعة الله؟ **يبدو أن هذه كلها قد أصبحت باهته لأن الجيل قـــد تباعد عنها أكثر من الأجيال الماضية!!**

***

مناشدة أخيرة لتحديد الموقف:

فهل هو عيب إذاً أن يكون هناك أمر من الله بالانتقام من بابل وتوجيه الضربات القاضية عليها بعد أن تحداها بإنجيل السلام! الله يريد بنا أن نقدم أمثلة عملية لانتفاضنا مـــن غبارهـــا وهذا ما يقوم بعمله كل شاهد أمين إذ أنه بعد أن يحمل لها راية السلام البيضاء لابد أن يعلـــن مصيرها في ضوء عقابها لعدم قبولها لله واعلان رفضها العلني له!!

أما حان الوقت أن ننتفض أيها الأحباء ونخرج منها.. أيها المسبيون في بابل صـــوت الله يقول لكم "**اخرجوا منها الليلة... تشددوا وكونوا شجعاناً.. التشويش حولكم طـــاغي والظلام شامل ولكن لنا الرب عوناً لننفصل عن بابل..** حملات السلام الإلهيـــة تتحـــرك وتمشي في الأرض فمن يتجند ويقبل الحق كاملاً – **فمن يتقابل مع الـــرب ويقـــول لـــه: آمين. أنا سأخرج كما أمرتني فساعدني يارب أحارب ضد التشويش والبلبلـــة والفســـاد والإباحية وعدم الاستقرار وكل أنواع العصيان!! هأنذا يارب انفصـــل لجلالـــك – انتبـــه واتقدس لأكون للرب بدون عرج بين الفرقتين!!**

إننا في عصر تحلل وضياع بعد أن اختلطت الكنيسة بالعالم لكنني وقـــد ســـمعت نداء الرب للابقاء أبداً بنفسي خارج بابل فأخرج منها وأعيش لمجدك – فإن المهم من كل تصرفات الله أنها تعني حقيقة مركزة واقعية – وهي إيقاف بابل وتحديها – فأنـــا يارب معك في ذلك أتبع قيادتك لكي أُسكن روحك بالانتقام من بابل وكل شرها!!

***

الفصل الخامس والعشرين

الرجوع القديم من سبي بابل ومدلوله بالنسبة لنا

"في السنة الأولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح كورش فاطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضاً.. لمن يصعد من شعب اليهود لبناء بيت الرب في اورشليم..." (عزرا ١ : ١-٣).

"عندما رد الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين. حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنماً" (مز١٢٦).

الحلم المقدس الذي ينتشلنا من بابل:

من المعلوم أن الرب الإله لن يُسلّم في شعبه ولا في أي كائن بشري تسليماً مطلقاً لا رجعة فيه أو نهاية له!

فلقد حذر ذلك الشعب بأنبياء كثيرين ودعاهم للرجوع إليه لكنهم رفضوا ومن ثم جاءت عليهم المصيبة الكبرى: "السبي إلى بابل" وكان لابد من أن يحدث ذلك!!

ولكن عندما وصل ذلك الشعب إلى هذه النهاية وهي أشبه "بطريق مسدود" لا يجدوا فيه منفذاً، إلا أن الأمر ليس كذلك بالنسبة لله الذي له في الموت مخارج وطريقه يستمر مخترقاً هذه النهايات لأنه **هو الذي يحددها كما يحدد البدايات، ولذلك فقد استطاع أن يقود شعبه**

"إسرائيل" عبر السبي ويوجد لهم مخرجاً بواسطة تحديد مدة السبي بسبعين سنة وإقامة كورش المحرر ليطلق نداء لتحريرهم حسب ما أنبأ به قبل أن يحدث بمئات السنين!!

ونبهه ليطلق نداء لتحرير هذا الشعب من السبي وعودتهم إلى فلسطين عام ٥٣٨ ق.م. وهكذا حدد لهم رسالة الأنبياء القديمة بفم زكريا النبي وافتقدهم بعد صبر طويل وكان السبي قد ولد فيهم الاشتياق إلى صهيون!!

ولكن ذلك كان لابد أن يعتمل فيهم بالإيجابية والقبول الذين بهما صار الرجوع من السبي لدى المسبيين أشبه ما يكون: "بالحلم المقدس" وهذا واضح من قولهم: "عندما رد الرب سبي صهيون صرنا كالحالمين...".

فقد كانوا عند انطلاقهم من السبي كالحالمين فكانت تلك الاخبار كالحلم أي كأنها لا تُصدّق فهي لم تكن متوقعة كما كانت اعجازية ولا شك أن فرح الانطلاق من السبي جعلهم كأنهم في حلم مبارك وعوضهم عن كل ألمهم السابق!! وكان لذلك يشددهم في أثناء العودة ويشجعهم على صعوبات الطريق ويحقق لهم الرضا الإلهي باتمام مواعيد الله وهي التي دفعتهم لعدم الرضا بواقع السبي والاستسلام له لأنهم بالرغم من السبي لم يتغير موقفهم من نحو أورشليم فإن قلبهم كان في أورشليم وفي الهيكل كالمقيمين في أورشليم وذلك واضح من حالهم البادي في مزمور ١٣٧ – وهو المزمور الذي يسجل حزن المسبيين وهو في نفس الوقت صلاة تكشف عما يشغل بالهم وهو صهيونهم العزيزة عليهم وقد سالت لذلك نفوسهم حنيناً إلى وطنهم الذي سبوا منه في الوقت الذي فيه يتم خراب اعدائهم، ولم يكن النطق بذلك بسبب مشاعرهم المهتاجة وإنما كان المسئول عنها حكم الله العادل!!

وكان مدار ذلك إعلان ارتباطهم بصهيون في سبيهم، وأنه لم يكن هناك فصل لقلوبهم عنها في "أرض سبيهم"!

كانت أكثر متاعبهم ناشئة من شدة شوقهم لأورشليم مدينة عزهم وراحتهم المستقبلة، وواضح أنهم وهم في طريق الرجوع استطاعوا أن يستأنفوا الترنيم ولما

وصلوا إلى الوطن الحبيب كانوا لا يزالون يرنمون إلى أن أقاموا بيت الله في أورشليم وكان ذلك نتيجة مباشرة لرجوعهم من السبي!!

كم من حالات متشابهة فيها يطلب أمثال هؤلاء المسبيون العتق والعودة إلى وطنهم ومقرهم المحبوب. ومن ثم لقد علقوا أعوادهم على أشجار البكا وهم في السبي إذ أنهم عندما تذكروا أيام عزهم وأفراحهم الأولى وقارنوها بأيام السبي أنكسرت قلوبهم وذابت وبقيت أورشليم أغنيتهم وعادت الأفراح بالرجوع فرفعت الأعواد من أماكن ركنها وبدأت ترنيمات المصاعد وتعويض السنين التي أكلها الجراد!!

وكان الله قد أقام "كورش الفارسي" ودعاه باسمه قبل وجوده بخمسمائة عام ونبهه ليطلق نداء لتحرير هذا الشعب وعودته مجدداً لهم بذلك وعود الأنبياء القديمة ومفتقداً إياهم بعد صبر طويل... **وعلى إثر اطلاق هذا النداء عادت أول جماعة من اليهود حوالي عام ٥٢٠ ق.م. تحت زعامة النبيين حجي وزكريا، ووضعوا أساسات الهيكل الجديد على مكان الهيكل القديم...**

ولقد كان رجوع المسبيين إلى أورشليم تدريجياً وفي فترات متباعدة بدأ الفوج الأول منها سنة ٥٣٨ ق.م. في عهد داريوس، ثم تبعته أفواج أخرى مع عزرا ونحميا وكان ذلك حوالي سنة ٤٥٠ ق.م. في حكم ارتحشستا ملك فارس، وكان عدد اليهود الذين عادوا من السبي قليلاً، أما غالبيتهم فقد آثرت البقاء في بابل ونفذت ذلك فلم تشترك في هذا الرجوع!!

فمن منا راغب حقاً في أن يودع أيام الحزن وليالي الشقاء؟!! وزمان البكاء والنحيب من يودع هذا الانين كله ويرجع إلى عزه الأول وأيام ابتهاجه بعد أن أُعتق إذ لم يكن بمقدوره أن يرنم للرب في الأرض الغريبة، **ولكنهم إذ تحرروا تغير حالهم وهكذا سيكون الحال بالنسبة للراجعين في يومنا هذا!!**

وبالرجوع إلى المزمورين ١٢٢ و ١٢٦ نجد أن أولهما يُفتح بالقول: "فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب. تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم" وثانيهما "عندما رد الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين".

وهذه الأمنية في الحقيقة هي "الحلم المقدس الذي كان يدور في أذهان الراجعين من السبي! وكان هذا الحلم هو الذي يشددهم في أثناء العودة ويشجعهم على صعوبات الطريق وآلاماتها ويحقق لهم الذهاب إلى بيت الرب – هيكل الرب – وإلى مدينة الله "أورشليم". **وحينما كانوا يتناجون بمثل هذا النداء كان قلبهم يفرح ويبتهج به. وبالرغم من أن الصورة لن تكتمل في زمانهم، فإننا نعلم أين هو بيت الرب بالنسبة لنا – إنه في الحقيقة "الهيكل الأبدي" الذي هو مدينة الله "أورشليم الجديدة النازلة من فوق التي نحن في طريقنا إليها حيث "مسكن الله مع الناس – مسكن أبدي مبارك – المسكن الذي فيه سينعكس مجد الله ويشع فينا وحولنا إلى الأبد ولن تكون فيه أحزان ولا أوجاع ولا الموت نفسه بل الهناء والسعادة الدائمة!!**

***

هذا هو الحلم المقدس الذي يرد سبينا، وينتشلنا من بابل، إنه هو الذي كان الراجعين من بابل يتحدثون به من قبل فكان بالنسبة لهم الأمل الكبير الذي كانوا ينتظرون تحقيقه وتصبوا إليه نفوسهم. وجميل أن نبدأ تحررنا وتحركنا بنفس هذا الحلم المبارك. لأنه كان هناك من لم يحركهم هذا الحلم المقدس وإليهم يشير (مز ١٢٦) **بأنهم يشبهون سواقي الجنوب التي جفت ولكنها تعود للامتلاء بعد أن يهطل عليها المطر. ولذلك فإنهم يطلبون أن يرد الرب باقي السبي كهذه السواقي أما هم أنفسهم الراجعين من السبي فقد كانوا كالحالمين كان نداء كورش لرجوعهم كالحلم**، وكأنهم في حلم لذيذ استطاعوا بسببه أن يرنموا عن متاعب انتهت مسجلين نذورهم لله – وواضح أنهم وهم في طريق الرجوع أمكن لهم أن يرنموا ترنيمات شجوية لأن قلبهم أصبح مرتفعاً إلى الله في العلى (عزرا ٨ : ٢١) فرنموا أثناء رجوعهم ولما وصلوا الوطن كانوا لا يزالون يواصلون الترانيم بل ازدادت أفراحهم بعد أن انتهت المصاعد ووصلوا بأمان إلى ديارهم رمزاً لما سيكون لنا!!

وكان يحثهم على السير في العودة لأن كل أفكارهم ومشاعرهم قد اتجهت نحو أورشليم حيث هيكل الله وبيته، وذلك قد هون عليهم مشقة السفر وصعوبات الطريق

فإن كانوا قد فعلوا ذلك بإزاء غرض أرضي مقيد، **فكم تكون أفراحنا نحن في انطلاقنا من سبي بابل الأخير في اتجاه أورشليمنا السمائية التي نحن ذاهبون إليها والواقع أنه ليس هناك شيء يخلعنا من كل سيطرة غريبة ويخلصنا من السبي وينشطنا في العودة منه سوى هذا الحلم المقدس – لا شيء غيره على الاطلاق.** ففي (مز١٣٤) نجدهم يباركون الله وفي (مز١٣٥) يشكرونه وهكذا حال المؤمن إلى أن يسكن في بيت الله فيكون له اناشيد سرور خالية من كل غم لأنها ستكون خالية من كل ما يعكر الصفو نهائياً وأبدياً!!

وهذا هو الوجه الصحيح من العلاقة الشرعية مع الله، أن أصحابها يتمتعون بعربون السماء وأغانيهم باستمرار لانتهاء الغربة وقد هان المشوار مهما بدا طويلاً إذ أنه يقصر يوماً بعد الآخر **ولابد من الوصول إلى وطننا بفاعلية هذا الحكم المقدس!**

وتكون هذه المحركات قوية لكنها تستلزم منا أن ندفع الثمن ونسلك بالإيمان ونودع بابل نهائياً ونترك السبي إلى الأبد! **ومهما اتخذ سبي بابل من أشكال سواء دينية أو مادية فإن الكل يجب أن يترك – والرب بروحه معنا في هذه المنطقة ليحررنا من بابل ويحقق لنا هذا الحلم المقدس بتركها!!**

***

ضرورة الاهتمام بالمصير الأبدي:

ليس المصير الأبدي النهائي مجرد أمنية – فالجميع يتمنون أن يجدوا بعد مرورنا المؤقت العابر في الزمان مكاناً مناسباً لهم في الأبدية السعيدة بحكم اشتهائهم للآخرة الصالحة.

ولكن ما أقل التفكير في هذه المهمة التي لها ثقلها العظيم والتي نحتاج إليها بشدة **ليس فقط لتحريرنا من بابل كأمر مرغوب في حد ذاته يتم به نجاتنا من الارتداد الديني الهائل الذي يتمثل في بابل، بل لشد انتباهنا وجذب مشاعرنا تجاه "المدينة السماوية" التي نحن ذاهبون إليها!**

وفي حقيقة الأمر هناك البعض من أدعياء الإيمان لا يزال متأثر بفكرة الخلاص من جهة المصير وأمنيته أن يعدي بسلام ويلاقي مكان طيب في الأبدية بعد انتهاء هذا المرور المؤقت العابر في الزمان **لكن الحقيقة هي أن وثيقة الحياة الأبدية هي الحياة الفضلى التي تحررت تماماً ولم يتبق فيها إثر من آثار السبي البابلي!!**

وبالرجوع من بابل يظهر الإيمان الحقيقي الذي هو أكثر من جواز مرور لأورشليم لأنه أصلاً التحرر من بابل. **إننا نهتم أكثر بذهابنا إلى الأبدية لكن الله يهتم أكثر بسيرنا في الزمان وسعينا إلى "الحياة الفضلى"، لأن مصيرنا في الأبدية يتوقف على الحالة التي يكون عليها سيرنا في الزمان، لإمكانية ضياع حياتنا في بابل – في السبي – فيما لا يجدي ولا ينفع فنصبح في موقف لا نحسد عليه...!!**

ومن المعلوم أن لكل نفس ضرورات واحتياجات ملحة لكنها لا تحتاج إلى بحث أو تفسير خاص أو إدراك عقلي أو روحي لأننا نراها ونلمسها ونتعرف عليها تلقائياً بغير جهد ولكننا نعلم من وجه آخر أن كل ما يتصل بحياتنا الأرضية هو في حقيقة الأمر إلى الفناء في الاستعمال. إذاً هنا موضع الامتحان – أننا في هذه الدنيا نواجه تجربة كبرى فهل نحن نعيش في الدنيا لأجل الدنيا؟ كلا. ليس أننا نهمل واجباتنا الزمنية بل أننا لا نستغرق فيها – فمسئوليتنا إذاً كيف نستيقظ لنفهم معنى الحياة؟ **فإننا إذا تغاضينا عن الاهتمام بالجانب الروحي من حياتنا فإن حياتنا تصبح فراغاً وليس لها معنى!!**

ومن ثم فأن الاهتمام الدنيوي سيخذلنا ويمتص معنويات الحياة فنحيا بسببه حطاماً دون وعي أو فهم ويصل بنا الحال إلى القول: "لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.. أما قصد الله من جهة خلقة لنا وقد صرنا موتى روحياً فإنه يدعونا بعد أن أتم لنا الفداء لنرث الفردوس السماوي!!

فلقد كانت بابل تعني في الأصل "باب الله" وقد تحولت إلى "البلبلة" وهذا غريب جداً أن باب الله يتحول إلى بلبلة وإن كان في ذلك امتحان للإنسان ولكن ليس معنى ذلك أن قصد الله قد فشل – **ومعنى ذلك أنه بالامكان استخدام التدين الطبيعي الذي يتلمس ظاهرياً الذهاب إلى الله في تحويل حياة صاحبه إلى "بابل" – وكم من نفوس تقف اليوم أمام "باب**

الله" **بعد أن تحول إلى "بلبلة"** – أي بلا علاقة وبلا ارتباط مع الله ويتحول بذلك وقوفهم أمام باب الله إلى تشويش وبلبلة...! أي فوضى واضطراب – **هذه هي مأساة البشر ويمكننا أن نراها في كل مكان وزمان ويمكن الانزلاق هنا بسهولة فيا ويلتاه!!**

فإن هذا حال كل من يجعل الدنيا موضوع اهتمامه لأنها ستخذله وتمتص معنويات حياته فيحيا دون وعي أو فهم ويتناسى الغرض الذي من أجله أوجدنا الله، وهو أن نجد في المسيح "الباب" و "الطريق" إليه، ونرث به الفردوس السماوي **بعد أن تنحل عقدة الحياة بفكها من أسر بابل وتكريس الحياة لله فلا تعود عبئاً ثقيلاً، بل تتحول إلى هواية طيبة** لا عبء فيها ولا نحتاج عندئذ بنظرتنا السوداء إلى التفكير في التخلص منها، بل إذ تصبغ بالكمال والجمال فإن أصحابها يتلذذون بها في شتى أشكالها. وهذا هو الذي يوجد الفرق بين حالتي النشاط والركود!!

وليس معنى ذلك أننا نهمل واجباتنا الزمنية ولكن المسئولية الأساسية نجدها في أننا يجب أن نستيقظ لنفهم معنى الحياة على الوجه الصحيح!! وهذا يوجد الفرق بين المؤمنين النشطين وبين المؤمنين الكسالى النيام!!

***

أورشليم السمائية مدينة السلام:

هذا هو الذي يدعونا للخروج من بابل أن لنا مدينة أمجد فلنسر في اتجاهها: إنها أورشليم السمائية – مدينة السلام الحقيقي التي ستقف أرجلنا في أبوابها. إنها المدينة المبنية المتصلة كلها معاً بلا فواصل.. إنها مدينة الوحدة والانسجام – مدينة الشركة والتقابل – بلا مواصلات ولا مشقات. مدينة المقابلات السعيدة، هناك صعدت الأسباط (مز ١٢٢)، لأنه على أبواب المدينة مكتوب أسماء الأسباط وستجتمع كل عشيرة مما في السماء وعلى الأرض فيها. وعلى أساساتها مكتوب أسماء الرسل الاثنى عشر.. **وهذا يعني أنها تضم أمجاد العهدين القديم والجديد ويتجمع في نطاقها قديسي كل العصور الذين أغنيتهم وحلمهم الجميل الوصول إلى هذه المدينة – هناك أستوت الكراسي أنها "كراسي الحكام والملوك" فإنهم "سيملكون معه إلى أبد الآبدين"!**

هنا في أورشليم لا يوجد شيء مرغوب سوى السلام.. "ليكن سلام في أبراجك" – "اسألوا سلامة أورشليم" أبراج الحراسة بها **عدد كبير من الملائكة الحراس** (مع أن الأعداء يختفون منها إلى الأبد) ولكن هكذا يؤمن الله سلامتها.. لا عداء ولا مخاوف تخطر على البال – ومع ذلك دورات الحراسة قائمة في أبراجها **تنادي من فيها بأن يطمئنوا لأنهم في مدينة السلام!** فيها الأخوة والاصحاب. من أجل أخوتي وأصحابي لأقولن سلام بك... "لتكن راحة في قصورك ليسترح محبوك" "من أجل بيت الرب إلهنا التمس لك خيراً".. **هنا الراحة الأبدية وقد جاء أوانها!!**

هذه هي مكافئة التكريس الشاملة للنفوس التي تعرف إذ هي تعيش للرب بأنها ذاهبة إلى هناك إذ ليست لنا هنا الراحة ولكنها في انتظارنا عندما نصل إلى هناك إلى "قصور العاج" التي تنتظر القديسين الذاهبين إليها. هنا الخير الدائم الأبدي: **إن الحلم بهذه المدينة الأبدية يحرر أصحابه من الأرض وينقذهم من بابل، يفصل كل منهم من كل الروابط الزمنية، لكي ينطلق ويصل إلى هذه الأمجاد!!**

أكرر ما سبق أن قلته بالنسبة لهذه الجماعة الروحية التي يشكلها الروح القدس على النمط الكتابي بأنكم **أول دفعة من الراجعين من سبي بابل ومعكم فئات نظيركم في أماكن متنوعة** – ولذلك فإن عليكم أن تنفضوا عنكم غبار بابل وتثبتوا نظراتكم في مدينة المجد متذكرين هذا الوصف عنها: **"قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله"** (مز٨٧) **"وكل السكان فيك كمغنيين" – كلها موسيقى وأفراح متصلة أن كل ما يحاول الإنسان أن يفكر فيه لإسعاد نفسه به أعلنه الكتاب المقدس عن هذه المدينة**.. مدينة القصور والقيثارات.. البحر الزجاجي والنهر البللوري وشوارع الذهب. الوضع كله سيكون مفاجئة لا يحتملها الكيان الحاضر الذي لنا ولذلك لابد من أن يتغير حتى يكون في حالة تلائمها فتحتملها!!

كل شيء اشتراه لنا يسوع على أن نمارس الجهاد الذي هو عصب القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب فالوصول إلى المدينة يجب أن يتم بالتواجد مع مجموعة الغالبين الذين غلبوا بالتكريس الدقيق وأمانة السلوك!!

•••

وهكذا قد انكشف لنا الارتباط بين الرجوع من السبي واشتهاء أورشليم فجاءت المراجعة متطابقة – لم يعد الأمر مجرد حلم بل حقيقة، لأن في الحقيقة التي تحقق الحلم تتركز أماني الإنسان – لا يوجد شخص يعيش بدون أحلام – والله يريدنا أن نحلم بأورشليم مدينة الله – وعندما نحلم بها ترخص الأرض علينا وتهون قيمتها متحققين أن لا شيء فيها يبقى دون أن يزول فكل عز بها ينزع وكل نعيم يتلاشى. **الله يشاء أن يعطي كل منا آخرة ورجاء إذا قبلنا مبدأ التغرب على الأرض والخروج من بابل!** شيء واحد يجب أن نرسمه في أعيننا "أورشليم" الموطن الحبيب! التي فيها يتم قول (اشعياء ٥٢ : ٨) "يرفعون صوتهم يترنمون معاً لأنهم يبصرون عيناً لعين عند رجوع الرب إلى صهيون".

لقد كان السبي تجربة.. لقد اشتهوه فأرسلهم الله إليه. ذهبوا إلى هناك إلى "بابل" عبيد أرقاء – هذه حالة كل من لا يعرف أن يقول: "دوسي يا نفسي بعز" – ولكن لقد أنفك الأسرى – حررني يسوع من بابل – أنا الآن أسير الرب. أنا ملكه. أنا من رعايا المدينة، اسمي هناك وأنا ذاهب إلى هناك.. وبعد قليل سيغيب هذا المشهد الزمني عني وأجد نفسي هناك في موطني!

ويلاحظ أن السبي كما هو معروف لم يرجع دفعة واحدة بل كان على دفعتين أمامية وخلفية.. **وبالتأكيد البعض سيأخذ مكانه في الدفعة الأمامية** مع الذين قالوا: **"عندما رد الرب سبي صهيون صرنا كالحالمين حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً"**.. هذه حالة من قد تحرر بحق – إنه ليس ضحك جنون بل منتهى العقل فإن أحسن العقلاء هم الذين يضحكون على الدنيا وعلى حالها وعلى زوالها، وينظرون إلى الساكن في السموات فيجدونه يضحك فيضحكون لأن الضحك أفعل – إذ كيف نكتئب والرب ملأ أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنماً إذ إننا لما نتحرك إلى فوق نلاقي الموسيقى تضرب في قلوبنا. لأن الله خلقنا للسرور والسعادة وذلك يدخلنا إلى عمق الحياة – فلا يكون هناك اكتئاب ولا حزن ولا مناحة ولا عزلة – ولا سبب للانقباض والتوتر بعد. **فإن هذه كلها أثقال لا تتناسب أبداً مع الرجوع من السبي.. ليست هذه مأمورية سهلة، ولا الذين سبونا يسهل عليهم أن يسيبونا ولكن الرب هو محررنا ومخرجنا من هذا**

السبي. إنه "كورشنا" العظيم، شمسنا المبارك الذي أشرق علينا.. بقدر مئات السنين في عبودية مصر والسبعين سنة في سبي بابل بقدر ما تكون الأفراح! وكما فرحت مريم والنساء والرجال بعد عبورهم البحر الأحمر وكذلك كما فرح العائدين من السبي **بنفس الطريقة تكون أفراح الراجعين بسرعة والآن لأن أمامهم خروج سريع من بابل السرية بحسب النداء الأخير الوارد في سفر الرؤيا!!**

وأما الذين في المؤخرة الذين ندعو الرب بأن يردهم الذين هم مثل سواقي الجنوب التي تنتظر المطر المتأخر لكي تدور به، هكذا يرد الرب المتأخرين ويعطيهم نصيباً في الانتعاش – وهذا يعني أن الرب يريد أن يرد كل شعبه، فلا يكون فيهم عاثر. ولذلك يتحدث الرب لمن حط بهم الزمان من شعبه قائلاً له: " أيها الفاتر المتعطل لك نصيب في الإعادة والارجاع! **ارسل يارب المطر المتأخر لسواقي الجنوب.. يارب أنعش كل شعبك وكل قطيعك.. فك كل نفس من أسر السبي.. أرحم وأشفق على الجميع. الرب على أهبة الاستعدد أن يفعل ذلك والنداء الآن هو للرد من السبي وطوبى لمن يلبي هذا النداء!!**

يسوع المحرر الأعظم مستعد أن يحرر ويفك من الأسر.. أمسك به فوراً ليحررك من سبي بابل ويجعلك من سباياه.

ساعدني يارب أتحرر الآن وأكون لك وحدك إلى الأبد فاثبت بذلك أنني من شعبك الحقيقي!!

الفصل السادس والعشرين

خفايا بابل الرمزية والسرية

هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة... التي زنى معها ملوك الارض وسكر سكان الارض من خمر زناها" (رؤ١٧ : ٢،١)

"وعلى جبهتها اسم مكتوب سر بابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الارض ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع" (رؤ١٧ : ٦،٥)

بابل الرمز:

قد جئنا الان الى بعض المناظر الختامية التي تتجمع في نهاية هذا الدهر ــ لقد عبرنا بتجربة بناء البرج وما تبعها من تبديد محاوليها على أن مملكة بابل اكتسبت برغم ذلك - قوة فوق كل العالم المتمدين وصارت رمزاً للزنى الروحي الذي يكشف عنه بالأكثر سفر الرؤيا.. وحتى بعد سقوط بابل التاريخية فإن ديانة بابل استمرت كنظام ديني معارض لديانة الحق الالهي الى يومنا هذا...

ويعرف دكتور سايس "زنى بابل" في الكلمات الاتية:-

"الزنى في كلمة الله في معناه غير الحرفي يعني عبادة فاسدة (رمز للعبادة المختلطة) وتكريس تقوى كاذبة وهو زائف، ومن أشنع صور الوثنية: عندما يعبد

الناس ما ليس باله ويحسبونه الهاً شيء يضعونه في مكان الله فيعطو قلوبهم للأصنام أو يؤسسوا انظمة وتعاليم وفرائض وخدمات لتأخذ مكان الله مما يسميه في كتابه بالزنى. والاسباب لذلك واضحة لأن كسر نواميس الله وفرائضة يحمل معه بالضرورة هوانا لنظام الزواج المُكّرم ، ومن ثم فإن كل الديانات الكاذبة ترتبط بعدم قدسية الزواج متجهة الى الانحطاط الجنسي، وذلك كبديل لجوهر الناموس الالهي!!

هذا هو طلب الرب ولذلك فإنه ان لم يتم فإن الغمر بعاطفة العبادة على أي موضوع، أو وضع أي شيء أياً يكون مكان الاله الحقيقي إنما هو بحسب طبيعته "زنى روحي"، لأنه تحويل للنفس من مركز اهتمامها الشرعي الوحيد المستحق لتكريمها وتعبدها، لتأخذ الى حضنها مما ليس له بحق لمثل هذا المكان أو الحيز!!

ونظراً لأن هذه المرأة "بابل" تسمى "بالزانية" و "الزانية العظيمة" بل "وأم الزواني" فلابد من أن تكون التجسيم العظيم والمنبع بل والرمز لكل زنى وعبادة فاسدة وتعويج كلمة الله ووصاياه: **هذا يساعد على تحديد صفتها كالمنافس المضاد للمرأة المتسربلة بالشمس، مما يجعلها الرمز الذي يحوي الجسم أو الكيان العام للغير أمناء، مثلما نجد في المرأة المتسربلة بالشمس الجسم العام لجماعة المؤمنين الحقيقيين!**

ومع أن شعب بابل قد تشتت بحكم الضرورة ألا أن بذار الشر التي زرعت نمت والكتابات القديمة مملوءة بقصص انتشار الديانة البابلية الملعونة، ومن هنا نبعت آلهة اليونان والرومان واساطيرهم، وصارت عبادة بابل القديمة وتماثلها ديانة الفراعنة وهي ديانة كل القدماء تقريبا بما في ذلك تارح أبو ابراهيم (وقد كان ذلك السبب في دعوة ابراهيم ليترك بيته وأرض ميلادة ويرتحل الى كنعان).. ومع ذلك ففي مجرى التاريخ خضع اسرائيل لعبادة بابل الوثنية وعبدوا آلهه اخرى وكان ذلك بالاكثر عندما انتشرت العبادات المختلطة اثناء حكم آخاب وايزابل **وانتصرت الديانة البابلية لدرجة أن عبادة الرب صارت محرمة! وكان ذلك هو سبب تأديب الله لهم بحملهم الى السبي..** وقد مضت العشر أسباط الشمالية الى السبي الاشوري نتيجة الوثنية ومن بعدها اخذت يهوذا الى السبي البابلي لمدة سبعين سنة وهو الذي يتمثل في ايزابل كنيسة ثياتيرا فهي رمز للبابوية حسب الدور الذي شغلته وحكمت فيه في عصر العهد الجديد ولا تزال وإلى نهاية الدهر!!

وقد امتدت هذه الحالة الى الكنيسة فيما بعد، فإنها بوصفها الكنيسة الجامعة (وهذا هو معنى الكاثوليكية) **فإنها ليست هي تلك التي لاورشليم العليا الموصوفة بأنها أم جميع المؤمنين** (١ش ٢ : ٣ ، فل٤ : ٢٦) **حسب القول "وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعا فهي حرة"** وأما تلك التي لبابل المدينة العالمية ولكنها الزانية: **إنها ظاهريا تحاول تمسيح الناس ولكنها قد سمحت لنفسها أن يضلها العالم!** ولقد قام الاصلاح بحسب مبدأه ليواجه تلك الزانية التي صارت هكذا وهي بحسب مبدأها سر الاثم "المرأة" التي رأها زكريا تُحَمل الى بابل!!

وواضح أن لها امتداد خارجي على كل العالم فهي عالمية في امتدادها ومحتوياتها مرموز لها باسم المدينة العالمية "بابل"

ولقد مر بنا كيف أن تاريخ بابل قديم ومتكرر فهو يرجع الى أيام نبوخذ نصر بل الى أبعد من ذلك الى وقت ظهور البلبلة في عهد نمرود، **أما أنه متكرر فهذا واضح من ظهور البلبلة فيما بعد أي أن بابل نفسها ليست وحدها التي تحمل هذا الاسم بل كل الارض وهذا طابع عام للمسكونة كلها** وإن كانت كلمة "بابل" تعني حرفيا "باب الله" إلا أنها اصبحت تعني عملياً البلبلة الفكرية من نحو الله وهي البلبلة التي ستنتهي بهلاك الانسان..!

لقد كانت "بابل" مركزا للديانة التي استوحاها الانسان بدافع من عدو الخير، وقد ظهر أثر هذه الديانة في سلوك المتمسكين بها اذ فعلت فيهم أكثر مما فعلت غريزة التوحش في الحيوانات الكاسرة، **فمن يصدق أن الناس الذين يعبدون غير الله الحقيقي يسفكون دم اللذين يعبدون الله!؟** هذا هو عين ما فعلته بابل فظلت تسفك دم الشهداء البريء حتى وجدها الرائي "سكرى من دمهم دم القديسين ودم شهداء يسوع" (رؤيا ١٧ : ٦) وهذه هي الديانة الباطلة في أوسع نطاق لها!!

لقد انتشرت هذه الديانة البابلية في كل الأرض ولم تتمسك بها مجموعات البشر الشعبية فقط بل انحنت لها تيجان الملوك أيضاً، انها الديانة التي تشبع التفكير البشري وهي التي تقدم حرية مزعومة تبعد الانسان عن الله الحي ــ ما أبعد ذلك عن الديانة المسيحية الحقيقية التي لا تستند على سلطة منظورة وهي تتمثل في المرأة المتسربلة بالشمس تضيء على الارض كلها ويخترق ضوئها الظلمة التي غطت الارض!

كل ذلك يكشف لنا كيف أن موضوع "بابل" على جانب عظيم من الأهمية ــ وكيف أنها شخصية رمزية وتبدو صعبة لدى المفسرين حتى جعلها بعضهم منحصرة في أورشليم الأرضية والبعض الآخر في النظام البابوي، ومع أن هذا النظام داخل ضمنها لكنه ــ وهذا هو الصحيح ــ لا ينحصر فيها ولا يمكن أن نوقف بابل كرمز عند حد انتهاءها بالكثلكة لأنها أوسع نطاقاً من ذلك بكل تأكيد!!

لانه بما أن هذه المرأه هي الزانية العظيمة أم الزواني فهي أصل ورمز لكل عبادة كاذبة ضمنية بعيدة عن كلمة الله.. ولذلك فهي لا يمكن أن تكون بحال روما وحدها سواء الوثنية أو البابوية بمقدار ما لا يمكن أن تكون المرأه المتسربلة بالشمس الكنيسة الاولى وحدها أو البروتستانت وحدهم.. فإن هناك مؤمنين وجدوا خلال الـ ٤٠٠٠ سنة قبل العصر المسيحي، وكذلك وجد وثنيون ومحرفون لانظمة الله قبل الاباطرة وبابوات الرومان. **وكما أن المرأة النقية كما سبق أن رأينا هي رمز لمجموعة المؤمنين الحقيقيين منذ البداية، فكذلك هذه الزانية العظيمة هي رمز للمزيفين، وهذا يجعلها عدوة منافسة لتلك!!**

بابل السر:

من المعلوم أن مدينة "بابل" القديمة قد سقطت، ولكنها تحولت من بعد ذلك ألى "سر بابل" أي الذي يمثل مجموع الديانة الكاذبة على الارض، "وبابل" في هذا المعنى قد جمعت الكنيسة الاسمية التقليدية مع البروتستانتية المرتدة، فصاروا جميعهم أجزاء متكاملة في "بابل السرية"، **إنها البديل والتزييف الشيطاني للمسيحية الحقيقية!**

أن "بابل السرية" هذه موجودة منذ أيام نمرود: لقد بدأت في بابل وانتشرت في كل انحاء العالم عبر التاريخ ولا تزال، غير أنها أثناء عصر الكنيسة جعلت عاصمتها روما، وتركز تمثيلها في البابوية ولكنها لم تتوقف عند هذا الحد لأن لها بناتها المسايرين لها وهم كل نظام ديني فاسد على وجه الأرض!!

ويقول تفسير الكتاب المقدس النقدي: "بأن الزانية هي الكنيسة المرتدة بينما المرأة المتسربلة بالشمس هي الكنيسة الأمينة ــ ثم يستطرد الى القول "بأن الشيطان وقد فشل في قهر الكنيسة بالعنف نجدة يستخدم معها طرق الإغراء العالمية، وهي على خلاف سيدها قد

انهزمت بهذه التجربة ولذلك يراها الرائي في أص ١٧ "**جالسة على وحش قرمزي مملوءة اسماء تجديف... ... وهي متسربلة بارجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ومعها كأس من ذهب في يدها...** (ع ٣ و٤).

انها ليست بعد الزوجة بل الزانية ــ وهي ليست بعد أورشليم بل روحيا سدوم ومصر (١١ : ٨) ــ ومع أن الفكر العام يتجه بالاكثر إلى روما البابوية، وهو قائم على قرائن تؤيده، ولكني اعتقد أنه يشمل بالاكثر **الكنيسة العامة المرتدة بما في ذلك فئات من البروتستانتية نفسها** كل من ترك "المحبة الاولى" وضل عنها وحول مشاعره عن العريس...!

ويقرر والترسكوت ذلك بقوله:

يتبين لنا من النصوص الواردة عن بابل وسيادتها على الشعوب والملوك انها نظام ديني واسع مهمته هي تغيير الحق وقلبه الى باطل.

ولذلك فإنه في الواقع ليست بابل هذه هي البابوية فقط بل إنها كل طوائف المسيحية الاسمية في طرقها الاثيمة واسعة المدى، فهي أذا تحوي كل أوصاف البابوية وليست هذه الزانية إذاً مجرد تزييف للكنيسة فقط **باعتبارها مركز التحركات المسيحية الاسمية بل هي تبعاً لذلك ونتيجة له النظام الديني الجبار الذي يتمثل فيه الزنى الروحي بلا شك**، وهو أعظم آله شيطانية وأحقر شيء تحت الشمس، ولذلك فإن أثر وفعل هذه الزانية قد امتد إلى كل الارض... نفهم ذلك من زنى ملوك الارض وسكان الارض مع هذه الزانية العظيمة ــ كان ذلك جزئيا في العصور الوسطى **ورغم الاصلاح الانجيلي فإن الانحراف لم يتوقف إلا وقتياً، وقد عاد للامتداد وسيتم أكثر عندما تتحالف هذه الزانية مع ملوك الوحش العشرة** وبعد ذلك يسكر من خمر زناها سكان الارض جميعا أي جميع المرتدين عن الدعوة السماوية ليتمتعوا ويتلذذوا بكأس خمر هذه الزانية، اللذين يحسبون تتعم يوم لذة.

أما عن "الزنى الروحي" فقد ورد ذكرة في (حز ٢٣ : ٣٧) في القول "زنتا باصنامهما"، فهذه هي التهمة التي اتهم بها الرب إسرائيل باعتبارها زوجته (ار ٣ : ١٤ ، أش ٤٥ : ١).

وايضاً "ولا يذبحون أيضا ذبائحهم للتيوس التي هم يزنــون وراءهــا (لا١٧)، "لــم يسمعوا بل زنوا وراء الهة اخرى وسجدوا لها (قض٢)، لا تفرح يا اسرائيل لانك زنيــت عن الهك (هو٩)، وكذلك القول " تهلك كل من يزني عنك" (مز٧٣).

وقد طُلّقت هذه الزانية وأصبح من غير الممكن أن تكون عذراء ثانية، لــذلك اختــار المسيح لنفسة الكنيسة عروسا (٢ كو١ : ٢ ، أف٥: ٣٢)

وهكذا نرى هذا الزنى هنا أي العلاقة غير الشرعية أي الارتباط مع العــالم المرتــد الاثيم، **متمثلا في هذه المرأة، التي نصبت الفخ واصطادت بمسراتها وسحرها كل من في دائرة تأثيرها الرديء وقد أثر ذلك على كل هذه الطبقات وهو يدمر الذين تلقــي علــيهم سلاسلها الذهبية ويشربون من كأسها...** فإن كل فكر صادق وشرعي عن المسيح يتبــدد امام اغراءات هذه الزانية وابتسامتها وهي في حبال ضلالتها قد جمعت في نفسها كل مجد العالم **وجلست كملكة تتكسب بغش علاقاتها في قلب المسيحية الاســمية وهــي تتميــز بالكبرياء بملابسها الفخمة البراقة وحليها وجواهرها التي هي أفخر ما في العالم وهــي** تحيط نفسها بالثروة المادية وهى أنفس الممتلكات قيمة واعتبار!!

وفي يدها كأس من ذهب تجرب به النفوس مع أنه مملوء في باطنة من رجاســات ونجاسات زناها (أي كل مكرهاتها وفسادها) وهذا شيء مرعب للغاية: فإن الزنى والفساد هما الشرين اللذين يميزان الكنيسة المرتدة في الايام الاخيرة ــ فالرجاسات هي مكرهــات الوثنية والتى يتمثل فيها البعد عن الله ــ والواقع أن كأسها امتلأت وفاضت: لقد كنا ننتظر حدوث مثل هذه الاشياء من الوثنية **ولكن كونها تحدث مــن المســيحية مصــدر النــور والمعرفة فهذا هو الأمر المستغرب**، ولكننا في نفس الوقت يجــب أن نشــكر الله علــى الكنيسة الحقيقية التي بناها المسيح وهي الثابتة والتي نصرتها محققــة (مــت ١٦ : ١٨ ، اف ٥ : ٢٧).

أما "جوردون لندسي" فيقول:

تمثلت بابل بزانية جالسة على وحش قرمزي له سبعة قرون: ورغم إنها مجــرد تقليد للكنيسة الحقيقية، لابسة الثياب الفاخرة والحلي الغالية وهي هنا تشــغل مركــزاً

سياسياً مرموقاً إذ توحد الديانة تحت رايتها بأمر من الوحش نفسه في النصف الأول من الاسبوع وتضطهد بذلك كل من لا ينضوي تحت لوائها، وهي بذلك بابل سراً وروما علناً القائمة على سبعة جبال ويرى البعض أن خمسة من هذه الجبال ترمز الى الممالك السابقة التي انتهت وهي أشور وبابل وفارس ومصر واليونان، أما السادسة والسابعة فهما الرومان سابقاً ولاحقاً فإنها هي نفسها التي ستنتهي بالوحش الروماني وهذه المرأه (البابوية) راكبة عليه الى وقت هلاكها!!

وهذا هو حال روما بدياناتها الكاثولوكية التي استحلت دماء القديسين في عصور كثيرة وطويلة وسفكتها بدون رحمة واستحلت سفك دم تابعي يسوع فجعلت منهم شهداء بعد ان فشلت في اغراءهم.

إلا أن هذا الوحش بقرونة العشرة **وإن كان وشيك الظهور بل ظهر فعلاً في حلف الاطلنطي والسوق الاوربية** بل قد تطور أيضاً في شكل الاتحاد الأوربي والبرلمان الأوربي، إلا أنه في نفس الوقت نراه موجوداً خلال العصور كلها ــ ولذلك نرى وجود هذه الزانية بنفس هذا المدى من الزمن وذلك إلى وقت نهاية هذه الأيام الأخيرة!!

لقد بدأت "بابل" مباشرة بعد الطوفان عند برج بابل ولها تاريخ طويل وشرير منذ ذلك الوقت ولذلك يدعوها الوحي في سفر الرؤيا "بسر بابل العظيمة" (١ ص ١٧) ومع أن مملكة بابل القديمة قد سقطت ولكن "سر بابل" لم يسقط بل استمر فعله حتى بعد أن دخلت روما الوثنية إلى المسيحية الاسمية، **واذا بكل الفرائض ــ كما يقرر المحققون ــ التي كانت في بابل القديمة قد دخلت اليها ومارستها (بما في ذلك المطهر نفسه)** لقد وجدت الكنيسة الرومانية انه من السهل **ان تمسح القبائل الوثنية بالسماح لها بالاستمرار لها في الممارسات البابلية القديمة بعد صبغها بالصبغة المسيحية**، وكان أول من فتح الباب لهذا الشر قسطنطين عندما اعتنق المسيحية وبدأ في عملية خلط الوثنية بها... ومنذ ذلك الحين وقد أصبحت الكنيسة التقليدية بوجه عام خليط من المسيحية والوثنية ــ **وهكذا نرى البابوية المتوثنة مع البروتستانتية المرتدة يكونون جميعهم أجزاء متكاملة في "سر بابل" الذي يمثل مجموع الديانة الكاذبة التي على الارض** إنها تزييف من الشيطان لما أراده أن يكون بديلا للمسيحية الحقيقية!

أما المرأة المتمخضة في رؤيا ١٢ فهي "جماعة الله" في طهارتها وقت ولادتها للابن الذكر وهو "الباكورة" لله من بين الناس، بداءة الكنيسة المتغيرة "عروس الحمل"!!

وهذه المرأه هي الكنيسة غير المنظورة "المخبؤة داخل الكنيسة المرتدة وهي على الأرض مجاهدة وفي السماء منتصرة عندما يحين زمان اختطافها وجمع شملها نهائيا... ولا شك أن هذه الكنيسة غير المنظورة التي تجمع كل المؤمنين الحقيقيين مخفية وموزعة في الكنيسة المنظورة والخطوط التي تحدد ذلك وتفصل بين الزانية والمرأه ليست خطوط ذهبية ولا خارجية بل هي مما لا يمكن تمييزه إلا روحيا وذلك بالرغم من انها متسربلة بالشمس وضوئها يخترق الى أقصى الأرض!!

أما هذه المرأه الزانية التي تمثل "الكنيسة الاسمية" و "الارتداد العام" فإنها ستحصل على اعتراف علني باعتمادها على القوة العالمية، وهذه بدورها ستستخدمها لاغراضها **لانشاء ديانه عالمية** موحدة ستتحول الى عبادة الوحش والسجود لصورته الأمر الذي لابد معه من حرق هذه الزانية وتخريبها وهذه هي الصورة هنا **عندما ينضج العالم المسيحي بالاسم للدينونة!**

هذه هي المرأه التي يقال عنها هنا: "**أن على جبهتها إسم مكتوب سر بابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الارض**" هذه هي صفة بابل المخجلة: **وهي هنا تحمل اسمها علنا "لان ذلك الاسم مختوم على جبهتها حتى يقرأه الكل ويعرفون صفتها"** ـ وأسمها هنا مكون من مقطعين الاول منها كلمة "**سر**"، **وهو تزييف لسر المسيح والكنيسة** ـ "والسر" معناه شيء كان مخفي الى الآن ثم أُظهر، فهو يعني حقيقة روحية مختفية وغير ممكن اكتشافها بالعقل المجرد ولكن الوحي هو الذي يعلنها... وكما أن اتحاد المسيح بالكنيسة "هو سر عظيم" (أي حق روحي له أهميه خاصة كان مخفيا والآن أظهر) (اف ٥: ٣١ و ٣٢) فكذلك الكنيسة المتشبهة بالعالم التي أصبحت بذلك "زانية" هي أيضاً "سر" ـــ **أنها حقيقية روحية رمزية قد أُظهرت الآن:** فإن الاثم في هذه الزانية كان مضمراً يعمل في سرياً ولذلك فقد أطلق عليه الوحي "**سر الاثم**" الذي يعمل الآن إلى أن يظهر "إنسان الخطية" الوحش، الذي عندما تركبة هذه المرأه ينكشف سرها هذا ويرى مكتوباً على جبهتها بعد أن كان يعمل من قبل نسبياً وبحالة مخبؤة..!!

ما أبعد ذلك عن "سر التقوى" و "سر المسيح" و "سر الله" (١٠ : ٧)، أما سر هذه المرأه فنراه متمركزاً في روما فهي التي صلبت المسيح وأخربت أورشليم وشتت اليهود واضطهدت المسيحيين الاوائل في أزمنة وثنيتها كما أضطهدت المسيحيين البروتوستانت في عهدها البابوي، **ومن المنتظر إنها تعود الى مجدها الغابر ــ الذي كان لها في عهد القياصرة!!**

ومع أن أسم "بابل" قد أعطى في تمثال نبوخذ نصر الوارد ذكرة في دانيال ٢ للرأس أي نبوخذ نصر نفسه كما أن نفس السفر ــ دانيال ــ يقدم لنا لمحة عن العبادة البابلية في تمثال الذهب الذي أقامة نبوخذ نصر وكان عقاب التخلف عن عبادته الالقاء في أتون النار وأكمل بليشاصر ذلك بتدنيس أواني بيت الرب ــ **فلذلك نجد هنا أن نفس هذا الاسم "بابل" قد أعطي للزانية التي ستبلغ أوج مجدها في المملكة الرابعة الرومانية ــ ذات العشرة ممالك ــ وهي الجزء الاخير من التمثال!!**

ومن الغريب أن البابا بندكت الثالث عشر في يوبيل أحتفل به في عصره وصف روما بأنها: "أم كل المؤمنين وسيدة كل الكنائس" ــ وهذا وصف حقيقي يتطابق في مفهومة الصحيح مع ما جاء عنها من إنها "أم الزواني" لان ذلك لا يصف روما وحدها بل العالم المسيحي الأسمي ككل، مثلما تحولت اسرائيل الى "زانية"!

وهذا السر يتضمن اغتصاب المرأه الزانية هنا لمكان الكنيسة الحقيقية، وأنها غير خاضعة لاحد على خلاف عروس المسيح الخاضعه له ــ وهذا بالحقيقية سر لآن هذه المرأه: "التي أغتصبت مكان الكنيسة إذ كان يجب أن تقف للحق والنعمة ولكننا رأينا وشهدنا أنها قد صارت منبع وأصل وتجسيم كل ضلال وفساد وشر!!

أما المقطع الثاني من أسمها فهو "بابل العظيمة": ونحن قد عرفنا بأنها نظام هائل من الشر الروحي فهي عظيمة وشريرة مستعبدة شعب الله "ومدمرة هيكل الله" في سابق عهدها **إلا أن "بابل" زماننا فاقت بابل القديمة من الوجهة الروحية كثيراً** ــ فالأولى كانت مذنبة ، ولكن هذه الأخيرة أكثر ذنباً، **فإن فيها قد اجتمعت كل القوى التي تحاول أن تهدم الكنيسة قبل بلوغها مرحلة الاختطاف**، لذلك نراها أردأ شيء على الأرض، مما يلاحظ

أن الشيء الذي كان يجب أن تخجل منه نراها تفتخر به بل تضعه على جبهتها وهو "بابل العظيمة" دون أن تستشعر أنها بذلك "البلبلة العظمى" التي انتشرت في الأرض في شـــكل تشويش على الحق ومحاربته بالباطل ولكنها لم تشعر إلا بالفخر لأنها "العظيمة" دون وعي بما جعلها كذلك!!

هذا يأتي بنا إلى الوصف العام المنســوب اليهــا وهــو: "أم الزوانـــي ورجاســات الارض":

هذا يعني أن لها نسل كثير فهي "أم" وهي بذلك أصل ومنبع كل طريقة دينية منحرفة في العالم اذ إنها تجمع بذلك كل أشكال والوان وتعاليم وطقوس الزنى الروحي بما يستطيع الشيطان أن يجذب به الناس عن الله فإن جميعه نابع منها، ولذلك فإن ــ بابل العظيمـــة ــ في مشهدها الختامي هذا ستكون أردأ من بابل الأصلية منبع الوثنية والزنى الحرفي.

ولكن إذا كان الانسان الجسدي يعجب "ببابل الجديدة" هذه ويعجز عن اكتشاف صفاتها الحقيقية لجمالها الخارجي، فإن حقيقية حالتها لا تخفي عن الانسان الروحي!

أما وصفها: "بأم الزواني ورجاسات الارض" فنراه هنا في المعنى العام الشامل الذي لا يقتصر على البابوية وإن كانت تنحصر فيه ــ ونرى هنا ذلك بالأدلة الآتية:ــ

أولاً: أن هذا اللقب يرجع وجوده إلى بدء ظهور الوثنية على الارض ويقرنه بها:

وهذه هي الخاتمة التي نصل اليها بالضرورة من هذا الوصف المكتـــوب علـــى جبهتها، فهو يرجع وجودها إلى ما يسبق عصور الاباطرة والبابوات لأنـــه وصـــف يشمل كل الزواني ورجاسات الارض... وبجانب ذلك لنا هنا "أمومة الزوانـــي" أي الانظمة المرتدة عن الله في أنحاء كل الارض: فإن كانت روما الوثنية هي المقصودة هنا فإن الله في نظام مفرد فحسب، وكذلك الحال أن كانت روما البابوية ــ فإن كان الأمر كذلك فكأنه لا يوجد في الارض إلا رجاسات وزواني واحدة هي روما الوثنية أو البابوية ولا يكون لهذه الام نسلاً **ولكن وصفها بأم لها نســل إنمـــا هـــو تأكيـــد شمولها لأكثر من دائرة روما!!**

وأما الوحي فيسجل هنا عنها إنها هي نفسها الاصل المطلق للزواني والرجاسات، أي أن كل الزواني على مسرح الزمن وجدوا فيها تمثيلهم المبدئي باعتبارها "أمهم" جميعا.. وهذا يجعلها بداية جميع الانظمة والعبادات الكاذبة هي وبناتها المشاركين لها في الزنى الروحي.

ثانياً:وبحسب ذلك لنا في في ذات هذا الوصف لهذه المرأه ما يدل على الحالة الرديئة التي لها منذ بداية نظام العالم الحاضر: ــ **أن روما لم تكن أبداً "بابل"** في معنى "أم الزواني ورجاسات الارض" لنفس السبب الذي بدأنا به وهو أنها جاءت متأخرة في الزمن بل **أن بابل نبوخذ نصر نفسه** ليست هي "أم الزواني" كما أن مكان روما على الخريطة يجعل من المستحيل أن تكون هي "بابل" بعينها، أن الأمر يجب أن نعود فيه إلى وقت رسو الفلك على جبل أراراط حيث تبدأ هذه القصة وتلك الامومة:

هنا في تكوين ١٠ و ١١ **نجد أن بداية بابل حيث بدأت تحمل هذا اللقب : "أم الزواني ورجاسات الأرض"، هنا عند بداية مملكة "نمرود"** الذي تحت قيادته بدأ أول عصيان عام وعلني ضد الله وهو أساس كل الزنى والرجاسات التي ظهرت بين الجنس البشري على الارض.. **وهكذا كان "نمرود"** أول ملك مؤسس لكل سلطة إغتصابية في العالم بقوله لرعاياه: "هلم نبني برجا ومدينة رأسه بالسماء".

أما عن نشأه "سر بابل" فيبدو من التاريخ القديم انها بدأت "بسميراميس" زوجة نمرود والكاهنة الاولى للوثنية في بابل الذي جعلها "نمرود" أسم أو علامة للتحالف النمرودي الذي أنشأه: فلقد رتب للناس في عصره أن يكون لهم اسم أو علامة لذلك التحالف والاتحاد لتوحيد شعبه دون انقسام أو شتات، فلكي يتماسكوا جعل لهم علامة تميزهم ويفتخروا بها كمركز وتاج لوحدتهم وعظمتهم المتحدة!!

هذه العلامة قد اشتقت من الاسم سميراميس (آلهة الحمامة) وهي علامة على كل الأمراء الاشوريين وهي تمثل العشتاروث (فينيس) **وهكذا جعل نمرود إسم أو علامة التحالف في صورة زوجته وعلى رأسها حمامة ولها أجنحة مبسوطة كقرون القمر الجديد ومن الغريب أن هذه العبادة تسربت إلى مصر الفرعونية تحت أسم "أمون"** وبذلك

أصبحت منبع الوثنية في العالم مما يستتبعة انطباق هذا الوصف عليها انها "أم الزوانـــي" أي كل نظام وثني ظهر على الارض. فمن بابل انتشر هذا السر الديني في كل الشـــعوب المجاورة بمرور السنين، وفي كل مكان كانت الرمـــوز واحـــدة... **(أليس بغريـــب أن الشيطان يستخدم الحمامة رمز الروح القدس لشعب الله الحقيقي ليجعلها علامة توحيـــد وثنية للرافضين الله)**... ومن بين هذه الرموز صورة ملكة الســـموات التـــي وقـــع بنـــي اسرائيل في عبادتها وصنعوا كعكا لها (أر ٤٤: ١٧ ــ ١٩) وهي أمرأه بـــين ذراعيهـــا طفل... وقد تبع ذلك أشياء كثيرة كانت تفرض وتمارس بخلاف الاسرار الخاصة بالفئـــة المختارة، **وكان من بين ذلك التطهير المطهري بعد الموت، والخـــلاص بفـــرائض علـــى رأسها التحليل الذي يجريه الكاهن، ورش الماء المقدس، وتقديم كعك للملكة وتكـــريس عذارى للآلهة مما قدس الزنى فعلاً، والبكاء على تموز لمدة أربعين يوماً..!!**

وهكذا أقام "نمرود هذا النظام ضد الله وضد أوامره... فمنذ البداية لم يســـع نمـــرود فـــي تأسيس نظام فكرة حكومة جديدة فقط بل ومعها وجزء منها **أسس نظاما دينيا وثنيا هو والـــد الارتداد الديني في عالم ما بعد الطوفان** فلقد كان جبارا أمام الرب: أي أقوى متمرد، ليس لـــه مثيل في الارض كأن يدعو الناس لترك إله سام والابتعاد عن أحكامة: **ومن ثم أصبح نمـــرود مثلاً لكل شخص جريء في الشر والظلم**، لما كان عليه نمرود الأول في العصيان والخطيـــة قدام الله هكذا كان نمرود عثرة فهو لم يخف الله ولم يتردد في أن يقاوم الله في وجهه! وتقـــول سجلات العرب أن نمرود رأى تاجا ذهبيا في الجو وأنه وضعه على رأسه وادعى حكم كـــل الارض باسم أوريون أو الشمس! **فهو المؤسس لنظام جديد من الحكـــم أو الـــدين قصـــد أن يتحدى به السماء.**

فأسس حكومة وحشية مستبدة بحكمة وسياسة أرضية، وديانة أسرار أراد أن يمحي بهـــا ذكر الآله الحقيقي ليجعل الناس يسجدوا للأجرام السماوية والاصنام ولـــذلك فمـــن الخطـــأ أن نتصور بأن الوثنية نشأت عن نمو تدريجي بسوء الفهم البشري غير المســـتنير.. لقـــد كانـــت اختراعا لطموح متكبر ظالم يحارب وصايا الله وهكذا ظهرت لتقاوم مشيئته وعبادته الحقيقية.

لقد وضعت شهوة الجسد والعيون وتعظم المعيشة مكان الخالق، وعبدت القـــوة ــ وهكذا بدأت في بابل القديمة وفي ملكها الاول الذي يعتبره اليونان والرومان بين الهـــتهم

كالقوة الموجهة الشافية والمحيية، ومن الغريب أن الاشكال الوثنية كلها مهما كان نطاقها يبدو أن لها منبعاً واحداً ولذلك فإنها تتشابه مع تعديلات بسيطة عن اختراعها الأول، وكلها ترجع إلى ما أسسه "نمرود" ليهزم مقاصد اله نوح، وقد فشلت خطته ولكن الأشياء الجديدة الساحرة التي علم بها نمرود لم تفقد **بل عادت للظهور في كل مظهر جديد مولودة شبها بأمها الأصلية ــ ومهما جاءت بتغيرات أو أضافات في كل العصور فهي لازالت شبه أمها القديمة القوية والمعروفة "ببابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الارض"ــ وهكذا نرى "سر بابل" كحالة سارت مع الزمن في كل العصور ابتداء من برج بابل!**

ثالثاً: قيل عنها هنا أن سكان الارض سكروا من خمر زناها ــ هذا لا يصدق على روما انحصاريا أذ أنه يعني اتساعا يشمل كل الأرض لا دائرة روما فقط، مما يتضح منه أن الزانية ليست روما وحدها ولكنها كل كنيسة ليس لها فكر المسيح وروحه.. إنها في الواقع وبصفة أصلية المسيحية الشكلية المنقسمة الى العديد من المذاهب ــ إنها حقا بابل أي التشويش والفوضى وكذلك ما يماثلها في سائر الديانات والعبادات!!

وواضح أن سكان الارض معناها شعوب أو أجيال قبل روما حيث كان الخمر في الزنى البابلي من علامات العبادة الوثنية والتهيج الجسدي ضد إعلانات الرب، وأننا لا نزال نراه إلى يومنا هذا بين شعوب الأرض في كل مملكة وأمة تحت الشمس مؤثرا ومتحكما في تفكيرهم وسياستهم وعبادتهم: **وتبين الاحصائيات بأنه ليس أقل من ثلثي العالم وثنيين إلى يومنا هذا، تحت خمر نمرود القديم، بينما جزءاً آخر كبير منهم يعتنق مباديء ضد الايمان المسيحي** ــ فلا يوجد مكان في أي جزء في العالم لا تظهر فيه إلى حد ما روح وعصيان نمرود ــ أن كل ملوك الارض قد اشتركوا بنسبة ما في زنى بابل الزانية ونجسوا كل بقعة في العالم، رغم أن الله وضع ختم غضبه عليها منذ البداية.. أن هذا الزنى الروحي الذي انتشر فشمل كافة المذاهب والطوائف عامة ــ رغم الاعتراف بالاله الواحد ــ هو من جوهر ذلك الزنى القديم الذي ظهر على شواطئ الفرات في بابل أنها بابل القديمة عينها وبناتها الزواني يحكمن ويتسلطن على الارض ويسكرن سكانها بخمر زناهم ــ أن الكأس المقدمة ذهبية ــ أي أنه أمام القلب الجسدي والتصور الشهواني ديانات العالم وتقدمها شيء لامع وجذاب ويظن أن فيه ملء البركة والصلاح:

ولكن في تلك الكأس اللامعة لا يوجد غير ما هو رجس ونجس: **الكأس واحدة تكشف عن أن كل الانظمة المختلفة للعبادة الكاذبه في عالمنا هي من نفس الجوهر الواحد وهو زنى بابل القديمة** ــ أنه شيء مباشر في صميم الوثنية ولكنه موجود أيضاً في سائر الديانات والهرطقات بما في ذلك الانقسامات التي شوهت مسيحيتنا البروتستانتية!!

رابعاً: هذه المرأه أيضاً رأها الرائي سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع، وقد وجد فيها دم أنبياء وقديسين وكل الشهداء:

هذا برهان قاطع على أن بابل هذه ليست هي روما فقط لأن كل الانبياء ماتوا قبل ظهور روما بمئات السنين، وألوف الألوف من شعب الله الحقيقي استشهدوا قبل ظهور روما ــ فهذه المرأه أذاً ليست روما الوثنية وحدها لأن الأنبياء ماتوا وذهبوا قبل ظهور القياصرة، وكثيرون من الشهداء وجدوا قبل روما كليه ــ **وإن كانت السلطة البابوية سكرت بدم شهود يسوع ولكن لا يمكن اتهامها بقيامها بسفك دم كل الشهداء الذين سفك دمهم على الأرض** ولكن من المؤكد بدون نقاش أن اضطهاد وذبح القديسين والأنبياء وشهود الله الذي حدث على الأرض في الماضي والحاضر هو موضع اتهام هذه المملكة الرمزية "بابل" المكونة من الوثنيين والدينيين المزيفين!!

فإن اضطهاد شعب الله أو أنبيائه هو في ذاته علامة على الزنى الروحي وهو يظهر البعد عن الله وعن عبادته الحقيقية! وحيثما يوجد قديسين يُضحى بهم لاجل ايمانهم، فهناك الزانية العظيمة موجودة وعاملة بقوة وقد يدخل في نطاقها بروتستانت وكاثوليك على السواء.. **إنها روح نمرود القديم عائدة للظهورولا شك أن هذا منظر مرعب فقد تعجب له الرائي كثيراً**، وفي الواقع لسنا نقصد بما قلناه تبرئة روما، فإنها جزء من بابل لا يستهان به، ولا غرابة فيما قامت به في العصور الوسطى ضد شهداء يسوع عندما سفكت دمائهم لأن الشيطان استخدمها ــ كأسد مزمجر ضدهم ــ ولكن العجب كل العجب أن نرى هذه المرأه تعود إلى الظهور تحت "شكل كنيسة" في أخر أيامها **وهي بنفسها تسفك دماء القديسين وشهداء يسوع وخاصة في ضيق النصف الأول من الاسبوع الأخير!** وكأنه لم يكفها ما أتت به في العصور الوسطى من صكوك الغفران إلى القتل والسجن

والتشريد للقديسين بوسائل جهنمية ــ فإنها ستضيف إلى ذلك **ما ستفعله من وراء الستار عندما تجلس على الوحش وتستخدمة لتشن به حرباً على القديسين وتغلبهم في النصف الأول من الأسبوع!!**

إذ أنها ستكون سيدة على الوحش للقتل والتشريد وستكون كل قوات عصرها في يدها تستخدمها كما تشاء... ومن وراء هذه الأحداث نرى الزانية هي العاملة فإنها غطت بذلك على كل إجرام وقسوة جميع القوى الدينية السابقة التي مارست الاضطاد (مت ٢٣ : ٣٥) فتاريخها الأسود كل صفحه فيه مختوم بدم القديسين ــ وطبعاً لا يوجد ما هو أشد هــولاً وقساوة ونجاسة من ذلك!

خامساً: ثم أنه من أوصاف هذه المرأه إنها جالسة على مياه كثيرة وتفسيرها هــو أنها شعوب وأمم وآلسنة: وواضح أننا نجد هنا اتساع وتعميم لهذه المياه الرمزية ممــا لا يتفق مع السلطان البابوي. فرغم أن البابوية تسيطر على الأمم والشــعوب بوجــه عــام، وحتى بالنسبة الى روما الوثنية لم يكن للقياصرة سلطان مطلق على كل الشعوب.. إلا أن هذا الوصف بمعناه الدقيق ينطبق على مجموعات هائلة من سكان الارض لــيس لــزمن واحد فقط بل لكل الازمان منذ وجدت الامم!!

فلا يمكن أن نفهم هذه الزانية الرمزية سوى إنها كل الكيان المنظم البعيد عن الله سواء في الوثنية أو الديانات المختلطة أو الارتداد الروحي، الأمر الذي نجده في كل زمان ومكــان بين كافة الامم والشعوب والألسنة، وهذا هو مركز ومعتمد هذه الزانية! ففــي كــل الأوقــات نراها جالسة على كل شعب وأمة ولسان منذ أن وجدت الألسنة وانقسمت الشعوب...!

انها ليست امبراطورية حتى تحسب بإنها روما بأكثر مما أنها ليست الكنيسة كــذلك ولو في شكلها المرتد.. أنها تركب على امبراطوريات وملوك وتديرهم، ولكنها هي نفسها ليست واحدة منهم ولو أنها فوقهم جميعاً وهي تسحرهم وتحكمهم ليس بأزمة الحكــم بــل بخمر زناها. **ثم أن هذه المرأه عاشت أكثر من سائر الإمبراطوريــات: بــدأت بنمــرود وحملت أسم بابل، ولكنها لن تفنى إلا وقت الدينونة العظيمة في نهايــة هــذا الــدهر...** وبينما نحن نقشعر من أعمال وبواعث الأنظمة الدينية الخالية من معرفة المسيح **إلا أننــا**

في نفس الوقت نريد أن نقدم الأشخاص الذين هم داخل هذه الأنظمة للطريق الوحيد لله وهو يسوع المسيح نفسه!!

من هذا السر انفصل ابراهيم بالدعوة الالهية منذ آلاف السنين ومن بعده أمته، وتأسست مملكة اسرائيل إلى أن ظهرت إيزابيل الأميرة الفينيقية وطمست ديانه يهوه بالوثنية أيام أخاب وكانت سبب سبيهم في النهاية!

وعندما جاء المسيح كانت العبادة البابلية في كل مكان فيما عدا حيث كان حق الله معروفاً ومقبولاً!!

وعندما شرع المسيحيون الأوائل مهمتهم العظمى وهي حمل الانجيل إلى أقصى الأرض وجدوا أنفسهم في كل مكان مواجهين بهذا النظام بشكل أو بأخر **لأنه مع أن بابل كمدينة أنتهت ولم تعد باقية سوى في الذاكرة، إلا أن أسرارها لم تمت معها..** وعندما تدمرت المدينة وهياكلها هرب رئيس الكهنة وفئة مختارة من المقربين إلى برغامس حيث أقيم رمز الحية عنواناً للحكمة المخفية (هنا حيث سكن الشيطان مبدئياً) ومن هناك عبروا البحر وهاجروا إلى إيطاليا، وأخيراً صارت روما مركزاً للبابلية، وقد حمل أباطرتها بعد قبولهم المسيحية لقب مزدوج تضمن أنه رأس الكنيسة ورئيس كهنة الوثنية وذلك منذ أيام قسطنتين، وانتقل اللقب فيما بعد وهو Pontfex Maximus الى أساقفة **روما وهو لقب يحمله البابا إلى اليوم مما ينفي عنه خلافة بطرس الصياد ويجعله الخليفة المباشر لرئيس كهنة الأسرار البابلية، خادم الإله السمكة "داجون" الذي لاجله يلبس كسابقيه خاتم الصياد!** وهكذا نرى كيف أن سر بابل يمثل حدثاً تاريخياً فريداً في نوعه قد سار مع الزمن إلى نهايته عند معركة هرمجدون قبيل ظهور الرب! ومع أنه ليس من السهل فصل الإنسان عن عقائده لأن هذا ضد الطبيعة البشرية ولكننا لا نستطيع ذلك لوحدنا. إنما المسيح فقط عاملاً في كل سجياتنا يستطيع أن يعطينا حناناً ومحبة لما ميزناه نحن كغير محبوب ومحتقر من مجموع البابليين!!

***

الفصل السابع والعشرون

البابليتان الدينية والتجارية

"ثم قال لي المياة التي رأيت حيث الزانية جالسة هي شعوب وجموع وأمم وألسنة" (رؤ ١٧: ١٥)

"لأن تجارك كانوا عظماء الأرض إذ بسحرك ضلت جميع الأمم" (رؤ١٨: ٢٣)

اجتماع الدين والدنيا:

ومن الغريب أن بابل لكي تكون تجربة شاملة للساكنين على الأرض، قد جمعت في نطاقها الدنيا والدين معاً فأصبحت ثنائية أي بابلتين لا واحدة أحداهما دينية والأخرى دنيوية!

وقد سبق أن تقابلنا مع إمرأتين رآهما زكريا النبي تحملان الإيفة التي بداخلها أمرأة أخرى (تمثل الشر) وقد رفعتاها بين الارض والسماء، واستطعنا أن ندرك بأنهما قد تمثلان البابليتن الدينية والتجارية الوارد ذكرهما في النصوص الواردة أعلاه!!

وهناك من يرى الاتفاق بين البابلتين من اشتراك الملوك والتجار في بنائها باعتبارها ليس فقط مركز ديني هام بل وتجاري أيضاً فإن هاتين المرأتين أنما تقابلان "سر الاثم" أي الفجور وعدم التقوى الذي يعمل الآن في الارتداد بالتحول إلى الأرضيات وذلك واضح من تحريكهما عملياتهما إلى أرض شنعار (بابل) وذلك بغاية السرعة!

وبكل تأكيد فإن روح بابل قد أمتدت باقتدار وهي تظهر بوضوح في الحريات المطلقة كما في الستار الحديدي المعاكس لها، وكذلك في الاكتشافات الحديثة بأنواعها وما يرتبط

بها من أشياء **ولكن بالرغم من نمو شر بابل في هذه الأيام الأخيرة نمواً متزايداً إلا أنها لن تنتصر لأن الله سيجعل نهاية لكل شرها وذلك بأقصى سرعة عند استفحالة!!**

هذه حقائق رهيبة بلا شك ولكننا في أشد الحاجة أن ننسبها إليها لأن بها يتقرر المصير من قبل الله!

أن أول طريق بابل هو التملك والتحول إلى امتلاك الأرض والاستقرار فيها، لقد كانت هذه أول علامة من معالم "بابل" أنها تبدو في السعي نحو الحضارات وتأسيس المدينة على الأرض ــ وليس العيب في الحضارة نفسها ولا المدينة وليس هو في الاستفادة من وسائل التمدن بل هو في هذا التحول إلى الأرضيات كلية **ومن أسف ما أكثر عدد الذين يستخدمون الدين لأجل هذا المأرب وهذه مهزلة رخيصة لأنها لا تعتمل بتغير ما في داخل النفوس** ــ ما أكثر انتشار هذه الظاهرة (اجتماع الدين والدنيا) **فإن هناك فئات تريد أن يكون نصيبها على الأرض وتجد نفسها في السماء فيما بعد ــ هذا استغفال وإنما هو لأنفسهم فقط وهو مخالف للقول بأن** لا ذكر للأرض التي خرجوا منها ــ كما وصف بذلك شعب الله ــ حتى لا تكون لهم فرصة للرجوع ــ هذه روح بابل المساومة حيث تجتمع الاضداد وتختلط معاً...

هذا هو قايين الاقتناء وينتهي في هابيل البخار! عندما اتجهوا شرقاً إلى أرض شنعار حيث أقاموا بابل يصف الوحي حالتهم بالقول: "**وسكنوا هناك**" ويعود الكتاب فيصنف هذا الصنف حالياً "**بالساكنين على الارض**" (رؤيا ١٣ : ١٤)!!

صفة بابل الدينية:

بحسب أكتمال الاعلان عن "بابل" بما جاء هنا في سفر الرؤيا، فإن "بابل" تمثل النظام الديني الفاسد الذي ينتشر في كل الأرض ــ أنه كل نظام ديني يحمل نواة التمرد والعصيان على الله وذلك بسبب مقاومة روح الله وعدم التسليم له **أنها هنا تعبير للدياثة العالمية الواحدة التي ستشمل العالم كلة زمان الوحش فيما عدا الأمناء وسيستخدمها الوحش إلى حين ما يتأله ثم ينقلب عليها من بعد أن يظهر نفسه إلهاً مكان الله!!**

وقد يحدث ارتداداً ما في البعض حتى داخل الكنائس الروحية **وتأثير بابل في ارتداد العالم الديني واضح تماماً بما نراه فيه من جمود التقليد وشكلية التنظيم واللامبالاة العصرية**

ـ **أنها حالة رهيبة قد غطت كل الأرض**، ويبدو منها أن بابل قد أنتصرت ولكن مهلاً فإن ذلك إلى حين، فإن قضائها مسرع للغاية!

فإن نبوات أشعياء وأرميا تخبرنا عن هلاك "بابل التاريخية"، وأما سفر الرؤيا فيرينا نهاية "بابل السرية" بكل وضوح، لأنه بعد سقوط بابل في التاريخ استمرت ديانة بابل كنظام ديني معارض لديانة الحق الإلهي إلى يومنا هذا!

ومع أن شعب بابل قد تشتت بحكم الضرورة إلا أن بذار الشر التي زرعتها بابل نمت ـ والكتابات القديمة مملوءة بقصص انتشار الديانة البابلية الملعونة...

ولقد كان ذلك هو السبب في دعوة إبراهيم ليترك بيته وأرض ميلادة (حيث أنتشرت البابلية) ويرتحل إلى كنعان.. لينشيء به ويثبت ديانة الحق القائمة على الإعلان الإلهي..

ومع ذلك ففي مجرى التاريخ خضع اسرائيل وشعب الله القديم ـ لعبادة بابل الوثنية وعبدوا آلهة أخرى وخاصة أثناء حكم أخاب وأيزابيل، وانتصرت الديانة البابلية لدرجة أن عبادة الرب صارت محرّمة، وكان ذلك سبب تأديب الرب لهم بحملهم إلى السبي!!

وقد أمتدت هذه الحالة إلى الكنيسة فيما بعد، فإنها بوصفها "الكنيسة الجامعة" ـ بحسب ما ورد في قوانين ايمان الكنائس التقليدية، وهي الترجمة الحرفية لكلمة "الكاثوليكية" ـ إلا أنها ليست جامعة لجميع المؤمنين، لأنها ليست "أورشليم العليا" الموصوفة هكذا في **أشعياء ٥٤: ١** "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من ذات البعل قال الرب" وهو ما يقتبسه القديس بولس الرسول في **غلاطية ٤: ٢٧** مع تفسير طفيف إذ يقول: "أفرحي... أهتفي وأصرخي فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج" وذلك تعقيباً على قوله: "وأما **أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرة**" وأما الجامعة التي هي الكاثوليكية **فإنها الجامعة التقليدية ـ فهي التي لبابل المدينة السفلى مركز الارتداد الديني الذي تصفه سفر الرؤيا "بالزنى" وهو "الزنى الروحي" أي التحول عن الله!** فإنها ظاهرياً تحاول تمسيح العالم ، ولكنها قد سمحت لنفسها أن يضلها العالم... وهي التي تمثلت في "ايزابيل" كنيسة ثياتيرا بحسب الدور الذي شغلته وحكمت فيه في عصر العهد الجديد!

ومن عجب أن **الإصلاح** الذي قام ليواجه هذه الزانية بنور الاعلان فكشف بـــه عـــن طبيعتها في كونها "سر الاثم" و"المرأة" التي رآها زكريا تُحمل إلى بابل، **هو نفسه أي هذا الاصلاح أصيب بنكسة وهي الموصوفة في رسالة الرب لكنيسة ســاردس ممــا جعــل البروتوستانتية في مجموعها ــ فيما عدا فئات قليلة أمينة ــ ترجع عن مبادئها وتــدخل في نطاق بابل متمثلة في بنات بابل الزانية التي أمهم جميعاً، إثباتاً بأن كــل مــنهن قــد أخذت روح أمها وهن المقصودات "بالنساء" اللواتي رفضت الباكورة أن تتنجس معهــن!** وهكذا جمعت بابل الدينية الكنيسة الإسمية التقليدية مع طوائف البروتوستانتية المرتدة إلـــى جانب العبادات الوثنية وكل عبادة تخالف نور الحق المعلن من الله! **وهكذا وجدنا كثيرون من البروتستانت يشتهون العودة إلى كنائس التقليد مع ما في ذلك من خطورة متناهيــة:** فإن الرجوع إلى بابل السرية ستعني المشاركة في دينوناتها التي توشك أن تقع عليها!!

وهكذا أصبح لها الطابع المسكوني الذي يشمل كل الارض وذلــك بحكــم امتــدادها الخارجي إلى كل العالم. والواقع فإن "إسم بابل" من الوجهة الدينية لم يتغير بل أخذ معنـــى جديد ــ فإنه أصلاً هو "باب الله" ولكنه تحول إلى "تشويش"، وهذا يمثل حقيقة أن الكائنات البشرية لا تزال تبحث عن الله ولكن بحثها هذا عبث وباطل بسبب عدم إخلاصها. **أنهــم لازالوا يقنعون أنفسهم بأنهم إنما ينتظرون الوصول لله، ولكن بابل صارت بالنسبة لهــم "تشويش" ــ أنها الآن مجموع الأنظمة الدينية التي ابتعدت عن الحق بواسطة تحريفهــا لإعلان الله النقي!**

ومن ذلك الحين وبابل تمثل مجموع الديانة الكاذبة الموجودة على الأرض ــ أنها البديل بديل الشيطان وتزيفه للمسيحية الحقيقية. يراد بها محو ذكر الإله الحقيقي ونشر الضــلال فــي المسكونة وهكذا نرى كيف أن بابل الدينية كانت مصدر العبادة الوثنية التي افسدت كل العــالم لأنها بدلاً من عبادة الله، صارت هذه العبادة آله تحت قوة العدو وتأثيره!

بابل الأخرى التجارية:

منذ أن ظهرت بابل في الوجود وهي تجسيم لروح ضد المسيحية سواء في ذلــك عــن طريق "بابل السرية" التي تمثل الجانب الديني، وكذلك "بابل التجارية"، وهما عاملتان معاً منذ البداية بفعل قد تزايد في عصر الكنيسة وبالأكثر في يومنا هذا.

وليس بغريب أن الله يريد من شعبه أن يفصلوا أنفسهم عن نظام بابل الفاسد الذي رأيناه يتميز في الجانب الديني "بالزنى"، وهذا أمر طبيعي عندما نرى هذه المرأة الزانية جالسة على الوحش القرمزي (رؤيا ١٧)، **ونفهم مما ورد بعد ذلك عنها وهو الموصوف بالقول: "ويبكي عليها تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضائعهم لا يشتريها أحد فيما بعد، بضائع من الذهب والفضة والحجارة الكريمة واللؤلؤ والبز والأرجوان والحرير والقرمز وكل عود ثينى وكل أناء من العاج، وكل أناء من أثمن الخشب والنحاس والحديد والمرمر وقرفة وبخورا وطيباً ولباناً وخمراً وزيتاً وسميذاً وحنطة وبهائم وغنماً وخيلاً ومركبات وأجساد ونفوس الناس"** (رؤ ١٨: ١١ ــ ١٣) تجار هذه الأشياء الذين استغنوا منها سيقفون من بعيد من أجل خوف عذابها يبكون وينوحون(ع ١٥)

وكل هذا يكشف أنها جعلت "الدين (والتقوى الظاهرية بالنسبة لها) تجارة" (مُكسبة بالطبع) ومن النصوص نراها واسعة المدى وشاملة لدرجة المتاجرة في أجساد الناس (أعراضهم) ونفوسهم (أرواحهم الخالدة) وهنا التجار يبكون وينوحون عليها وكذلك الربابنة وكل من في السفن والملاحون وجميع عمال البحر هم أيضاً صرخوا باكين وناحين، لأن جميع اللذين لهم سفن في البحر استغنوا من نفائسها والإشارة تمتد إلى الصناعات والزيجات وكل أنواع الموسيقى الضاربين بالقيثارة والمغنيين والمزمرين والنافخين بالأبواق ــ **هذا يبين سعة معاملاتها ومقدار نشاطها التجاري والاجتماعي الذي يبدو أنه بلغ الذروة..**

وهذا ما وصلت إليه حالات التدين المزيف عند اجتماعها معاً، فإنها تهتم بالموارد والأرصدة والذخائر والنفائس محاولة بذلك أن تجعل حركة التجارة العالمية في يدها.. وقد بلغت في ذلك شأناً مرموقاً... لم يقف عند حد استسلام العامة من البشر لها، بل عظماء البشر من التجار، لدرجة انحنت لها تيجان الملوك أيضاً ــ وهكذا بسطت نفوذها العالمي على كل شعوب الأرض على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم: حتى أن اسم "بابل" لم يعد مقصوراً عليها وحدها بل أصبح يطلق على كل الأرض أي أصبحت طابع للمسكونة كلها، وذلك ليس من الارتباط الديني فقط بل والقدرة على التكسب لأجل جمع كل مجد العالم في نطاقها!!

لكن لا يزال الإيمان الحقيقي يواجه الموقف بالاكتفاء قارنين القناعة بالتقوى معتبرين إياها تجارة عظيمة ولا شك أن العيشة المتواضعة مع بركة الله أفضل بكثير من

أن يصاد المرء في شباك "بابل التجارية"! ولذلك فإن الله يدعو شعبه للخروج من كل من "بابل السرية (الدينية)" كما من "بابل العلنية (التجارية) أيضاً..."

فإن تحكم بابل في الاسواق والتجارة والمقررات أمر قد بـدأ فـي الظهـور أيامنـا الحاضرة، يؤكده تطور ظهور "السوق الأوربية" وظهور الاتحاد الأوربي من بعدها، وذلك في أعقاب ظهور "حلف الاطلنطي" الذي هو مقدمة لظهور الوحش بقرونه العشرة، أي أن كل من البابلتين: "الدينية والتجارية" موجودتان بنفس هذا المدى مـن الـزمن أى خـلال العصور كلها! **وهما باقيتان معاً تجمعان التغيرات السياسية والاقتصادية للعالم أجمع إلى وقت النهاية حين يتم تدمير هذا النظام البابلي بشقيه دينياً ودنيوياً**، وتصير الأرض كلها للرب وتتم فيه هذه النبؤة الواردة في (زكريا ١٤: ٩) القائلة: **"ويكون الرب ملكاً على كـل الارض في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده"!!**

ولا شك أن العالم اليوم تحت قبضة البابلتين وقد اتجه بفعلهما بل بسحرهما نحو الارتـداد الأخير ولابد أن السماء تقابل ذلك بالإنذار الأخير الذي سيذيعه ملاك البشارة الأبدية!!

ونعلم من ذلك يقيناً أن هناك هيمنة لله على جميع الكائنات وبالتـالي علـى النـاس والشعوب ــ وهي سيطرة قائمة دائمة ولو أنها تبدو خفية غير منظورة الأن بخلاف مـا ستكون عليه فيما بعد!!.

نعم أن المعركة التي يواجهها الله مع الباطل والشر قاسـية محاطـة بـالغموض وإساءات الفُهم، ولكنه كفء لهذه المعركة ويستطيع أن يواجه الموقف، **وبعد تمسـكه بالصبر الطويل لابد أن ينتصر في النهاية وسيحتفل بانتصاره ــ الذي يعتبر الانتصار الحقيقي الوحيد** ــ لأن التاريخ وهو يسير في مجراه ويتقدم نحو النهاية سوف يخـتم هذا الجيل بأشد الكوارث وأقساها، **إلا أنه التاريخ رغم ذلك سيدخل في خاتمة النهاية ملكوت المجد بفعل الاستعلان والظهور لتصفية الموقف الحاضر (المعلـق) وكشـف الأمور على حقيقتها وإنهاء بابل بكافة صورها واشـكالها واسـتبعاد مـن تبعوهـا وحملوا أسمها وأشتركوا في خطاياها دون اكتراث بالنتائج!!**

ومن المعلوم أن بابل كانت هي الأرض التي كان شعب الله مسبياً فيها، ونفس الحالة قائمة الأن، فإنها كانت أيضاً المملكة التي كان لها قوة عالمية عظمـى والتـي أنتشـرت ومدت سلطانها على كل الأمم ــ وأخيراً فإن بابل هي أيضاً الجزء من العالم الذي جمـع فيه الشيطان كل الشر معاً في كومة واحدة!!

ولكننا لا يجب أن نتراجع في خوف بسبب قوة وشر الأمم فإن الدينونة التي نفذت في بابل حينئذ ستحدث قريباً في مقياس أكبر عند ظهور المسيح واستعلان ملكوته! مع ملائكة قوته وقديسيه بحسب نبوات عديدة في العهدين مبدأها ما تنبأ به أخنوخ ــ السابع مــن أدم ــ بقوله "**هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجورهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التــي تكلم بها عليه خطاة فجار**" (يه ١٤و١٥)!!

وهذا نفس ما يقوله زكريا النبي في أصحاح ١٤: ٥ ونصه: "وتهربون فــي جــواء جبالي لأن جواء الجبال يصل إلى آصل وتهربون كما هربتم من الزلزلة في أيــام عزيــا ملك يهوذا **ويأتي الرب الهي وجميع القديسين معك**".

السقوط على دفعتين:

واضح من النصوص الواردة في سفر الرؤيا أن لكل من البابلتين الدينية والتجاريــة سقوط خاص، ومن ثم فإن سقوط بابل لا يتم مرة واحدة وأنما يحدث على دفعتين. ونــرى في الدفعة الأولى **صوت ابن الله** هذا الكائن المجيد الذي يصدر عنه هذه الكلمــات بقــوة هائلة **وذلك بحسب النص الوارد بشأنها وهو: "وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلاً ســقطت سقطت بابل العظيمة"** (رؤيا ١٨: ٢) وعبارته هذه ليست خبرية بل وصفيه لما ســيحدث حينئذ، فإن هذه الكلمات هي التي ستسقط بابل فعلاً وتجعلها مسكناً لشياطين ومحرساً لكل روح نجس ولكل طائر نجس وممقوت.!!"

ولقد جاء هذا الصوت بعد صوت أخر سبقه وذلك بحسب النص الوارد فــي "١٤: ٨ **ثم تبعه ملاك آخر قائلاً سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة** لانها سقت جميع الأمم مــن خمر غضب زناها" . وبجانب تكرار النداء **نجد تكرار كلمة "ســقطت" وهــذا يبــين أن سقوطها أنما هو على دفعتين دينياً كسر هو "سر الأثم" ومدنياً كنظام (أي كروح العبــادة الضالة الذي هو الزنى الروحي)، وأيضاً كمدينة يتجسم فيها نظام هذا السر!!**

وسيستخدم الرب في سقوطها الأول الوحش وملوكه ولكنها بعد سقوطها الديني لا تزال قائمة كمدينة وتفتخر كملكة وتدعّي لنفسها الخلود والمجد العالمي!

ولكن هيهات فإن غيوم الدينونة قد تجمعت لتنزل الضربات عليها لانهائها ـ وستظهر قوتها أنها لا شيء أمام قوة الرب الذي سيدينها، لأن الرب الذي يدينها هو القوي...!

يا قوم استفيقوا فإن "بابل" استفحل أمرها وخطرها ودفعت بالكثيرين إلى الرفاهية المقترنة بالزنى الروحي، وبالتالي فإن غضب الله معلن من السماء على حالة بابل هذه لأن الله لن يقف مكتوف اليدين ومن ثم فإن الانتقام منها أمر قريب ومحتوم!!

***

الفصل الثامن والعشرون

"النداء الأخير للخروج من بابل"

"ثم سمعت صوتاً آخر من السماء قائلاً أخرجوا منها (من بابل) يا شعبي لئلا تشتركوا في خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها لأن خطاياها لحقت السماء وتذكر الله آثامها... من أجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها لأن الرب الاله الذي يدينها قوي(رؤ١٨: ٤ ــ ٨)

مبدأ الاعتزال:

هنا في ختام نهاية تأملاتنا في موضوع "الخروج من بابل" نسمع صوتاً من السماء ينادي بذلك ويحذر من البقاء فيها يقول سويت بأن هذه الدعوة للخروج ترن خلال التاريخ المقدس كله فإن الله يدعوا شعبه دائماً بأن يقطعوا علاقاتهم بما هو خاطيء وأن يخرجوا ليقفوا معه ولأجله!

"أخرج" كانت هذه صرخة دوت عند بدء التاريخ اليهودي نفسه، **إنها الدعوة التي جاءت لابراهيم قائلة: "أخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك"** (تك ١٢ : ١) وكانت هذه الدعوة التي جاءت **للوط** قبل خراب سدوم وعمورة **"أخرج من المكان لأننا مهلكان هذا المكان"** (تك ١٩: ١٢ ، ١٣)، **أنها الدعوة التي جاءت لموسى من الرب في**

القول: "**كلم الجماعة قائلاً أطلعوا** من حوالي (**أخرجوا**) مسكن قورح وداثان وأبيرام" (عدد ١٦ : ٢٣).

أنها نفس الصرخة التي نجد صداها في العهد الجديد فقد جاءت وصفاً لما عمله المسيح في القول: "**لأن يسوع أعتزل** إذ كان في الموضع جمع" (يو ٥ : ١٣)، وقد وردت في شكل تحذير للمؤمنين في رسالة كورنثوس الثانية ٦ : ١٧ في القول: "**لذلك أخرجوا من وسطهم وأعتزلوا يقول الرب** ولا تمسوا نجساً فأقبلكم" كما ورد في قول الرسول لتيموثاوس: "ولا تشترك في خطايا الآخرين" (١تي ٥ : ٢٢)، وفي رسالة العبرانيين ١٣ : ١٣ "**فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره**"...

فلا غرابة أن جاء هذا النداء الاخير بعد الإعلان عن سقوط بابل يتضمن نفس المعنى وذلك واضح من نصه القائل: "**أخرجوا منها يا شعبي**" (رؤ ١٨ : ٤)

ومن ثم فإن هذه الصرخة المثيرة تتضمن "الانفصال المسيحي" أن معنى كلمة "قداسة" وهي أبرز وصف للمسيحي في العهد الجديد هو "الانفصال والاختلاف عن العالم" فالمسيحي لم يعد شخصاً متشبهاً بالعالم آخذاً شكله لأن شكله نفسه قد تغير بعد أن أختار العيشة لله وخدمته، والمسأله في الواقع ليست مجرد نبذ العالم وهجره بل أن نحيا حياة مختلفة عنوانها الأمانة والإتقان ــ أن أبراز الفرق هنا وشرحه هو الذي يعمل على جذب الأخرين وتجديدهم... **ولذلك فإن الدعوة بالخروج من بابل لا تزال تقدم لكل واحد من شعب الله إن كان من هذا الشعب حقاً!!**

دعوة الخروج هي نداء متكرر:

إن هذه الدعوة "للخروج من بابل" هي نداء متكرر يؤكد "مبدأ الاعتزال"، **وواضح منها أن لله شعب في داخل بابل ولكنهم في خطر عظيم وأمنهم الوحيد هو في الخروج منها فوراً** ــ هكذا الحال أيضاً بالنسبة لكل كنيسة مشابهة للعالم، **أذ أن هناك جزء بل أجزاء من الكنيسة الحقيقية** ــ غير المنظورة ــ **داخل بابل** ــ وهم أذا أرادوا أن يكونوا في أمان يجب خروجهم منها وخاصة على حافة ادانة الله للمسيحية

المرتدة مثلما أخرج **لوط** من سدوم قبيل تدميرها **واسرائيل** من بين خيام قورح وفريقه قبل أن تنشق الأرض وتبتلعهم، وكذلك خرج **المسيحيون الأول** من أورشليم عندما دينت اليهودية المرتدة... !

واليوم تقدم الدعوة للعذراء العفيفة ــ عروس المسيح ــ للخروج من بابل كمرحلة ختامية تختم على خطية البقاء في بابل، وهذه الدعوة الثابته على مدى التاريخ تزداد أهميتها في زمن النهاية هذا، الذي فيه تكون الدينونة وشيكة الوقوع على المسيحية الاسمية المكني عنها "ببابل" ــ هذه التي لا أمل في تجديدها فلا ينتظرها غير التدمير ومن ثم فإنها لابد أن تواجه نيران الاضطهاد والحريق من قبل "الوحش وملوكه العشرة الذي وضع الله في قلوبهم أن يصنعوا ذلك حسب رأيه" (رؤ ١٧ : ١٧).

لذلك فإن الأمر بعدم الاشتراك في خطايا الآخرين أمر مهم للغاية يستلزم قطع كل شركة أو أشتراك في خطايا الغير ــ **هكذا النداء هنا قائم على تحذير للموجودين في بابل بعد وهو: "لئلا تشتركوا في خطاياها فتأخذوا من ضرباتها"**، مثلما حدث لأمرأة لوط بالتباطؤ الذي جعلها قريبة من سدوم المدينة المقضي عليها فتحولت إلى عمود ملح إذ لحقها أثر من آثار ما أمطر الرب به على سدوم وعمورة... والسيد يستخدمها مثلاً للتحذير بقوله: "اذكروا إمرأة لوط" (لو ١٧ : ٣٢).

ويعقب أحدهم بالقول: "أن مثل هذه الدينونة الرهيبة التي تنتظر بابل تتناسب مع جرائمها، **لأن الأمر لا يستلزم أننا نوجد في بابل وقت سقوطها لكي نشترك في مصيرها**، بل في كل مكان نجد بابل للذين لهم روحها ويظهرون أثامها فإن نفس الدينونة تنتظرهم"...!

هذا هو تحذير الله لشعبه في كل جيل إلى نهاية هذا الدهر:

ما دامت بابل كما رأينا تقوم بدورها المتعاقب على مسرح التاريخ فإن مبدأ الاعتزال منها يجب تطبيقة في كل عصور تاريخ شعب الله، ولذلك فإن الاحتياج الى هذا التحذير لن يكف وخاصة وأن كثيرين من شعب الله قد أمسكوا بخداع بابل السرية هذه، **لقد كانت**

هذه دعوة الله لمارتن لوثر والمصلحين ولشعبه منذ وقت ظهورهم، وهي إنما هي لخلاص نفوسهم بالخروج من هذا النظام الشرير ــ ولكن وآسفاه فإن هناك روح اليوم في دائرة معينة من البروتستانتية المرتدة ترغب في العودة إلى روما أو غيرها من كنائس التقليد... سيكون هذا كارثة بالطبع لأن العودة إلى بابل السرية إنما يعني في نهايته الأخذ من الضربات الرهيبة التي ستقع عليها، فضلاً عن مناقضته لمبدأ الاعتزال!!

النداء الأخير:

لا شك أن نبوات الرؤيا لها تطبيق مباشر على زمن النهاية، وعلى أي حال فإن قصد كل نبوة إنما هو تقديم المناشدة والتعليم لتحذير شعب الله على مدى الزمن وإلى نهاية الدهر أنه تحذير من خطاياها لئلا يأخذوا من ضرباتها ــ **ولا يشفع هنا أن المخاطبين هم شعب الله** لأن الاشتراك في الخطية يستوجب الاشتراك في الضربات، **أنها أكبر عثرة للمؤمنين بكل أشكالها ونفوذها الذي ملئت به كل الأرض بجنونها الروحي!!**

وبعد أن عرفنا قصد الوحي من وصف "بابل" "ببابل الزانية"، نراه من المناسب أن نرجع إلى سفر الرؤيا الإصحاح الثاني حيث نجد "المرأة الزانية" متربعة في الكنيسة تعلم وتغوي **وإسمها "ايزابيل"** ــ أنها بنت اثبعل ملك صيدون التي تزوجها "أخاب" (١مل ١٦) فهي ليست من شعب الله بل هي أممية، وقد جلب أخاب بذلك الخطية لنفسه والكوارث على شعبه... **وكما قتلت أنبياء الرب، وكذا نابوت اليزرعيلي** (١ص ١٨ و٢١) **كذلك نجد المرأه هنا سكرى من دم القديسين** (١ص ١٧ من الرؤيا)

فقد وجدت في الوحش ما يتفق مع رغبتها في التشفي من عبيد الله الحي، أما في كنيسة ثياتيرا فقد رأيناها بأن لها عشاق ثم أولاد، **وسبب ذلك ببساطة هو أولاد الله الذين لم يعرفوا أعماق الشيطان**، فقد تركها ملاك الكنيسة كالسرطان في الجسم ــ كانت كنيسة أفسس قد جربت القائلين أنهم رسل فوجدتهم كاذبين كما فعل نحميا من قبل فرذل من الكهنوت كل اللذين لم يستطيعوا إثبات انتسابهم فيه، **لذلك يجب أن تتنبه الكنيسة للمنحرفين عن الحق** (لا ٢٠: ٥) **والمتمسكين بتعليم النيقولاويين لفرزهم لأن الرب يتحدى عندما تنام الكنيسة بأنه يتولى بنفسه محاربة هؤلاء بسيف فمه** (رؤ ٢: ١٦)!!

وكما كان في زمن ايزابيل مائة نبي مختبئين وعوبديا يعولهم هكذا نجد هنا فئة قليلة أمينة وهي المشار إليها في القول: **"لكني أقول للباقين في ثياتيرا اللذين ليس لهم هذا التعليم ــ أي تعليم إيزابيل ــ أني لا ألقي عليكم ثقلاً آخر وإنما الذي عندكم تمسكوا به إلى أن أجيء** (رؤ٢ : ٢٤ ، ٢٥) **ومعنى ذلك أن في كل زمان وإلى زمان المجيء الثاني توجد بقية للرب..!!**

أما إيزابيل (ومعنى أسمها البعل زوجي) فقد أمتدت في الكنيسة إلى أن ظهرت تحمل اسم "بابل" ــ **أي صارت هي الكنيسة العامة (والأمناء قلة لا تذكر)** ــ فإذا رجعنا إلى التاريخ القديم نراه مشابها لهذا الوضع بعينه أي أننا نرى إيزابيل تعقبها بابل، تلك المدينة التي سبت شعب الله (أر٣٧) وأزلته (مز١٣٧).

أما عن معنى "سكر معها سكان الأرض من خمر زناها (١ص١٧) ثم "من خمر غضب زناها (١ص١٨) فإنه يفيد أنه في الوقت الذي زنى معها سكان الأرض **وجدت معارضة شديدة من الأمناء للحق الكتابي، فعرضت خمرها ــ أي تعاليمها الفاسدة ــ بقوة السيف**، فشرب المرتدون خوفاً من غضبها وسكرت بدم الثابتين في الحق، وبجانب إنها زانية **صارت أماً لبنات ولدتهن، فهناك نساء على شاكلتها مثل عثليا بنت ايزابيل** التي أخذها ملك يهوذا (يهورام) فكانت سبب شر لزوجها ولابنها لأنها أخذت طبيعة أمها لقتل الامناء (٢ أخ ٢١ ، ٢٢).

وعلى نفس الأسلوب نرى شهداءها وهم تحت المذبح يصرخون للسيد القدوس أن يقضي وينتقم لدمائهم، (رؤ٦ : ٩-١١) هكذا عند دينونة الزانية نسمع صوت من السماء قائلاً: "جازوها كما هي جازتكم" وذلك لأن الكنيسة التي أوجدها الله لإصلاح الارض بإنحرافها عن المسيح ــ أفسدت الأرض فيا للأسف!؟

وكما أن الرب الباكي الأن على الخطاة يفرح مستقبلاً في بليتهم ويشمت عند مجيء خوفهم، كذلك الكنيسة التي تصلي الأن مع مسيحها "أغفر لهم" ــ ستشمت معه في زمن الدينونة على الذين يستحقون وقوعها عليهم!!

هذا يعود بنا إلى بحث مصدر هذا الصوت الذي ينادي بالخروج من بابل ومتى يكون زمانه؟

أما عن مصدر الصوت فهو الله نفسه والدليل على ذلك قوله "يا شعبي" ــ أي المؤمنين الأبرار ــ اخرجوا منها، والهاء في لفظة منها عائدة على "بابل"... وواضح أن المتكلم هنا هو "الله" وخاصة من ربطه جماعة من الناس مع نفسه يسميهم "شعبي"، وواضح مما جاء في نبوات (اشعيا ٤٨: ٢٠ و أر٨:٥٠ و٥١ : ٦ و٤٥ وزك٢: ٦ و٧) أن المتكلم هو الرب!

ولا يقصد بقول الرائي بأنه سمع صوتاً آخر من السماء (ع ٤) أنه خلاف الصوت الأول الذي هو صوت الملاك النازل من السماء (ع ١) لأن هذا الملاك ليس ملاكاً عادياً، بل هو كائن مجيد يختلف عن الملاك الذي كان يرى يوحنا هذه الأشياء، ويبدو أنه هو نفسه ملاك الإصحاح العاشر ــ **هذا الملاك لا يتكلم من السماء بل رآه يوحنا نازلاً من السماء، له سلطان عظيم أيضاً وقد استنارت الأرض من بهائه ــ وهذه كلها أسباب الاعتقاد بأنه المسيح نفسه وذلك ليس لما سلف ذكره فقط بل لاعتبارات أخرى نذكرها فيما يلي:ــ**

١ــ أن مثل هذه اللغة سالفة الذكر لا تستعمل عن ملائكة مخلوقة قط ولكنها معروفة لدى كل الأنبياء بإنها تخص الملك الإلهي، فهو المقصود بمزمور ٧٢ مزمور الملك الذي ينتهي بالقول: "ولتمتليء الأرض كلها من مجدة آمين ثم آمين" (ع ١٩) وكذلك حديث السيرافيم عنه في أشعياء ٦ بقولهم في نهاية تسبحتهم "مجده ملء كل الارض" (ع٣)، كما أنه هو الذي يتكلم عنه حزقيال في ١ ص ٤٣ والعدد الثاني بقوله: "والارض أضاءت من مجده"، وفي الرؤيا هو "الخروف سراج المدينة" وهو الذي سينير على اللذين يملكون معه إلى أبد الأبدين" حيث لا يكون ليل ولا يحتاج إلى سراج أو نور شمس ــ فإن المدينة لا تحتاج لذلك إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيء فيها.." أن ثياب الرب نور بهي (بل أبهى من النور) وهذا اللمعان يلتصق بما هو الهي، وهذا هو مصدر أنارة كل شيء، **فلسنا مخطئين إذا في اعتبار هذا الملاك هو نفسه الرب يسوع في هذه الصورة!**

٢ــ لأن كل الدينونة قد أعطيت للابن وأصبح هو الديان ومن حقه أن يعلن القضاء وينفذ الاحكام: فعند طرح الشيطان في ١ ص ١٢ من الرؤيا نجد الساجدون السماويون يعلنون نفس الحقيقة، لأن هذا هو المعين من الله ديانا للجميع، ولكي يبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة (١ كو ١٥: ٢٤)، وفي المشهد الذي أمامنا نتحقق أنه هو بعينه لأن فيه قد ذكرت بابل لتشرب من كأس الغضب الإلهي وذلك في حضرة الله وذلك باعتبار أن الله قد ظهر وأعلن شخصياً في المسيح، وهذا هو المقصود بالقول: "**وذكرت بابل أمام الله ليعطيها كأس خمر سخط غضبه**" (رؤ١٦ :١٩)، ويؤكد ذلك أنه من هذا الكائن المجيد قد صدرت هذه الكلمات بقوة هائلة بحسب القول الوارد عنها وهو : "**وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلاً سقطت بابل العظيمة**" (ع٢) ــ وعبارته هذه ليست خبرية بل وصفية لما سيحدث حينئذ. **وتكرار كلمة "سقطت" يبين أن سقوطها هو على دفعتين دينياً!!**

***

وإذ انتهينا من معرفة شخصية المتكلم بهذا النداء الأخير ــ يهمنا بالدرجة القصوى أن نتحقق أيضاً من زمان هذا النداء...

فقد تصور البعض من نبوات العهد القديم التي سبق أن أشرنا إليها وهي الواردة في أشعيا وأرميا وزكريا بأن **المقصود بـ "شعبي" هنا شعب بني اسرائيل** وأن الله سيعود إلى توجيه هذا النداء لهم ليخرجوا من بابل صحيح أن هذا القول ينطبق بحسب تلك النبوات على إسرائيل وواضح من نص متطابق وهو الوارد في أرميا ٥١: ٤٥ في القول: " أخرجوا من وسطها (وسط بابل) يا شعبي" أن بني اسرائيل كانوا يعتبرون في ذاك الوقت "شعب الله" ولكن من المعلوم أيضاً أن خروجم من بابل قد تم فعلاً عند تمام سني السبي السبعين كأمر الملك كورش الوارد ذكره في (٢ أيام ٣٦ :٢٢ ..... وأر٢٥:١٢ و ٢٩: ١٠ و دا ٩: ٢) وأما الادعاء بأن هذا النداء الأخير هو لهم عند إحياء الباقين منهم أثناء الضيقة العظيمة استناداً إلى نبوات أرميا الواردة في (١ص ٥٠: ٤ ــ ٨ و ٥١: ٦ و ٤٥) وأعتبارها توضيح جميل لأقوال الرؤيا ــ على حد قول أصحاب هذا الرأي **يريدون به تأييدهم بالرغم من أنه لابد من أن يكون من بين سكان بابل البعض من**

اليهود لأنهم مرتبطون بالتجارة والمال فأنه استنباط بشري لا يستند إلى دليل وقد قادهم إلى فكرة أن الشعب الموجه إليه هذا النداء هو "إسرائيل" مما دعاهم إلى استخراج فكرة أن الكنيسة خارج الموضوع هنا وقد تم اختطافها فهو قول مردود للأسباب الآتية:

١ــ **أن نبوات العهد القديم المستند إليها هنا كانت تتحدث مستقبلياً عن الخروج الذي تم على يد كورش ــ وهي صورة مصغرة لما سيتم على يد "كورشنا العظيم" عند مجيئة:** ومن المعلوم أن "كورش" أسم فارسي معناه "الشمس" وهو رمز لوصف ربنا يسوع المسيح "بشمس البر" الذي سيمتعنا بخروج أعظم به نتحرر ونستعد لمقابلته والاجتماع إليه في أورشليم العليا المقدسة! **ومن المتفق عليه أيضاً أن النبوة لا تتحدث عن شيء تم في الماضي وأثبته التاريخ،** وإنما هي قالب لما سيحدث في المستقبل ولذا قيل أن "التاريخ قالب النبوة عندما تتم"!

٢ــ **أن هذا النداء الأخير للخروج من بابل وأن كان في الواقع دعوة موافقة لكل زمان لكن أنسب وقت لها هو وقت النهاية عند إعلان سقوط بابل:** وهذا الإعلان **يأتي في منتصف الأسبوع** الذي عند الدخول في النصف الثاني منه تسقط بابل من عظمتها الآمرة وسلطانها النهائي (ص ١٧) وقبل دينونتها النهائية (ص ١٨)

وواضح أن الدعوة هنا أمرية لأن "بابل" كنظام لا يمكن أن يكون هناك اتفاق بينها وبين الكنيسة الحقيقية الكتابية، لذلك فإن الدعوة للإنفصال لازمة، لتمييزها هذه عن تلك التي تحمل أسم المسيح باطلاً... وذلك لأنه بدون شك سيوجد **كثيرون من المؤمنين ــ كما هم موجودين حالياً ــ داخل بابل** وسيستمر الأمر هكذا حتى عندما تكون بابل في أردأ حالاتها وأشر فسادها لكي يتجنبوا الموت والاضطهاد، ولكن هذا يجعلهم مشاركين لها في ذنبها ومن ثم في عقابها، وهاذان هما الأمرين الأساسيين المبني عليهما دعوة الخروج: أي الاشتراك في خطاياها بالبقاء فيها وصيرورتهم بذلك شركاء في ذنبها مما يعرضهم للأخذ من ضرباتها..

هنا ضمان أكيد لكنه مشروط إذ يتعلق به تهديد صارم: فالذنب والعقاب هنا معينين على كل من يبقى في بابل، ومن ثم يمكن القول بأن خروج القديسين من بابل أمر

جوهري ينتظرة الرب حتى يسكبِ غضبه عليها، **وكما قال أحدهم: "أن الدينونة الكاملة ستزمجر على بابل بعد ما يخرج شعب الله منها"** ومن ثم فإن الدعوة هنا للخروج من بابل هي دعوة رحيمة حتى ولو صاحبتها بعض الخسائر المادية!

٣ــ اللذين يظنون أن "شعبي" هنا هو شعب اسرائيل يتصورون أن الرب قد جاء حسب وعده في ١٦ : ١٥ قبل أن تسكب الجامة السابعة التي فيها ورود ذكر بابل أمام الله لعقابها وبذلك تكون القيامة الأولى قد تمت باختطاف الاحياء إلى السحاب (مع الراقدين أيضاً) وبذلك لا يكون هذا النداء موجها للكنيسة حسب ظنهم وقد سبق تفنيد ذلك!!

نعرف من تنشيف نهر الفرات بفعل الجامة السادسة أن ذلك يتم لفتح الطريق لملوك الشرق وجيوشهم للقدوم لأورشليم والاشتراك في معركة هرمجدون التي هي نهاية الأسبوع الأخير! ونعلم أن هناك عدداً قد تم ختمه من أسباط اسرائيل مقداره ١٤٤ ألفاً ــ وهو غير الباكورة التي تتكون من الأمم، والتي ستخطف باكراً قبل ذلك في منتصف الاسبوع! وسيقبل عدداً كبيراً من اليهود المسيح كمسياهم في ذلك الوقت ــ ولكن سيكون هناك البعض من الأمم أيضاً يشير أليهم زكريا بالقول: **"ويكون أن كل الباقي من جميع الأمم** الذين جاءوا على أورشليم يعيدون من سنة إلى سنة **ليسجدوا** للملك رب الجنود **وليعيدوا عيد المظال** (١٤ : ١٦) ــ ولا شك بأنهم هم المكني عنهم في رؤيا٧ بعد الحديث عن المختومين من اسرائيل بالجمع الكثير الذي لم يستطع أحد أن يعده **من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة** واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف نخل ــ (إشارة إلي عيد المظال) ووصف لاستقبال المسيا في فجر الألفية وتعييد جميع الأمم عيد المظال ــ أي عيد ملكه السعيد طيلة هذا العصر الذهبي العتيد) **ومعنى ذلك أنه بينما تكون أجزاء من الكنيسة قد رحلت إلا أنه ستكون هناك بقية منها متروكة إلى نهاية الأسبوع قبيل معركة هرمجدون وهم اللذين يحذرهم المسيح هنا بأن يستعدوا لمجيئة بقوله: " ها أنا آتي كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عريته"** (١٦: ١٥) **وذلك على مقربة من هرمجدون!!**

أنه العيد الذي سيجمع شمل كل المؤمنين من العهدين القديم والجديد الذي سينزل فيه المسيح إلى الهواء ومعه الباكورة ليأخذهم إليه لأن هذا هو عيد الحصاد (وقد سبقه عيد الباكورات) **أما هذا أي عيد الجمع هو الذي سيجمع فيه ــ على السحاب ــ الكل العروس والأصدقاء، سواء أصدقاء العريس (قديسي العهد القديم) أو صديقات العروس (قديسى العهد الجديد).**

ومن هنا جاء هذا التحذير في وقت النهاية **بضرورة السهر وحفظ الثياب** (وهذا لازم جداً للعذارى الجاهلات والكنيسة اللادوكية) يؤكدة قول السيد أيضاً في لو١٢ : ٣٨ وخاصة عبارته المتوسطة "**وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس** وأيضاً قوله: ــ ها أنا واقف على الباب وأقرع (رؤ٣ : ٢٠)... والمعنى بذلك **مقرعة الضيقة العظيمة** أما مشهد الباكورة الوارد ذكره في الاصحاح الرابع عشر يصفه بقوله: "أن لنا رؤيا منتظرة للمكافئة السماوية لمن يرفضون السجود للوحش على أمانتهم **إذ إنهم يقفون في النهاية على البحر الزجاجي ومعهم قيثارات الله وهم يترنمون ترنيمة موسى والحمل**... فيوحنا يراهم هناك في المجد والخلود بعد أن انتصروا على تجربة السجود للوحش وإذ أنهم قد وصلوا إلى المجد السماوي **فلابد أن يكون المسيح قد جاء وأحدث قيامة واختطافا لهم كما سبق وأحدث مثل ذلك لغيرهم ويعتبرهم الوحي "شهداء الضيقة وأعد لهم قيامة خاصة يسلم بها بحكم ضرورتها المعارضون ويصفونها بإنها لقاط الحصاد** (رؤ ٢٠: ٤) وهذا هو سر سعادتهم ويسبقها قيامة الشاهدات... وإذ يتجه المشهد نحو معركة هرمجدون باجتماع جيوش جميع الأمم للمعركة الكبرى فإن هذا العمل ينذر بالوصول إلى نهاية هذا الدهر، ففي وقت ما أثناء ذلك يأتي المسيح لأخذ أخر فرقة من بني القيامة جامعاً مع الأحياء الباقين الراقدين أيضاً أنه مجيء شبيه بما سبقه **ولكن يفوقة بأنه استكمال لمجيئه الواحد لكل شعبه!** وهنا كما في سائر الأدوار لابد من السهر والثبات حتى لا تضيع المكافئة ــ **والفشل في الاستعداد لهذا الدور الأخير من المجيء لا شك سيخلف عريا خاصاً لا يعالج! اذ أنه يحرمهم من فرصة الاشتراك في امتيازات وكرامات بنو القيامة!** ولذلك قدمت هذه النصيحة الخاصة في مكانها الخاص هنا ــ وهي

تشير إلى أنه الأن أي في ذاك الحين في أي دقيقة منه **سيدعو المسيح بقية شعبه الـذين سيكونون على الارض بعد..** فهي إنذار وتوجيه لاستعداد دقيق وانتظار بسهر وانفصـال عن الرجاسات المنجسة التي من حولهم . **وهو أيضاً تحذير فيما لو وجدوا غير مستعدين فإن عريهم وخجلهم لا علاج له لأن الموضوع كله على وشك الانتهاء ببلوغ نهاية هـذا الدهر وإغلاق باب الدخول للملكوت إلى الأبد!! ومن ثم توجد سعادة للداخلين هنا ولكنها لا تُضمن إلا بالسهر والصلاة والاستعداد لمجيئه!!**

وأياً يكون عدد هؤلاء المتبقين وحالتهم فإن موقف العالم سيسـتمر جامـداً مـن نحوهم حتى أن نقلهم الفجائي إلى المجد لن يغير من استعداد الأمم والشعوب لمعركة هرمجدون!!

فلا تعارض إذاً بين دينونة بابل الأخيرة السابقة لمعركة هرمجدون وبين وجود بقية الكنيسة على الأرض إلى قرب هذه المعركـة، حتى وأن قيل لا يوجد بعد ذلك إلا الترنيمة النهائية في ١٩: ١ ــ ٤ التي تتضمن فرحة عظيمة لدينونة بابل، ثم بعـد ذلـك نسـمع ترنيمتين في ع ٦ و ٧ الأولى الرب قد ملك والثانية لأن عرس الخروف قـد جـاء **إذ أن ذلك كله سيأتي بعد الاختطاف العام الذي رأينا مكانه بعد دينونة بابل ومعاصـر لحريـق هرمجدون!**

٤ــ لذلك فإن القصد السليم لهذا النداء الأخير هو دعوة الامناء في جيل النهاية للخـروج من بابل: فإن وجود أمناء في الكنائس التقليدية (ايزابيل) أو في الكنـائس الانجيليـة (عثليـا) سيعرضهم للإشتراك في خطاياها (الزنى الروحي معها) والأخذ من ضرباتها ولـذلك نـرى **الكنيسة الفيلادلفيه** ــ التي تحررت من زناها ــ **وهي بعينها الإبن الذكر والبـاكورة، نراهـا على جبل صهيون عند اختطافها في منتصف الاسبوع**، وبيدها قيثـارات الله مترنمـة أمـام العرش، متدرجة تحت هذا الوصف "هؤلاء هم اللذين **لم يتنجسوا مع النساء (بنات ايزابيـل) لانهم أطهار** ــ ... ... قد أشتروا عن بين الناس **باكورة لله وللخروف وفي أفواههم لم يوجد غش** لأنهم بلا عيب قدام عرش الله (عب١٢ ، رؤ ١٤).

إن هذا النداء يجب أن يعلن الأن كما في التاريخ القديم وذلك لاعتبارين هامين:ـ

الأول: أن الأمان مضمون لمن يهربون من بابل والرب سيحميهم وبذلك يكون انقاذهم من مصيرها مضموناً..

والثاني: ان الخطر ينتظر من يبقون فيها لأن المهاجم لن يميز بين البابليين والمسبيين الذين معهم!

في هذا النداء (التحذير) للذين في بابل نستطيع أن نرى أمانة الله غير المتغيرة نحو شعبه بالرغم من خطاياهم ـ **فإن وقت تحريرهم من السبي معاصر لوقت انتقام الرب من بابل** وقت لا يعرف إلا من اولئك الذين عندهم تمييز روحي يمكنهم من تطبيق النبوة! **فإن إنقاذ إسرائيل سابقاً في وقت تدمير بابل قد أعطى كعلامة ومذاق مسبق لتحريرهم النهائي الأخير** ـ وبحسب المبدأ فإن تحرير اسرائيل ينبع منه ـ ومهما يكن الرجوع من بابل عظيماً ـ الأمر الذي تم تاريخياً **إلا أن هناك رجوعاً أعظم في المستقبل إنقاذ تام يذهب إليه فكر الروح لإعلان مجد الرب أمام كل الأرض أنه اطلاق المؤمنين الحقيقين الذين في بابل، وخروجهم منها، لكي يتجمعوا ويستعدوا لمجيئه!!**

وهكذا تتميز الباكورة التي أشرنا إلى مكوناتها فيما سلف بصفات السمو الروحي ومن بينها "عدم التنجس مع النساء ـ ترى ما معنى "النساء" هنا، وماذا يكون التنجس معهن!؟

أهو الزنا الطبيعي؟ كلا فهذا ما يجب على أبسط مؤمن أن يهرب منه! أهو الزواج؟ كلا. فإن الزواج مكرم والمضجع غير نجس (عب ١٣: ٤) إذن ما معنى هذا؟ أن معناه واضح جداً في رؤ ١٧ حيث نرى أم الزواني ورجاسات الأرض في وصفها الشامل: **وما أم الزواني هذه إلا كبرى الكنائس الأسمية، وما الزواني إلا تلك الكنائس الصغيرات المماثلة لهذه الأم!**

أذاً كانت من الصفات التي تميزت بها هذه الباكورة **المقدسة صفة الابتعاد عن تلك الكنائس جميعاً وتعاليمها المملوءة غشاً وضلالاً** بحسب الوصف الوارد عنهم "وفي

أفواههم لم يوجد غش"، وهذا ما عناه الوحي بالخروج من بابل بقوله "أخرجوا منها يا شعبي"، وما جاء ضمناً في رسالة كورنثوس الثانية بمنع النير المتخالف والخروج من وسط غير المؤمنين والاعتزال عنهم (٦: ١٤ و ١٧)

هذه هي كنيسة الأبكار ــ المعمدين بالروح والذين أشتروا من بين الناس جميعاً ومن الأرض كلها وقد حاذوا شرف قيادة الرب لهم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي! وقد حاول أصحاب تفسير "شعبي" بشعب إسرائيل أن يجعلوا "المرأة" المتسربلة بالشمس هي أيضاً إسرائيل والإبن الذكر الذي أختطف هو يسوع المسيح نفسه آخذين النبوة إلى الوراء وكأنها تمت في التاريخ الماضي الذي أنتهى، **مما يفقدها قيمتها نهائياً كنبوة ويجعلها بلا نفع** بالنسبة لنا نحن "الذين أنتهت إلينا أواخر الدهور".

وقد فعلوا ذلك للتخلص من تعليم الباكورة والابقاء على تلك الخرافة التي سيطروا بها على عقول الكثيرين وهي اختطاف الكنيسة كلها دفعة واحدة لا قبل الضيقة العظيمة فقط بل قبل الأسبوع الأخير بأكمله ولكن هيهات هيهات!

إذ لابد أولاً من حدوث نهضة إعداد الكنيسة أي تجهيز العروس ممثله في قيام العذارى وإصلاحهن المصابيح وخروجهن للقاء العريس، **وهذه النهضة هي الإعلان عن بدء الأسبوع الختامي** ومن علاماتها القاطعة عقد معاهدة بين رئيس حلف الأطلنطي المتطور وشعب دانيال لحمايتهم وأخرى مع البابا ليرأس كافة الكنائس، حينئذ يعلم الفاهمون أن الاسبوع الأخير قد حل ويكون ذلك بمثابة "الصوت الصارخ هوذا العريس مقبل" **وهذا هو المقصود بصراخ نصف الليل (مت ٢٥: ٦)، وهذا يختلف تماماً عن مجيئه في الهزيع الثاني أي منتصف الأسبوع لأخذ الباكورة وفي الهزيع الثالث أي قبيل هرمجدون في نهاية الأسبوع حينما يكون راجعاً من العرس لأخذ بقية الكنيسة إليه** (لو ١٢: ٣٨).

ولذلك فإننا نرى بأن وقت هذا النداء الأخير هو الآن للذين لا يزالون في سبي بابل لكي يسمعوا صوت الخروج من بابل ويطيعونه... بأن يتجمعوا معاً ويبدأون الرجوع إلى صهيون العزيزة بالتوجه إليها في هذه الأيام الأخيرة!

وهذا الحال أيضاً يمتد إلى بابل التجارية فإن الله يريد من شعبه أن ينفصلوا عنها أي عن أطماعها وإباحيتها بأن تكون حياتهم معتدلة وعليها بركة الله بدلاً من أن تصيدهم فخاخ بابل التجارية فإن الانشغال من هذا القبيل يعيق حياة الشخص الروحية ولابد من التخلص منها لأنه مغذي بروح بابل!!

وهكذا سيتحقق هذا النداء بالأكثر في جيل النهاية هذا الذي انتشر فيه الباطل واتسع نطاق الارتداد عن الحق وابتعاد النفوس عن النور الألهي: أنها مأساة ختام الزمن التي ستزداد في وقت النهاية!! ولا شك أن سقوط بابل سيبدأ في وسط الأسبوع بإقامة رجسة الخراب أي عبادة صورة الوحش وتمثاله!!

وذلك بعد اختطاف الباكورة ، ومن بعدها هناك اختطاف آخر للشاهدين، وقيامة لشهداء الضيقة في نهايتها!!

وهذا يفسر لنا حديث الرب عن مجيئه في "الهزيع الثاني" ـــ أي في منتصف الأسبوع لأخذ الباكورة، وفي الهزيع الثالث أي قبيل هرمجدون في نهاية الأسبوع. حينما يكون راجعاً من العرس لأخذ بقية الكنيسة إليه (لوقا ١٢: ٣٨)

ومعنى ذلك أنه بينما تكون أجزاء من الكنيسة قد رحلت إلا أنه ستكون هناك بقية منها متروكة إلى نهاية الأسبوع قبيل معركة هرمجدون **وهم الذين يحذرهم المسيح هنا بأن يستعدوا لمجيئه بقوله "ها أنا آتي كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عورته"** (رؤيا ١٦: ١٥) **وهذا على مقربة من هرمجدون!!**

ما معنى هذا الإعلان الغريب هنا؟ أنه بوضوح صوت يسوع ومثل هذا القول قاله كثيراً للكنيسة بخصوص مجيئه الثاني ـ ولكن على من تنطبق هنا بعد أن اختطف جموع الغالبين إلى السماء؟ أننا نجد الجواب مرتبطاً بما قيل عن الضربات السبع الأخيرة، فإنه في وقت حدوثها هناك يحدث جمع القديسين كجمع الجيوش المرتدة في هرمجدون: فإن اللذين سيعيشون في زمن الوحش ليس كلهم يهوداً (أي البقية اليهودية الأمينة) لأن معهم باقي نسل المرأة الذين عندهم شهادة يسوع (مما يبين أنهم مسيحيين بالطبع) **وهذين الصنفين لن يسجدوا للوحش بل سيقاومون إلى النهاية الاعتراف بتأليهه وسيرفضون الوسم باسمه**

وسيتعرضون بذلك للجوع والعري والتشريد وهم اللذين يسميهم المسيح "أخوته الأصاغر" ومعظمهم سيموتون شهداء ولكنهم سيهزمون اضطهادات الوحش ورجاساته ويستحقون المكافأه الوارد ذكرها في الاصحاح الخامس عشر من سفر الرؤيا وهي الوقوف على البحر الزجاجي ومعهم قيثارات الله ــ وإذ قد وصلوا إلى المجد السماوي، **فلابد أن يكون المسيح قد جاء خصيصاً لأجلهم ــ أي كدفعة خاصة ــ وأحدث قيامة واختطافاً لهم كالسابقين (مثل باكورة العهد القديم ــ باكورة العهد الجديد ــ والشاهدان)!**

وإذ يبتديء العالم استعداده للمعركة الأخيرة الفاصلة يدوي صوت المسيح لآخر فرقة من بني القيامة لاستكمال حلقات مجيئة الواحد لشعبه وهي التي سبق أن ذكرناها آنفاً!!

وبها بكل تأكيد نصل إلى "الاختطاف العام" ــ إلى الهواء ــ أنه عيد الجمع الذي فيه سيجمع الرب شمل كل المؤمنين من العهدين القديم والجديد.. عندما ينزل إلى الهواء هو والباكورة ــ لقد أدخل الحكيمات قبلاً إلى العرس (كمستعدات) ولكن هناك الجاهلات يمثلن "المتخلفين" (الباقين) الذين سيرجع الرب من العرس ليأخذهم إليه.

ومن هنا جاء التحذير في وقت النهاية بضرورة السهر وحفظ الثياب (وهذا لازم جداً للعذارى الجاهلات والكنيسة اللادوكية، يؤكده قول السيد أيضاً في (لوقا ١٢: ٣٦) **"وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت"** وعبارته الأخرى الموجهة لملاك كنيسة اللادوكين في رؤيا ٣: ٢٠ **"هأنذا واقف على الباب وأقرع أن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي" ــــ وواضح جداً لكل دارس مخلص لكلمة الله أن المقصود هنا هو مقرعة الضيقة العظيمة** لأن القرع يكون عالياً والعشاء هو عشاء عرس الخروف لا العرس نفسه، ومع ذلك فإن الوحي يقول: "طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف (وليمة الألف سنة)" بينما يعلن الفرح والتهليل للعروس بتهيئتها نفسها لعرس الخروف عندما يجيء" (رؤيا ١٩: ٧و٩)!

ومع أن هناك نصوص عديدة تتحدث عن كسب الجعالة أي "المسيح كعريس"، إلا أننا نكتفي هنا بالقول الوارد في كورنثوس الأولى ١٥: ٢٣ ونصه "ولكن كل واحد في رتبته المسيح باكورة ثم اللذين للمسيح في مجيئة"، **ولفظة "رتبة" هنا كلمة حربية**

gradeaor oreless **انها تتحدث عن جمهور المؤمنين في كل العصور كجيش عظيم وبأن كل فرقة أو رتبة منه ستصل في وقت محدد معلوم. ويتبين من ذلك أن القيامة ستحدث في فرق وهذا يدعونا للإهتمام لنكون ضمن الجماعة الأولى!!**

وهذا في حد ذاته يؤكد ما سبق بيانه من أن الاختطاف على مراحل، وهناك أكثر من برهان ليس في صف الاختطاف الواحد بل في جانب حدوثه مرحلياً.

فبعض المؤمنين ــ وهم فئة الغالبين، ستخرج في وقتها المعين تاركة كثيــرين مــن جيش الرب العظيم وراءها إلى وقت متأخر ــ وفي سفر الرؤيا نجد ملخص رمزي لذلك ــ إذ نشاهد فيه جماعات مختلفة من القديسين ممن قد أقيموا واختطفوا في أوقات منفصلة متميزة: فهناك الأربعة والعشرين شيخاً في الأصحاح الرابع (وهم باكورة العهد القديم التي قامت وخرجت من القبور بعد قيامته (مت ٢٧: ٥٢ ــ ٥٣) وهناك قيامة الشاهدين (١ص ١١) وشهداء الضيقة العظيمة (١ ص ٢٠) في الاختطاف العام ــ وحتى بعد هؤلاء تبقى الحادثة الختامية من القيامة الأولى التي بها يتم تغيير أمة اسرائيل وشعوب المخلّصين في نهاية الملك الألفي لادخالهم إلى الأرض الجديدة!!

وواجب علينا إذا أن نواجة الموقف ونتمسك بإنجيل السلام ونقــف شــهود أمنــاء ننفض عنا أسر بابل وسبيها ونعمل فوراً على الخروج منها – أما حان الوقت أن ننتفض بفعل هذا الحقائق: ايها المسبيون أسمعوا صوت الخروج من بابل ونفذوه، إن صــوت الله يقول لكم أخرجوا منها فوراً، تشددوا وكونوا شجاعا في الانفصال عنها!!

•••

الفصل التاسع والعشرون

مراحل الخروج من بابل

"وبنوا إسرائيل الكهنة واللاويون وباقي بني السبي دشنوا بيت الله هذا بفرح" (عزرا٦: ١٦)

"أردد يا رب سبينا مثل السواقي في الجنوب" (مز١٢٦: ٤)

مشيئة الله تقتضي التخلص من بابل:

يشاء الله أن نكون أمثلة عملية للانتفاض من غبار بابل. أما حان الوقت أن ننتفض أيها الأحباء ونخرج منها: أيها المسبيون في بابل صوت الله يقول لكم أخرجوا منها على الفور تشددوا كونوا شجاعاً، لأنه وإن كان التشويش حولكم طاغي والظلام شامل لكن لنا الرب عوناً لننفصل عن بابل ونخرج منها، ليس لنا بقاء أو استمرار وسط البلبلة والفساد والفوضى والعصيان، يا ذاكري الرب انتبهوا تقدسوا كفى عرج بين الفرقتين، واجهوا التحلل والضياع، لإيقاف بابل وتحديها!

الرجوع التدريجي:

أقام الرب كورش الفارسي لتحرير شعبه من السبي، ولكنهم لم يرجعوا كلهم دفعة واحدة فقد رجع منهم في البداية الدفعة الأولى وكان ذلك حوالي سنة ٥٢٠ ق. م. تحت زعامة النبين حجي وزكريا، ووضعوا أساسات الهيكل الجديد على مكان الهيكل القديم...

وحوالي سنة ٤٥٠ ق. م. في حكم ارتحشتا ملك فارس عادت إلى أورشليم جماعة أخرى من اليهود بقيادة عزرا، وهكذا كان رجوعهم تدريجياً وفي فترات متباعدة بدأ بالفوج الأول منهم في عهد داريوس الملك ثم تبعته أفواج أخرى مع عزرا ونحميا وكان عدد اليهود الذين عادوا من السبي قليلاً، أما غالبيتهم فقد آثرت البقاء في بابل...

ومزمور ١٢٦ يشير إلى هؤلاء الذين لم يرجعوا إلا في الدفعات التالية بأنهم يشبهون سواقي الجنوب التي جفت، ولكنها تعود للأمتلاء بعد أن يهطل عليها المطر، وأما المسبيين أنفسهم أول دفعة من الراجعين عند صدور أوامر كورش، فقد كانوا كالحالمين في انطلاقهم من السبي فكان ذلك النداء كالحلم أي كأنه لا يصدق، فهي عودة لم تكن متوقعة كما كانت إعجازية، ولا شك أن فرح الانطلاق من السبي عوضهم عن كل آلامهم السابقة.

وهكذا أقام الله "كورش الفارسي" ليطلق نداء لتحرير شعبه وكان هذا النداء باعثاً روحياً قوياً لتحريك كثيرين من المسبيين للعودة على أن هناك من لم يحركهم هذا الباعث كما سلفت الإشارة ولذلك فإن المسبين أنفسهم يطلبون لهم التحرك للعودة بدعاء ورد في نفس المزمور سالف الذكر ونصه: "أردد يا رب سبينا" يقصد به باقي السبي، فالمسبيون الراجعون يطلبون رد الباقين في بابل منهم!!

التطبيق الحالي:

لاحظنا أن السبي لم يرجع دفعة واحدة بل كان على دفعتين أمامية وخلفية: وبالتأكيد البعض سيأخذ مكانة في **الدفعة الأمامية** مع اللذين قالوا: "عندما رد الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين حينئذ أمتلأت أفواهنا ضحكاً والسنتنا ترنماً" (ع١ و٢) كانوا قد حزنوا أولاً ورفضوا أن يرنموا في أرض غريبة، وأما الأن فقد فرحوا أخيراً وأمتلأت أفواههم ضحكاً!

لأنه بقدر مئات السنين التي قضوها في عبودية مصر، والسبعين سنة في سبي بابل بنفس القدر وأكثر تكون أفراح الراجعين من السبي والمتحررين من العبودية! وكما فرحت مريم والنساء والرجال بعد عبور البحر الأحمر وكذلك فرح العائدون من السبي،

بنفس الطريقة تكون أفراح الراجعين من سبي بابل الحالي وهم يخرجون بسرعة الآن تحقيقاً لقصد الله الواضح الذي ظهر في دعوتهم لهذا الخروج الفوري:

وبالرجوع إلى النبوات نجد أن النبي زكريا بالذات وعلى وجه خاص كان هو الذي بتحريضه وتوجيهاته دعى بقية المسبين من اليهود الذين كانوا لا يزالون في بابل للرجوع قائلاً لهم: يا يا أهربوا من أرض الشمال يقول الرب... تنجي يا صهيون الساكنة في بنت بابل (٢: ٦و ٧)

وأما اللذين في المؤخرة ممن ندعو الرب بأن يردهم، وهم أشبه بسواقي الجنوب، التي تنتظر المطر المتأخر لكي تدور به، **هكذا يرد الرب المتأخرين ويعطيهم نصيباً في النهضة المجيئية (الحالية)** ــ وذلك لأن الرب يريد أن يرد كل شعبه فلا يكون بينهم عاثر، لذلك يحث الرب كل فرد في شعبه ممن انحطت حالتهم الروحية بالقول: **"لك أيها الفاتر المتعطل نصيب في الاعادة والإرجاع!** "والراجعون من السبي الأن يقولون من جانبهم: **"أرسل يا رب المطر لسواقي الجنوب"، يا رب أنعش كل شعبك، رد كل قطيعك، فك كل مؤمن حقيقي من أسر السبي** "أننا نرفع هذا التضرع لتمسك كل نفس بالفرصة وتسرع نحو التحرر من سبي بابل!

الترتيب النبوي:

يستطيع الذين تكحلت عيونهم بكحل الروح القدس أن يروا "مراحل الخروج من بابل" بحسب الترتيب النبوي لها الوارد في العهد الجديد على الوجه الأتي: ــ

نفهم من هذا الترتيب ــ ونحن نقتصر هنا على الحقائق الواضحة جداً ودون كامل التفاصيل ــ بأن هناك باكورة مأخوذة من الغالبين الممثلين في الباقين في ثياتيرا ــ والأسماء القليلة الأمينة التي في ساردس ــ وأفراد الآحاد التي تتنبه لسمع صوت الرب بين اللاودكيين ــ **وهذه هي الفئات الغالبة ــ مضافاً إليها ــ الكنيسة الفيلادلفية كلها ــ هذه المجموعة معاً** هي التي تحررت وخرجت من بابل السرية"، **وهي بعينها "الأبن**

الذكر" و "الباكورة"، نراها على جبل صهيون عقب اختطافها فـــي منتصـــف الأســـبوع:
وبيدها القيثارات تترنم بها الترنيمة الجديدة أمام العرش؟ وهم المقصودين بكنيسة الأبكـــار "الوارد ذكرها في عبرانين ١٢.

هذه هي "كنيسة الأبكار" المعمدين بالروح الذين أشتروا من بين الناس جميعـــاً ومـــن الأرض كلها وقد حازوا شرف قيادة الرب لهم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي!!

وأما باقي مراحل الاختطاف فقد وضحناها في موضع آخر من هذا البحث الفريد!!

***

الفصل الثلاثون

"الابتهاج الأبدي بسقوط بابل"

أفرحي لها أيتها السماء والرسل القديسون والانبياء لأن الرب قد دانها دينونتكم (رؤ ١٨: ٢٠)

"أقطع من بابل أسما وبقية ونسلا وذرية يقول الرب وأكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود" (أش ١٤: ٢٢ ، ٢٣)

وبعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير في السماء قائلاً هللويا الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب الهنا. لأن أحكامة حق وعادلة إذ قد دان الزانية العظيمة... ... وقالوا ثانية هللويا. ودخانها يصعد إلى أبد الآبدين (رؤ ١٩: ١ ــ ٣)

الاستعلان والظهور:

كانت بابل أعظم قوة كان يتعامل معها ملوك العالم لكنها لا توجد بعد دينونتها وكأنه سيعلق حجر في عنقها وتطرح إلى الأعماق في الهاوية الأبدية! بعد أن أثبتت أنها بوابة جهنم متسترة تحت خدعة إنها بوابة الله وهيهات!!

لا شك أن بابل وأورشليم قطبين متعاكسين للعالم الروحي ــ هكذا الكنيسة الرومانية ليس عرضاً بل في حقيقة الأمر نجدها داخله ضمن بابل هذه الزانية بل "أم الزواني"، بينما

البروتوستانتية بحسب مبدأها إمرأه عفيفة وكان الأصلاح فيها معارضاً لهـذا الزنـى: أن روح ممالك العالم الوثني قبل الإصلاح قد حول روما في الغرب إلى كنيسة الدولة وفـي الشرق إلى دولة الكنيسة (في بيزنطة) وهكذا سقطت كل من الكنيستين الرومانية واليونانية من الجوهر الروحي غير المنظور للإنجيل إلى أركان العالم!

الدولة والكنيسة كليهما هبة من الله ولكن عندما تنحط الدولة لغاية مختلفة عما قصده لها الله (وهي أن تتصرف لاجل وتحت حكم الله) فإنها تصير مثل الوحشـومن أسـف أن البروتستانتية أصابتها نفس النكسة!!

وكل ما سبق يزول ويختفي أما جماعة يسوع الحقيقية فهي التي تحيا وتبقى إلـى الأبد!

علة سقوط بابل:

أن هناك أمراً من الله بالانتقام من بابل وتوجيه الضربات القاضية عليها ــ بالخيل الـدهم السوداء والله يريد أن يستخدم خيل كنيسته لينتقم من **بابل وهو يقف** متحدياً لهـذه البلبلـة لأن ذلك هو أكبر نجاح للمؤمنين الحقيقين الساجدين لله بالروح والحق!!

١. "لأن خطاياها بلغت إلى السماء":

ظاهرِ هذا القول يدل على أن خطاياها كانت خفية ثم ظهرت بعد ذلك وبلغت السماء ــ وذلك لكثرتها والتظاهر بها حتى فشت وصارت غير خفية عن أحد بالجملة لا سـيما عـن عالم السرائر. وإنما قال "بلغت السماء" مبالغة لما تقرر في النفوس من بُعـد السـماء عـن الأرض **وارتفاعها الذي بلغت به ذلك البعد العظيم ليس إلا بعد أن أصبحت عظيمة وظهور خطاياها بّين مستحكم فحق عليها الانتقـام** ومثل هذا قول أرميا عن بابل: "لأنـه قـد دنـا قضاؤها من السماء وارتفع خطأها حتى السحاب (٥١: ٩) ــ فلماذا كل هذه الدينونـة؟ الله والإنسان ضدها ــ لماذا؟ السبب هو لأن خطاياها لحقت السماء... **البرج القديم تحول إلـى خطايا لحقت السماء. وآثار عارها وصل إلى السماء: صورة غريبة ــ فبرج لبابـل لـيس هو من حجر الآن بل من خطايا** ــ ليس خطايا عادية بل خطايا شنيعة ضد السماء وهو مما

يغضب الله (عزرا ٩ : ٦).. أن مجرد وجود تقي في بيئة شريرة كبابل يجعله يتوه في دروب بابل الزانية بفعل التأثر والتعلق ولو بعد حين بسبب تكرار العرض والحاح الإغراء ومن ثم تضعف المقاومة ويأتي يوم المشاركة الأسود وهذا هو سبب التحذير منها!!

فلقد ملأت بابل العظيمة هذه باشكال سيادتها وفنونها كل الأرض بجنونها الروحي ستتم دينونتها وتواجه مصيرها الأبدي المحزن!!

٢. وتذكر الله آثامها:

ليس أن الله تعالى كان غير متذكر ثم ذكر بل أنه أمهلها مدة تفعل فيها بمحض أختيارها ما فعلت. **فلما أنتهت من ذلك وأراد مجازاتها عن فعلها أشبهت هذه حال الذاكر... فتذكر الله لآثامها أنما يعني أن دينونته لا تشفق بل ستأخذ مجراها بقسوة عندما يجيء وقتها** ــ (مت٧ :٢) ومبدأ الدينونة العادلة ليس الشيء كمثل بل مضاعفاً...

ولكن ترى ماذا كانت آثام بابل في الماضي؟ أن آثامها في الواقع مرتبطة بشعب الله، وعن ذلك يقول أرميا: "**داوينا بابل فلم تشف، دعوها وليذهب كل واحد إلى أرضه**... لأن قصده على بابل أن يهلكها لأن نقمة الرب نقمة هيكلة" (أر ٥١: ١٠) **إذا خطية بابل القصوى كانت تخريب هيكل الله**... وقد ذكر أرميا هذه المسألة مرة أخرى في (٥٢: ١٢ ــ ١٤) بقوله: "واحرقوا بيت الرب بالنار" ــ وهذا ما سجله الوحي في ٢مل ٢٥ **هذا من جهة خطية بابل الماضية**، أما تذكر الله فمعناه أنه كعادته مع القلب غير التائب حين يأتي ميعاد عقابه، **فإنه يسترجع له ماضيه ليكون العقاب على أساس كامل، وهكذا فعل الله مع بابل لما حان وقت عقابها استرجع ماضيها المتروك** الذي ربما تكون قد نسيته بسبب طول الزمان ليضرب ضربته فإنه لا ينسى وهو يطلب ما قد مضى "وأما ما فعلته بابل في الحاضر فهو أنها سكرت من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع" (انظر أيضاً رؤيا ١٨: ٢٤)

إذاً لابد أن الله يتحرك، لأن المسألة لمست أولاده هو، وهذا ما حدث في عصر روما الوثنية ثم البابوية ــ وهي بذلك بغت على الرب قدوس إسرائيل (أر ٥٠: ٢٩)

وجزاءها لابد أن يكون من جنس العمل وليكن العقاب مضاعفاً ممزوجاً بنوعين من السخط أو الغضب، نفس الكأس المر الذي شرب منه شعب الله، أي أن العقاب من نفس النوع الذي أصاب شعب الله (أش ٤٧: ٦) لا غرابة في هذا الحكم ولا تجاوز!!

لقد أحرقت بابل أورشليم وهيكل الله ولذا فهي ستحرق تماماً ويجلب عليها الرب شرها (أر ٥١: ٢٤) **ومن المحتمل أنه ليس ببعيد أن تعود كمدينة حرفية لكن الضربات ستلحقها والموت الأسود والحزن والرعب سيغمرها، لأنه عندما تصل إلى أخر حد لها سيأتي زمان انتقامها بسبب دم كل الشهداء.**

أن مجازتها ستكون من السماء: في زمن الرحمة الله لا يسرع للعقاب بل يتغاضى ويمهل ولكن في وقت الدينونة لن يشفق! أن شرها مضاعف ولذلك سيكون عقابها كذلك فلا تعود توجد فيما بعد!!

٣. مقابلة ختامية:

ليس من المحتم أن تكون بابل هي روما حرفياً بل النظام الذي أخذ مركزه في روما والذي به تمارس سلطانها على شعوب المسيحية وتتماثل معها في ذلك سائر الكنائس التقليدية ولكنها وهي سيدة الممالك ستسقط وتكون في الهاوية سواء! وكما كانت مجازاتها لغيرها هكذا سيجازيها الرب بنفس الكأس ويضاعف لها القصاص.. والمجد الذي كانت فيه سينقلب عليها ألم قلب وحزن: أي أن تعاليها وعظمتها وشهوانيتها وملاذها سيتحول هذا كله إلى انقباض لروحها وحزن لنفسها... **وسيستخدم الله العشرة ملوك الذين كانوا تحت سطوتها سابقاً لتدميرها متممين بذلك المشيئة الإلهية التي عينتهم لذلك** (رؤ١٧ : ١٦و١٧)... **ولكنها حتى مع طردها من مكان عزها استمرت تتمسك بكبرياءها ومجدها الأول ــ روحها لم تنكسر ولم تجلس في التراب بالرغم من اقترابها من نهايتها وزوال مجدها الأول عنها ــ ملوك الأرض يقدروا ينوحوا عليها ولكن لا قدرة لهم على مساعدتها: أنها تفتخر في قلبها بإنها لا تزال ملكة وليست أرملة آملة في رجوع عزها الأول ومجدها وحظها ولكن هيهات** (رؤ١٨ : ٧)!!

كما تدمرت بابل ورجع اليهود إلى أورشليم بأمر كورش ــ وهو أسم فارسي معناه "الشمس" ــ هكذا كورشنا شمس البر سيأتي بإسرائيل **الحرفي والروحي** لاورشليم المقدسة عند مجيئه!

أما أشنع خطايا بابل فهي تمجيدها ذاتها وفخامتها وخداعها، والواقع أن لا حق لها في أن تحكم لا من الله ولا من إنسان، ولكنها حكمت على الجميع بغير نظام أو قانون وأصبحت لا تعترف بالكتاب المقدس وتعترف بأنها علمت الشعوب طرق النجاح وحققت لهم أسمى صلاح، **ولكنها بشرية في أصلها ومبادئها وقوتها أرضية في أعتمادها على خزائنها ومجدها وتعتقد أنها خالدة!** تظن أنها جالسة ملكة وليست أرملة ولن ترى حزناً ــ فهي ترفع نفسها فوق كنيسة الله ــ أن القديسين سيملكون ولكن ليس الأن أثناء ملك الشيطان وبابل تتحداهم وتهييء لنفسها مكانة مميزة بوعد كاذب ــ صحيح أن القديسين لم يملكوا بعد أما هي فجالسة ملكة وبينما المسيح غائب فإن الكنيسة أرملة لأن عريسها غائب وكل رجائها في رجوعة وأما بابل فهي تفتخر في كونها لم تختبر شيئاً كهذا. إنها ليست أرملة ومحبيها كثيرين وفرحها كامل وتدعي الحصول على ما تنتظره الكنيسة من جهة أن تكون ملكته! أما شعب الله فلهم حالياً حزن وتجربة على الأرض كما كان لربهم في حين تفتخر بابل بوفرة وسائلها ونعيمها وغناها وقوتها بحسب ما وصفه عنها سفر الرؤيا!!

ورغم أن العالم منذ القدم مشحون بامثلة لغضب الله على مثل هذه الروح ـــ ولكن بابل تجاهلت الدرس وتحدت الدينونة ولذلك كتبت دينونتها بحروف أكبر ليقرأها العالم كله ويرتعب في ذلك لأن خطاياها العظيمة ستجلب لها دينونة عظيمة ــ هذا هو الدرس الأبدي الذي يحتاج البشر أن يستوعبوه وخاصة في زمن النهاية!!

دينونات قادمة على بابل:

أما عن هذه الدينونات فسوف تكون رهيبة (رؤ ١٨و ١٩) لأنها إذ هي تحمل أسم كنيسة، وواجبها أن تصلح الأرض لا أن تفسدها مما أعدمت به شركة حقيقية للمسيح فكذلك فإنها تستحق بسببها دينونتها القادمة، وعقابها بلا شفقة!

ونجد في نبوات أشعياء وأرميا الكثير عن خراب بابل القديمة وزكريا يستكمل المشهد. كانوا أمناء في التنبؤ ضد بابل خاصة أرميا، فإن نبوته عن بابل تتكون من مائة أية وقد أودعت لسرايا الذي حملها لبابل.

وتكراراً لبعض أجزاء منها يبين أنها تتكون من نبوات نطق بها أرميا في أوقات مختلفة جمعها أرميا لتعزي اليهود في السبي، ولتبرير طريق الله باستعراض المصير النهائي لبابل، عدوة شعب الله منذ القدم وعلى مدى الزمان!!

وهذا يبين أمانة أرميا النبي لأنه مع كونة كان تحت التزام لملك بابل، **لكنه كان تحت التزام أعلى لله الذي وجهه ليتنبأ عن بابل** وكان ذلك وهو يبكي على شعبه المأسور فيها!!

وأما في وقت النهاية فإننا نجد كيف أنه قبيل تنفيذ هذه الدينونة على بابل يأتي النداء من السماء: "**أخرجوا منها يا شعبي.. لئلا تشتركوا في مصيرها**" **ونبوة أرميا النبي تشرح بجمال هذه الأقوال، وتكشف عن عناية الله ورحمته في تحذيره بقية شعبه حينئذ لاجل انقاذهم**، مما يبين أهمية هذا النداء المتكرر وهو هنا الأخير!!

وذلك لأن نظام بابل لن يتفق مع وضع الكنيسة الكتابية الحقيقية، ولذلك فإن النداء لخروج المؤمنين الحقيقين منها أمر ضروري ــ لأنه انفصال عن تلك التي تحمل اسم المسيح باطلاً!!

وبلا شك فإن بعض المؤمنين لا يزال موجوداً في بابل حتى في أردأ حالات فسادها، وربما ذلك لكي يتجنبون الاضطهاد، ولكنهم أن استمروا فيها فإنهم سيكونون شركاء في ذنبها وعقابها أيضاً!

هذا الذنب وعقابه مقرران على كل من يبقى في بابل **لذلك فمن اللازم جداً أن شعب الله يخرجون من بابل قبل صب الدينونة الكاملة عليها وحتى يشتركون بذلك في الاحتفال الأبدي بسقوط بابل!!**

وفيما يلي أحد النصوص التي تصف ذلك وهي:

"تؤمن أن ارتباط الكنائس معاً في الحركة المسكونية الحالية ومعها حركة التقدم المدهش في عبادة النجوم ومن خلفهما توقد الذهن البشري في إجادة السحر والعرافة فإن كل هذه العوامل تعد العالم من كل ناحية لتأسيس نظام عالمي لديانة عظيمة سيكون المعبود فيها "ضد المسيح" ونقول هذا كله لكي نفهم معنى هذه الحركات في علاقاتها بالنظام الديني العالمي القادم والذي سيقبله معظم سكان الأرض!!

وهذا مما يدفعنا لأن ندرس الكتاب المقدس بدقة ليبين لنا ما يجب أن نفهمه ونقوله عن تلك الحركات وذلك لخير أنفسنا ومنفعة من حذرهم معنا!!

وعندما نشرع في فحص هذا الارتداد الآتي على العالم سنجد أن الكتاب المقدس أكثر من أي كتاب أخر يسجل هذه الأمور وهو في هذا الشأن الكتاب النبوي الوحيد التقدمي!!

وإزاء هذا الجانب الأسود هناك الجوانب الأخرى التي سبق الأشارة إليها وهي تؤكد أن التاريخ سيكشف حينئذ عن أن البشر قد نضجوا للدينونة حيث أن الله سبحانه لا يمكن أن يقف مكتوف الأيدي إلى مالا نهاية ولكن ذلك بعد أن أعلن الرحمة وقدم بها العفو والسماح لمن يقبلها كصدق قوله: "فهوذا لطف الله وصرامته، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا وأما اللطف فلك إن ثبت في اللطف" (رومية ١١ : ٢٢).. يؤيد ذلك أيضاً ما جاء في سفر حزقيال ٣٣ : ٥ قول الرب نفسه ونصه: "لو تحذّر لخلّص نفسه" وهذا ما نرجوه للجميع وبالأولى الذين يصلهم هذا الكتاب بانذاراته فريدة النوع!!"

تم اعداد هذا الكتاب بمعونته

تعالى في فبراير ٢٠٠٨

فهرست الموضوعات

* الاهداء ٤

* تقديم ٥

* الباب الأول البابلية في التاريخ القديم ٧

الفصل الأول: نشأة بابل ومعنى أسمها ٩

الفصل الثاني: بابل المدينة والبرج ١٢

الفصل الثالث: هدف بابل ووسائلها ١٧

الفصل الرابع: برج بابل وآلسنته ٢٠

الفصل الخامس: ألسنة بابل ويوم الخمسين ٢٦

الفصل السادس: ظاهرة التكلم بآلسنة ٣١

الفصل السابع: ما عسى أن يكون هذا؟ ٣٧

الفصل الثامن: السبي إلى بابل وأسبابه ٤٣

الفصل التاسع: دروس سبي بابل ٥٤

الفصل العاشر: حالة المسبيين في بابل ٥٨

* الباب الثاني: البابلية في سفر النبي زكريا ٦٥

الفصل الحادي عشر: تأثير البابلية على شعب الله ٦٧

الفصل الثاني عشر: الأرض بين اللعنة والقداسة ٧٢

الفصل الثالث عشر: حكم اللعنة على البابليين ٧٦

الفصل الرابع عشر: تجميع الشر في بابل ٧٩

الفصل الخامس عشر: عقاب الأشرار ونهاية الشر ٨٧
الفصل السادس عشر: لعنة الله على سرقة الحقوق ٩١
الفصل السابع عشر: الملكية الخاصة تحت البركة ٩٥
الفصل الثامن عشر: لعنة الاختلاس والتملك الخاص ١٠٠
الفصل التاسع عشر: حفظ التملك الخاص من اللعنة ١٠٤
الفصل العشرون: موقفنا تجاه إسم الرب ١٠٧

* الباب الثالث : تاريخ بابل النبوي إلى النهاية ١١١
الفصل الحادي والعشرين: عبودية مصر وسبي بابل ١١٣
الفصل الثاني والعشرين: المدلول الروحي لبابل ١١٩
الفصل الثالث والعشرين: تسكين روح الله باقتحام بابل ١٢٦
الفصل الرابع والعشرين: تجميع الشر ونهايته في بابل ١٣٨
الفصل الخامس والعشرين: الرجوع القديم من سبي بابل ١٤٣
الفصل السادس والعشرين: خفايا بابل الرمزية والسرية ١٥٣
الفصل السابع والعشرين: بابل الدينية والتجارية ١٦٩
الفصل الثامن والعشرين: النداء الأخير للخروج من بابل ١٧٧
الفصل التاسع والعشرين: مراحل الخروج من بابل ١٩٣
الفصل الثلاثون: الابتهاج الأبدي بسقوط بابل ١٩٧

هذا الكتاب

الكتاب الكاشف لحقيقة ما يدور في الخفاء كخلفية للمسيحية الأسمية وما أخطره حيث تمتد شباك العدو لاصطياد من هم في نطاقها والاغلاق عليهم لضمان هلاكهم بكسب الشيطان لهم, وهو يتتبع تاريخ بابل الفعلي والرمزي والسري من وحي ما جاء عنه من نصوص في التوراة والإنجيل!!

فهو من جهة الواقع نفسه قد تكون بابل قد انتهت تاريخيا وأما من جهة "السر" فقد جمعت الكنيسة التقليدية مع البروتستانتية المرتدة مع مجموع الديانات الكاذبة على الأرض بأسرها وهي لذلك البديل الذي يستخدمه إبليس للتزييف الشيطاني للمسيحية الحقيقية، ولذلك فإنه يوجد لبابل هذه دينونة محددة في نهاية هذا الدهر . أما من جهة الرمز فهي تجسيم للزنى الروحي أي الانفصال عن الله وقد وصفت بابل هذه بأنها "الزانية" و "أم الزواني" ويعلن الكتاب عن مصير كل من ينتمي إليها ويبقى فيها ويناشد الأمناء من شعب الله على الخروج منها!

ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثين فصلاً تفصيلياً للخطر الجسيم الذي يتعرض له البشر إذا لم ينتبهوا لحقيقة تجربة الشيطان لهم "ببابل" الأمر الذي قد يؤدي بهم إلى مصير أبدي محزن وأليم. ولكن الله في رحمته اللانهائية يعطيهم الفرصة مجدداً وإلى النهاية لكي يستفيقوا ويتجاوبوا مع ندائه بالخروج الفوري منها حتى لا يشتركوا في خطاياها فلا تقع عليهم ضرباتها والآن نحن نقترب من النهاية سنجد أن هذا النداء بعينه وهو النداء الأخير الذي سيختم هذا الدور العصيب من التاريخ بإعلان بدء ملكوت الله الحقيقي الذي ينتظره الأمناء بأشد اللهفة والشوق!!

الثمن ٨ جنيهات